

المعاد في الكتاب والسنة

تأليف :

آيت الله محمد المحمدي الحلياني

تقديم : حسين انصاريان

Daftar
inv# 72/6/1263

Princeton University Library



32101 059174209

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

--	--

المعادني الباب الثاني
آيت الله محمد الخميني
تفسير حسين انصاري

(RECAP)

BP166

.8

M833

1982

وَنُضِعُ الْمَوَارِينَ الْقِطْلَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا

وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِبَاحِشِينَ

الْأَنْبِيَاءِ ٤٧

اسم الكتاب : المعاد في الكتاب والسنة

المؤلف : آيت الله محمد محمدى گيلاني

تقديم : حسين انصاريان

التعداد : ٣٠٠٠

قطع الكتاب : الوزيري

آي بي ام : مؤسسه الخدمات المطبعي

المطبع : مطبعه المروي

حق الطبع و تجديده منوط باجازة فضيله الشيخ حسين انصاريان

1503 3400022698 P1418808



الاهداء

الى العالم الربّاني والحكيم الصّمداني ، العارف بمعارف
الالهية ، والخائض في بحار الحقائق الاسلاميّة ، مدرّس الحكمة و
العرفان ومعلم التربيّة والاخلاق ، الذي صرف عمره الشريف في العلم
والعمل ونور الحوزات العلميّة بنور علمه وفكره ، صاحب تفسير الميزان
الكبير ومؤلّفات الاسلاميّة القيمة ، استادي ومعتدي آية الله الحجة
الفيلسوف الكبير الاسلامي ومفسر القرآن العظيم السيّد محمد حسين
الطّباطبائي الشهير بعلامة قدس سره الشريف
والشكر : لفضيلة مفخر الخطباء العظام حجة الاسلام الشيخ حسين
انصاريان امتا فاضلته الشريفة لاهتمامه بمراجعة الكتاب وشرافه وطبعه.

محمد المحمّدي الجيلاني

تقديم

حسُن انصاريان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الانبياء

ما من شك من ان ابرز الظواهر التار يخية، التي واكبت
الحياة الانسانية جمعا هي الرسائل الالهية التي جاء بها الانبياء
المرسلون، اولئك الذين منحهم الله الرشد والكمال، واختارهم
لينقذ بهم البشرية من مختلف المهالك والاطار،
وهؤلاء الانبياء هم اكمل الناس واملهم من وجهة العقل والبصيرة
والايمان، ومن وجهة العمل والاخلاق والسلوك وقد اعطاهم الله ميزق
العظمة في جميع ابعاد حياتهم الرسالية المثقلة بالمعضلات .
وقد جعل الله سبيل الانبياء هو السبيل الاقوم، والصراف،
المستقيم الذي هدى اليه الناس ووصاهم به .
ولم تستطع البشرية - عبر التاريخ كله - انسان تثبت استغناها
عن الانبياء كما لم تستطع ان تثبت ذلك الي آخريوم من حياتها
اذ الانبياء هم المصابيح التي تضيئ طريق الناس، وتنير نفوسهم

وتحيي فيهم الحب والحياء . وهم الذين يستجيبون لحاجاتهم المعنوية ،
والتربوية ، ويعلمونهم الحكمة ويزكّونهم ، ويهدونهم الى طريق الحق و
الصواب والانبيا هم الذين وهبوا الناس الحياة ، وصلوا ارواحهم ، و
شذبوا مواهبهم ، وايقظوا فطرتهم ، وامروهم بالمعروف ، ونهوههم عن
المنكر .

فالحياة التي لاتتصل بمنبع النبوة ليس لها قيمة ، والتاريخ الذي
لايستنير بهدايتهم قد ملأءت بالظلمة .

والمجتمع الذي حرمت اعماقه من الدين ، وخلص محتواه من الوحي ،
فان الانسان الذي يعيش فيه دابتره شريرة ، وحيوان مفترس ، بل
هو اضل من ذلك .

وفي اية مدرسة رسالية توجد النماذج المثالية من الناس ،
كما يتواجدون . في ساحات الانبياء ، وفي مدارسهم الالهية .
وانتي توجد معالم الفضيلة والنور ، والاصالة والشرف ، والمعرفة و
الواقعية والوعي والبصيرة والصدق والفلاح ، والحكمة والانسانية المثلى :
مالم يكن مبدئه ولا منتهاه الانبياء ورسالاتهم .

فان الانبياء هم معين العلوم المادية والمعنوية واذا ما استثنينا
هؤلاء العمالقة ، ونحينا بآثارهم و دورهم ، ورسالاتهم السماوية التي
بعثوا لها - عن حياة المجتمعات في العالم فاننا لن نجد حضارة انسانية

تستحقّ الذكر والبقاء .

ويستحسن بنا ان تستشهد - في هذا الصدد - باقوال سيّد
الموحدين ، وامام العارفين ، وقطب رحى الواصلين : اميرالمؤمنين
عليه السلام في تمجيد الانبياء ، و تثمين دورهم في اعداد البشرية
صياغتهم و " تغذيتهم بالوحي والهداية :

(واصطفي " سجانهم ولده انبياء ، اخذ على الوحي ميثاقهم
و على تبليغ الرسالة امانتهم ، لما بدّل اكثر خلقه عهد الله اليهم ،
فجهلوا حقه ، واتخذوا الانداد معه ، واحتالتهم الشياطين عن معرفته ،
واقطعهم عن عبادته فبعث فيهم رسله ، و اترا اليهم انبياءه ،
ليستاد وهم ميثاق فطرته ، ويذكروهم منسي نعمته ، ويحتجوا
عليهم با لتبليغ ، و يثيروا لهم دفائن العقول) (١) .

اجل . . ان الانسان - كما صورّه امام العاشقين - حينما لا يرتبط
بالله فانه يستوثق بالشیطان ، وحين لا يكون له نصيب من المعرفة الا
لهية فانه يصاب بركود العقل وجموده ، حيث يكون عمله اذ ذاك
عملاً شيطانياً ، وسلوكه سلوكاً حيوانياً لامحالة .
فان الامام علي عليه السلام انما يعلن . في نهجه ما يرجوه -

١ - نهج البلاغة : الخطبة الاولى

للبرية من خيرو صلاح حين يقول :

(نستال الله منازل الشهداء، ومعاشة السعداء و مرافقة

(الانبياء) (٢)

وَحَقًّا أَنَّ السَّعَادَةَ تَكْمُنُ فِي طَرِيقِ الشَّهَادَةِ ، فَانَّ الْحَيَاةَ الْوَأَقْعِيَّةَ
وَحَيَاةَ السَّعْدَاءِ انَّمَا هُوَ فِي مَرَاقِفَةِ الْاَنْبِيَاءِ وَاتَّبَاعِهِمْ ، وَالانْقِيَادَ لَهُمْ .
وَقَدْ خَطَبَ سَيِّدُ الشَّهْدَاءِ وَالْمَظْلُومِينَ ، وَقُدُوةَ الْمُبَارِزِينَ ، وَرُوحَ
الْمُجَاهِدِينَ ، وَعَشْقَ الْعَاشِقِينَ وَنُورَ الْعَارِفِينَ ، وَمَقْصِدَ السَّالِكِينَ . الْاِمَامِ
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَيْلَةَ عَاشُورَاءِ فِي صَفْوَةِ اَصْحَابِهِ الْمُجَاهِدِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِي خِلَالِ خُطْبَتِهِ تِلْكَ الَّتِي صَدَحَ بِهَا * وَهِيَ لَمْ تَكُنْ اِلَّا
قَوْلَ الْحَقِّ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فَمِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَجْسَدُ فِيهَا اَنَّ كِرَامَتَهُ
عَلَى اللَّهِ * وَكِرَامَةَ اَهْلِ بَيْتِهِ وَاصْحَابِهِ مَا هِيَ اِلَّا مِنْ كِرَامَةِ النَّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ ،
صَادِعًا بِذَلِكَ وَهُوَ يَوْمُ ذَاكَ عَلَى قَمَّةِ التَّارِيخِ ، وَقُلَّةِ الْاِنْسَانِيَّةِ الْمِثْلِي ؛
(اثنى "على الله احسن الثناء ، واحمده على السراء والضراء
اللهم اني احمدك على ان اكرمتنا بالنبوة * و علمتنا القرآن ، وفقهتنا في
الدين ، وجعلت لنا اسما عا و ابصاراً وافئدة ، فاجعلنا من الشاكرين) .
و قد بعث الانبياء ليعالجوا امراض المجتمع المادية والمعنوية ، الفردية
منها والاجتماعية ، من حيث الاسرة والمحيط العام و ليصلحوا عقائد الامم
ويصححوا اعمالهم ويهدبوا اخلاقهم ونفوسهم ، ولم يبالوا جهداً في اداء

رسالتهم هذه ولم يدّخروا وسعاً في ان يضحوا من اعماقهم في انتشار البشيرة من براثن الجهل والشقاء اذ وقفوا مواقفهم الصلدة امام الاحداث الجسيمة والقوي الشريفة المضادة لحركتهم ، فدكوا صروح الجبابرة من امثال : قارون ، وسلاطين الجور ، والشياطين الماردين ، وعبدة الدنيا في حين لم يتوقعوا جزاء ولا شكورا حيا لخدماتهم هذه ، و ما بذلوا في سبيل انقاذ البشرية من هوة الذلّة والمسكنة والاسر وكان الاجر الوحيد الذي يتوقعونه من الناس هو اتباع سبيلهم ، والجري على هديهم ، واحياء دين الله ، والاستقامة في العقيدة : (قل لا اسألكم عليه اجرا الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) .

وقد جاء في نهج الامام علي عليه السلام ما يرجع الى الانبياء عليهم السلام قوله :

(بعث الله رسله بما خصهم به من رحتمه وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تحب الحجة لهم بترك الاعذار اليهم ، فدعاهم بلسان الصدق الي سبيل الحق) .

كما صور للمسلمين معطيات البعثة النبوية ، وما كان قد اصيب به الناس من الشقوة والضلالة والانحطاط قبل ذلك ، حيث يقول .

(واشهد ان محمداً عبده ورسوله ، ارسله بالدين المشهور والعلم الماثور ، والكتاب المسطور والنور الساطع ، والضياء الالامع ، والامر

الصّادع، ازاحة للشّبهات، واحتجاجاً بالبينات وتحذيراً بالآيات،
 وتخويفاً بالمثلثات، والنّاس في فتن انجذم فيها حبل الدّين، وتزعزعت
 سوارى اليقين، واختلف النجر وتشتت الامر وضاق المخرج، وعمى
 المصدر فالهدى خامل، والعمى شامل، عصي الرّحمن، ونصر الشّيطان
 وخذل الايمان، فانهارت دعائمه، وتنكرت معالمه، ودرست سبله، وعفت
 شركه اطاع الشّيطان، فسلكوا مسالكه ووردوا مانهله.....)

الله والمعاد

ولم يالوا الانبياء جهداً في تبليغ ما يرشد الناس الى الله،
 وما يصل بهم الى رشدهم وكمالهم، وكان من اهمّ هذه العلل والعوامل:
 تلكم التوجيهات والهدايات التهذيبية، والقوانين الالهية البتّة
 التي ظلّت تلمع في حياة الانسان وتاريخه، ذلك لانّ الانسان كما هو
 مهتدم من جانب المخاطر الخارجيّة التي تحيط به فانه مهتدم - كذلك
 - من جانب المخاطر النفسيّة الكامنة فيه ولذلك فهو بحاجة ملحة الى قوّة
 قاهرة تيكّي، عليها في سبيل الوصول الى سعاده الدنيويّة والاخرويّة
 والي ما ينجيّه، على ضوء ما جاء به الانبياء الكرام، ودعوا اليه.
 ولهذا: فانّ الانبياء قد ركزوا على مسألتين اساسيتين لصيانة
 البشريه عامه " وهما:
 المبدأ " : اى وجود الله تبارك وتعالى، و ما يتصفّ به من صفات

ب- المعاد : وما يترتب عليه من الثواب والعقاب على الاعمال
المسألة الاولى : انما تبنتني على اساس ان انبياء الله قد بينوا الرشد
من الغي ، وميّزوا الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، وما يرجع الى
ذلك في الشؤن المادّية والمعنوية وكان الضمان لكل ذلك هو الاعتقاد
بالله ، والادعاء بالرقابة الالهية وانّ العباد ما لم يجعلوا الله نصب
اعينهم لا يمكنهم التّعبد بما جاء به الانبياء ، ولاداء ما حملوا بها من
واجبات ، اجل . لا يمكن ان تتعبدوا بكل ذلك ما لم يعتقدوا وبالله سميع
بصير محيط شهيد وهو عليّ كلّ شيّ قدير ، وهو يحيط بعلمه وقدرته
لا يخلو منه مكان ، لتلاي جد الانسان ما يخرج منه من سلطانه وحكمه ، ليتسنى
له ان يعصي الله تعالى ، او يضرب بفروضه تلك عرض الجدار .
ذلك اله عالم بكل ما يرتبط بالانسان من شؤن ذاتية وخارجية
لا يعزب عنه شي من ذلك ، وهو يراقب افعاله وحركاته كما يقول امير المؤمنين
في دعاء (كميل) .

(وكلّ سيّئة امرت باثباتها الكرام الكاتبين ، الذين وكلتهم
بحفظ ما يكون منّي ، وجعلتهم شهودا " عليّ مع جوارحي ، وكنت انت الرقيب
عليّ من ورائهم ، والشاهد لما خفي عنهم . . .)
وكان من هذا المنطلق ضرورة الشخوص الي الله ، و ذكره في كلّ
لحظة من لحظات الحياه ، حيث قال الامام السادس عليه السلام في جواب

رجل يسأله: (على ماذا بنيت امرك) اذا جابه باجوبة اربع ، كما احدها
(علمت ان الله مطلع علي فاستحييت) . اجل كنت اجدانه لا يخلو منه
مكان ولا يعزب عنه شي ، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا ويحصيها ،
فصدني حيائي عن ان اعصي الله طرفة عين ابدا .
ولهذا . . فقد وردت في الاحاديث المعتبرة مسألة ذكر الله تعالى
في احسن تفاسيره : ان ذلك يمنع حصن ، واقوى ضامن لامتنال الطاعة ، و
ترك المعصية .

وعن ابي عبد الله _ عليه السلام _ حيث قال :
(من اشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيرا) ثم قال : (لا
اعنى سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله اكبر ، وان
كان منه ، ولكن ذكر الله عندما احل وحرّم ، فان كان طاعة عمل بها ،
وان كان معصية تركها) (١) .

وعلى اساس هذا الواقع القرآني الملموس : ادلى الزعيم القائد
امل المستضعفين والمضطهدين في العالم ، امام الامة الخميني الكبير
روحي فداه _ في كلمة عرفانيه تربوية : (العالم ماثل امام الله لاتعصوا
الله امامه) .

وذلك كما يقول القرآن الكريم : (وان كل لما لدنيا محضرون)
اذلوا وجد الانسان في كل حين نفسه محضرا عند الله فسوف لا يسمح
لنفسه ان تفوته طاعة من طاعته ، او يتأتى له ان يقترب شيئا من حرمانه .
والمسألة الثانية : التي صدع بها الانبياء وهي تكفل وتضمن شؤون
الانسان التربوية وتقيده بمعرفة الحلال والحرام ، هو توجيه الانسان
الى الازعان بالمعاد ، ذلك الذي اخبر عنه البارئ تعالى في جميع
كتبه السماوية ، وعلى الاخص في القرآن الكريم ، الذي بسط فيه هذه
العقيدة ، بعد ان صدع به جميع الانبياء تباعاً ، وهم ١٢٤ / ٥٥٥
نبي عدالته المعصومين عليهم السلام .

ومسألة العدل القائم بالله نتلمس آثاره في عالم الخليقة كلها
ولذلك يقتضي ان يكون من وراء هذا العالم المادي المحدود عالماً
ابدياً يجزي فيه المحسنون على احسانهم ، و يعاقب فيه المسيئون
على اساءتهم .

وما من شك ، ان انكار المعاد هو انكار لكل الشؤن والمعطيات الالهية
بل المثل الانسانية العليا جمعاء .

فهل هناك من يرتضى للانبياء العظام من امثال ابراهيم ، وموسى ، و
عيسى والرسول الاكرم وامير المؤمنين ، والائمة الميامين عليهم السلام ان
يجزون على عظيم سعيهم و عبادتهم ، وما تحملوه من الازى في سبيل

انقاذ امهم من شرك الشيطان ، وشور النفس الامارة بالسوء ، ومن الهلكة والتردي ، اجل هل يجد ربهم من بعد هذا العنت والجهاد ان تطوي صفحات حياتهم ، وهم لا يجزون على قليل من اعمالهم ، او يجزون قليلا " على اعمالهم الجبارة تلك .

وهل هناك من يقنع بهذا . . ان يهلك فرعون ونمرود و شداد ، و هيروديس ، وقوم عاد وثمود و اشباههم ، وابولهب وابوسفان ، ومعاوية ويزيد ، وبهلوى وهتلر ، وجنكيز و تيمور ، و آتيل و نرون ، وماكياولى ، وكارتروريكان ، وبكين و صدام ودايان وغيرهم ، ممن عاشوا فى الملذات وجمعوا الثروات ، واطع من ذلك انهم نهبوا اموال العباد ، وسفكوا دماءهم و هتكوا اعراضهم ، وقد طويت صحائف حياتهم ، ولم ينالوا جزاء ما اقترفوا من ذلك .

اجل : بماذا توازن اعمال الناس وتضحياتهم ، ممن نذروا انفسهم لله ، وهل تسع الدنيا كلها ظرفا لجزء بعض اعمالهم باضفالى ذلك الشهدا الذين سلخوا سبيل الحق ، والتضحية ، وكذلك الجبارة والجنات الذين قتلوا الناس ، واستعبدوهم ، فهل يمكن ان يجزون على سفك دم واحد من الابرياء فى هذا العالم الضيق المحدود .

المعاد فى القرآن وادلتها .

وحقاً انه لم يبق موضع لانكار المعاد ، ويوم القيامة . وفى القرآن

الكريم دلائل جلية محكمة في ايمان الناس به ، وهذه الآيات انما هي نماذج
حيّة من القرآن تجسد لنا حقيقة المعاد و ماهيته

وهذه الآيات دلائل متينة في مسألة المعاد في القرآن :

(يا ايّها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم
ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا شد
كم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارضل العمر لكيلا يعلم من
بعد علم شيئاً وترى الارضها مدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
وربت وانبتت من كلّ زوج بهيج ذلك بانّ الله هو الحقّ وانه
يحيى الموتى وانه على كل شي قدير وانّ الساعة آتية لا ريب فيها
وانّ الله يبعث من في القبور) (١) .

ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون (٢)

ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار

مكين . . .

ثم انكم بعد ذلك لميّنون ثم انكم يوم القيامة تبعثون (٣) .

٢ - الواقعة ٤٢

١ - الحج ٥-٧

٣ - المؤمنون ١٢ - ١٦

(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
ثم إليه ترجعون) (١) اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم
مبين وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم
قل يحييها الذى انشاءها اول مرة وهوبكل خلق عليم الذى جعل
لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا انتم منه توقدون اوليس الذى خلق السماوات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) (٢) .
لا قسم بيوم القيامة ولا قسم بالنفس اللوامة اي حسب الانسان
الآن نجم عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه (٣) .
(قتل الانسان ما كفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدّر
ثم السبيل يسره ، ثم اماته فاقره ثم اذاه انشاه انشاه)
و كثير من امثال هذه الايات الكريمة التى تطرح مسألة المعاد
والقيامة على اساس متقن ومتين من الاستدلال والبداية ، حيث لم يبق
اى مجال لانكار حقيقة العدل بعد انقراض هذا العالم ونهايته .

موقف الانسان من فناء العالم و ما بعده

٣ - يس ٧٧ - ٨١

١ - البقرة ٢٨

٢ - القيامة ١ - ٤

لاريب : ان اولئك الذين يلزمون الصراط المستقيم ولا يشاققون
الله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والعصيان ، ويجعلون انفسهم
عباد الله ، وهم بامرہ يعملون ويؤءءون ، مسئولياتهم الفردية والا
جتماعية والعائليتهم كما تقول هذه الآيات يرون يوم ماتهم يوم
حياتهم ، ينتقلون به من عالم محدود الى عالم ابدى ويرون انفسهم
يسيرون الى الحق واليقين ، فان ساعة الموت عندهم هي نهاية الهجران
وغاية وصول العاشق الى معشوقه .

وقد المح القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في عدة آيات ، وعلى
هذا الاساس نرى ان عباد الله المخلصين ، وعشاق القضية يتوقون الى
لقاء هذه الساعة الحبيبة اليهم .

(والله لابن ابي طالب انس بالموت من الطفل بئدى امه ، فزت
ورب الكعبة ، اذا الانبالي بالموت) .

وغير ذلك من امثال هذه الكلمات التي اثرت عن اولياء الله ،
وهي تدل على مسيرتهم فى لقاء الموت .

ويصرح القرآن الكريم على هذا الصعيد :

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من

تحتها الانهار) (١)

(واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه و بشر المؤمنین) (٢) وبشر
المؤمنين بان لهم من الله فضلاً كبيراً (٢) و بشر الذين امنوا ان
لهم قدم صدق عند ربهم (٣) .

واما موقف المستي غير التائب والمتوغل في غييه وعماه، ومن ظل اسير
الهوى والنفس .

الامارة بالسوء فانه يشعر الفناء بالموت ، و يفر منه فرار المعزي من
الذئب كما يذكر ذلك القرآن الكريم ، والا حاديت الماثورة، وهي التي
تصور شعور المؤمن من وغير المؤمن بالموت .

وقد ورد في الحديث انه سئل عن الحسن بن علي عليهما السلام
ما الموت الذي جهلوه فقال: اعظم سرور يرد علي المؤمن اذ نقلوا
عن دار النكد الي النعيم الابد، واعظم ثبورا " يرد علي الكافرين اذ نقلوا
عن جنتهم الي نار لا تبديد ولا تنفد (٤) .

وقال الحسين عليه السلام : (ان ابي حدثني بذلك عن رسول الله
ص - الدنيا سجن المؤمن من وجدة الكافر، والموت جسر هولاء الي جناتهم ، و
جسر هولاء الي جحيمهم ، ما كذبت ولا كذبت) .

٢ - الاحزاب ٤٧

١ - البقرة ٢٢٣

٤ - معاني الاخبار ٢٨٨

٣ - يونس ٢

وقيل لعلي بن الحسين عليهما السلام : ما الموت؟ قال : لموء من
كنز ثياب وسخة قملة، وفك قيود واغلال ثقيلة والاستبدال بافخر
الثياب واطيبها روائح، واوطاء المراكب، وآنس المنازل، وللكافر كخلع
ثياب فاخرة، والنقل عن المنازل الانسته والاستبدال باوسخ الثياب و
اخسئها، واوحش المنازل واعظم العذاب (١) .

وقيل لمحمد بن علي الباقر عليهما السلام : ما الموت : (قال هو النوم
الذي ياتيكم في كل ليلة الا انه يطول مدته لا ينتبه الي يوم القيامة ، فهم
من راي في منامه من اصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومنهم من رآى في
منامه من اصناف الاهوال ما لا يقادر قدره ، فكيف حال فرجه في الموت
و وجهه فيه هذا هو الموت فاستعدوا له) (٢) .

وقال رجل لابي ذر - رحمه الله - ما بالنا نكره الموت فقال :
لانكم عمّرت الدنيا وخرّبتم الآخرة ، فتكروهون ان تنقلوا من عمران
الي خراب وقيل له كيف ترى قدومنا على الله قال :
اما المحسن فكا الغائب يقدم على اهله ، واما المسيئي فكا الابقي يقدم
على مولاه قيل فكيف ترى حالنا عند الله : قال : اعرضوا اعمالكم
على الكتاب ، ان الله عز وجل يقول : وان الابرار ، لفي نعيم وان الفجار لفي

جحيم ، قال الرجل : فإين رحمة الله ، قال ، رحمة الله قريب من المحسنين (١)
(اجل . . . ان ذكر الموت ، والامعان فيما بعد الموت والبرزخ وعقبته
واهواله ، ونفخ الصور والخروج من القبور ، واهوال المحشر والورود فيه ،
والمثول بين يدي الله ، والوقوف امام المحكمة الالهية العادلة انما هو
افضل داع للعبودية ، وامثال اوامر الله ، والتنبك عن معاصيه .

ولذلك نقرأ في كلمات الحكماء : ان التفكير في الموت من اهم العوامل
التهديبية المؤثرة في وجود الانسان .

(فجدير بمن الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود انيسه
ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره ، وبطن الارض مستقره ، والقيامة مواعده
والجنة والنار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ، ولا ذكر الا لاجله
ولا تطلع الا اليه ، ولا تعرج الا عليه ، ولا اهتمام الا به ، ولا حوم الا حوله ،
ولا انتظار ولا تربص الا له .

وحقيق ان يعد نفسه من الموتى ، ويراه في اصحاب القبور ، فان
كل ماهوات قريب والبعيد ما ليس بات . وقد قال عليه السلام : الكيس من
دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد لشي الا عند تجدد
ذكرة على القلب ، ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصفاء الي المذكرات

له ، والنظر في المنبّهات عليه) .

وقال النبي - ص - اكثر واذكرها دم اللذات الموت ، وقال
عطاء الخراساني : مرّ رسول الله - ص - بمجلس قد استعلاها الضحك فقال
شوبوا مجلسكم بذكر مكة اللذات قالوا : وما مكدّر اللذات ، قال :
الموت

وسئل صلى الله عليه وآله : من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول
الله فقال : اكثرهم ذكراً للموت ، واشدهم استعداداً لها ولتلكهم الاكياس
ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة (١) وفي الكافي عن ابي عبيده قال :
(قلت لابي جعفر عليه السلام : حدثني ما انتفع به ، فقال : يا ابا عبيده
اكثر ذكر الموت ، فانه لم يكثر ذكره انسان الاّ زهد في الدنيا) (٢) .
وعن ابي بصير ، قال شكوت الى ابي عبد الله عليه السلام الوسواس ،
فقال يا ابا محمدا ذكر تقطع اوصالك في قبرك ، ورجوع احبائك عنك
اذا دفنواك في حفرتك ، وخروج بنات الماء من منخريك ، واكل الدود
لحمك ، فان ذلك يسلى عنك ما انت فيه ، قال ابو بصير فوالله ما ذكرته
الاّ سلى عني ما نافيته من هم الدنيا (٣) .

١ - الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٢٢٨

٢ ، ٣ - الكافي ج ٣ ص ٢٥٥

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم ، وغفلة الناس عنه لقلّة فكرهم فيه ، وذكرهم له ، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ ، بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا ، فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه يفرغ العبد قلبه عن كلّ شيء إلاّ عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مغازة خطيرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكّر إلاّ فيه ، فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يوءثر فيه ، وعند ذلك يقلّ فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه .

وواقع طريق فيها أن يكثر ذكر أشكاله واقرائه ، الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتفكّر كيف حال التراب الآن حسن صورتهم ، وكيف تيددت اجزأءهم ، في قبورهم ، وكيف ارموا نساءهم وایتموا اولادهم وضيعوا اموالهم ، وخلصت منهم مساجد هم ومجالسهم ولنقطعت آثارهم ، واوحشت ديارهم ، فمهما تذكر رجلاً " رجلاً " وفصل في قلبه حاله وكيفيه حياته ، وتوهم صورته ، وتذكر نشاطه ، وترددّه وامله في العيش والبقاء ، ونسيانه للموت ، وانخذاعه بموء آتاه الاسباب ، وركونه إلى القوة والشباب ، وميله إلى الضحك واللّهو ، وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع ، والهلاك السريع ، وأنه كيف يتردد ، والان قد تهدمت رجلاه ومفاصله ، وأنه كيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان

يضحك وقد اكل التراب اسنانه ، و كيف كان يدبّر لنفسه ما لا يحتاج اليه
الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر ، وهو غافل عما يراد
به ، حتى جاءه الموت في وقت لم يجتسبه ، فانكشف له صورة الملك ، و قرع
سمعه النداء ، اما بالجنة وبالنار ، فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم ، و
غفلته كفلتهم ، وستكون عاقبته كعاقبتهم !!

الثواب والعقاب

وقد اسلفنا ان من الضرورة ان تقوم من بعد عالمنا هذا نشأة اخرى
تقتضيه العدل لتجزى كل نفس بما كسبت من خير حسن الثواب ، وبما اقترفت
من شر سوء العقاب ، وان جحود ذلك العالم جحود لكل القيم ، والمثل
العليا .

وانطلاقا من تلك الايات الكريمة ، و ما جاء به الانبياء المرسلون ،
والائمة المعصومون ، لم يبق شك ولا ترد في معطيات الموت ، و ما يستتبعه
من احوال وعقبات .

وفي القرآن الكريم آيات عظيمة يتبين منها اجر العاملين ، وعذاب
المجرمين تملأ الانسان عبوديه و زلفي و تمنحه القدرة على مقاومة الذنوب
كما تتضمن الاحاديث الماثورة ما يلفت النظر اليها ، كاهو في كتاب (ثواب

الاعمال وعقاب الاعمال) (١) . نقرء في القرآن
 (يوميات لاتكلم نفس الابا ذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا
 ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) (٢) .
 (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم
 وردا) (٣) .
 (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشه في الذين آمنوا لهم عذاب اليم
 في الدنيا والاخرة . والله يعلم وانتم لاتعلمون) (٤) .
 (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا
 او لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) (٥) .
 (ان الذين يؤءون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة و
 اعد لهم عذاباً مهيناً " (٦) وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم عند
 نازلي الامن آمن وعمل صالحاً " فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا و
 هم في الغرفات آمنون) (٧) .

١ - من تاليفات شيخنا العظيم الصدوق ره

٢ - هود ١٠٥-١٠٦ ٣- مريم ٨٥-٨٦ ٤ - النور ١٩

٥ - لقمان ٢١ ٦ - الاحزاب ٥٧

٧ - سباء ٣٧

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزلاً "

. (١)

خالدين فيها لا يبعثون فيها حولاً واصبر فان الله لا يضيع

اجر المحسنين (٢) .

لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئكَ

لهم الخيرات واولئكَ هم المفلحون . اعد الله لهم جنّات تجري من تحتها

الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٣) . .

ومن الندره ان نستقصى سورته من سور القرآن ولم نجد فيها ما يركز على

مبدأ ثواب المحسنين وعقاب المسيئين .

وحيث لا تسع هذه المقدّمه ان نسردها فيها آيات اخرى يتعرّض هذه

الحقيقة . . . فما اجر بالقراءه من ان يمتاز جواب القرآن ، وان يتدبّر وآياته

وان لا يغفلوا عن العمل بها . هذا والله الى طاعته ، وعصمنا عن معصيته

والحقيقة انه لا يمكن التوصل الى حقائق المعاد ، ولا استثمار الا

عتقاده الا الترابط بالقرآن المجيد ، والتطلع الى الاحاديث التي

تجسد مسيرة الانسان من اول مراحل الموت الى ساحة المحشر ، من

١ - الكهف ١٥٧ - ١٥٨ ٢ - هود ١١٥

٣ - التوبة ٨٧ - ٨٨

المحشر الى الوقوف على ابواب الجنة والجحيم .
فكان ذأب الانبياء والائمة والاولياء في صدمعا لجتهم للمنحرفين
ان يقيموا ودهم في شخوصهم الى المبدء والمعاد ، وان يعملوا على ابعادهم
بذلك عن التهاون في العبودية ، ومن التلوث بالذنوب .
اذمن الممكن ان يستمع احد من الناس الى آية العمل في قوله تعالى :
(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ويدعن
اليها ، ويستيقن بها ، ثم يبتلى بالضعف بالعبودية والعتوفي المعصية
والظلم والتجاوز والخيانه . .

فان الخوف من العذاب ، والامل بالثواب في سبيل نيل الرحمة
الالهية ، والفرار من غضب الله جناحان يطير بهما العبد الى الله ،
ويستعين بهما في الصعود الى مدارج الرقي والكمال .
واذا جدلنا ما على ان ابسط هذه الحقيقة في هذه المقدمة اليسيرة
فانني ادعو القراء الى ممارسة سطور هذا الكتاب لمعرفة حركة الانسان
منذ حيله من الدنيا الى آخر منازل الآخرة وما يعطى من اجرا ومكافاة

"ما هو الكتاب"

ولا اکتتم الحق اذا قول : سوف يواجه القاري الكريم كتابا " من
افضل ما كتب في مسألة المعاد من كل ابعاده وجوانبه .

والكتاب المذكور فضلاً عن أنّه مليئٌ بالحقائق الفلسفية فإنّه يبحث المعاد على اساس الكتاب والسنة والعقل ، ومن زاوية الحكمة الالهية تلك التي انعكست في كتاب الله المجيد ونهج الامام علي عليه السلام ومن هذا المنطق ايضاً يرد المؤلّف على متجّهات الطاعنين والمشكّكين بالبراهين القرآنية الساطعة مما يثبت تخرصهم ، ووهن ادلتهم واقوالهم . والكتاب بمكانة من العلم لا يدع ان يستفيد منها عامّة القراء بيّداته اذا ما طرحت المسألة على اساس نهج القرآن ومفاهيم فهو كثير الفائدة للذين يمارسون الكتب الاسلامية ، ويتعاهدون منطقتها .

وبصورة عامّة فإن الكتاب المذكور - في حدود ما اطلعت عليه انما كتب للعلماء ، والخصيصين في العلوم القرآنية والا سلامية ، وهم وحدهم يستطيعون ان يستلهموا بحجائه القيمة ويستكنهوا دقائقه وحقائقه على ان اسلوبه البياني يكاد يجذب كل قارى و ياخذ بلبه وقلبه .

من هو المؤلّف ؟

ومؤلّف هذا الكتاب الخالد هو آية الله الشيخ محمّد الجيلاني ، احدا الشخصيات الاسلامية التي يتمتّع بالشهرة العلمية الفذة ، وهو من المع الاساتذة في الحاضرة الاسلامية الميمونة (قم) ومن المجتهدين القلائل فيها ، تلك الحاضرة العلمية التي كانت ولا تزال بعين الله والائمة الاطهار

عليهم السلام وقد وردت في مكانتها اخبارهم اذ صرحوا بما مضمونه : ان العلم والاسلام ينتشران منها الى انحاء العالم ، وقد اعطيت اليوم هذه الحوزة ذلك المحتوى الواقعي الذي المع اليه الائمة الاطهار عليهم السلام اذا انتشرت منها ببركات المرجع الفذ للشيعتنا الامام القائد روح الله الخميني حيث كان منبع هذه الكرامة ومنشاء الحياة الاسلامية التي .

نفخت في جسم العالم الاسلامي كله ، وهو قائد الثورة الاسلامية الكبرى روي فداه ، اذ وصل دوى دعوته الى جميع انحاء العالم وسوف يحقق بثورته هذه محتوى فداء من هذه الآية الكريمة : (ان الارض يرثها . " عبادي الصالحون) .

وقد قضى آية الله الجيلاني شرطاً من حياته الكريمة وهو ينتهل المعارف الالهية والعلوم الاسلامية متلمذاً " على يد امام الامة ومحطم الاصنام ، بعد ان استفاد من العلماء الربانيين - وخاصة الامام القائد - اتجه الى تدريس العلوم الدينية وبخاصة الحكمة والفلسفة الاسلامية ومع اشتغاله المتواصل بالعلم اخذوا اعطاء كان يبيت تعاليم الاسلام في انحاء البلاد من علي منبر التبليغ والارشاد وكان قبل نجاح هذه الثورة الاسلامية الى جانب الاساتذة المرموقين ساعداً قوياً لنجاحها وانتصارها ، وذلك في البيانات النارية التي كان هو واخوانه العلماء يعلنونها ضد النظام الحاكم (نظام بهلوي) ففضح خياناته و

جناياته .

وان كان (آية الله الجيلاني واجداً " لجميع شرايط الاجتهاد و القضاء بعد نجاح هذه الثورة المباركة : انتخبه الامام الكبير قائد الثورة الاسلاميّة رئيساً للقضاء ، لاستتباب العدل والقوّة المجرمين السّدين طالما دُأبوعلى تحكيم الاستعمار ، وقد ساهم مساهمة فعالة عن هذه الطّريق في ضمان بقاء الانقلاب الاسلامي العام . وله تاء لصفات قيمتها اخرى نشر بعضها في سلسلة مقالات في المجلات الاسلاميّة . وكان احدها ، الامامة والولاية في (القرآن) الكريم وقد طبع بمشاطرة عدّة من العلماء الآخرين .

وبعد ان اقيمت المحاكم الاسلاميّة في سائر انحاء ايران ألحت الحاجة الى تبسيط مسائل القضاء الاسلامي مشتمرا عن ساعد الجدّ مع مسؤولياته العظيم - فوضع كتابا فريدا " في احكام (القضاء والقضاة في الاسلام) . وقد شملت الطافه الابويّة هذا التلميذ فاعزاليه تنظيم ذلك الكتاب وطبعه فكتبت بدوري مقدّمة في القضاء الاسلامي جهد المستطاع وتعرّضت فيها الى مصادر البحوث التي وردت فيه ، وتوجيه رجال الكتاب واعلامه بما ارتضاه استادي الكريم .

ثم اولاني - مشكورا - مسئوليّة اخرى كهذه ان عهد الى طبع كتاب (المعاد في الكتاب والسنة) ومع أنّي لا اجد في نفسي هذه

الاهليّة وقد استجزته ان اقدم لهذا الكتاب تعريفًا به للقراء الكرام
وقد سمح لي بذلك فخراً وكرامة.

على أنّ مستوي هذه التقدمة لا يمكن ان يسانخ محتوى هذا
الكتاب ومستواه العلمي الفذّ بوجه من الوجوه. و ما يصنع التلميذ
على بضاعته المزجاجة حيال استاذة الذي يتفجّر من جوانبه العلم
الآ ان يقدّم جهده اليسير، وفاءً لحقه، وتقديرًا لشانه.

والماء مول من القراء الكرام ان يستفيد وامن هذا الكتاب افضل
الابحاث العلميّة واجمل المسائل التربويّة:

وانّي اجد لزاماً على ان ادعو الله تبارك وتعالى ان يمنح المؤلّف
الكريم مزيداً من العمر والتوفيق لخدمة الاسلام، والجهاد في سبيله
واطلب منه تعالى ما يطلبه عامّة الشعب الايراني الذي انجب الشهداء
والمجاهدين - من اعماق قلوبهم هذه الامنية الكريمة:

الهي الهي: حتّى قيام المهدي احفظ لنا الخميني

طهران ٦١/٢/٢
حسين انصاريان

المقصد الأول :
في الموت الى اشراط الساعة وفيه
فضول

الفصل الأول : في رجوع الامور

كلها الى الله تعالى

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ "

الحمد لله الذي اليه مصائر الامور ، ذلك بان الله هو الحق
و انه يحيي الموتى ، و ان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله
يبعث من في القبور .

والصلاة والسلام على رسول الله المنذريوم الآزفة ، اذا لقلب
لدى الحنازفليس الظالم هناك بمنصور ، و على اهل بيته المطهرين
عن الرجس الى يوم النشور ، و اللعن على اعدائهم حلقاء الباطل
والزور

و بعد فيقول العبد محمد بن محمد جعفر الشهير بمحمدي
الجيلاني . هذه مذكرات حول المعاد تستند الى كتاب الله تعالى
والروايات المحكية عن بيت النبوة و قد ير مق فيها عند الحاجة
الى البيان و البرهان ، و هي مترتبة على ثلاثة مقاصد .
المقصد الاول : في الموت الى اشراط الساعة .
المقصد الثاني : في اشراط الساعة و مقدماتها .
المقصد الثالث : في المعاد و ما يتبعه .

أما المقصد الأول فيتم في فصول :

" الفصل الاول في رجوع الامور عموماً " والانسان

خصوصاً " الى الله تعالى "

اعلم انه قد تكرر في القرآن المجيد ، ذكر رجوع الامور و صيرورة
الاشياء الى الله عزوجل عموماً " ، و رجوع الانسان اليه تعالى
خصوصاً " ، كقوله سبحانه .

الا الى الله تصير الامور^١ ، وقوله تعالى : ان الى ربك الرجعى^٢ .

وقوله : وله اسلم من في السماوات والارض طوعاً و كرهاً " و اليه
يرجعون^٣ وقوله : و اتقوا يوماً " ترجعون فيه الى الله^٤ .

ثم انه عزاسمه يبين في غير واحدة من الآيات ، ان هذا
الرجوع اليه تعالى هي الغاية الصحيحة المترتبة على الخلقة ، وانه
لولا ذاك الرجوع لكان الخلق عبثاً و باطلاً " ، وحيث كان التالي
ممتنعاً " على الله تعالى كان المقدم - عدم الرجوع المذكور - ايضاً
ممتنعاً

٢ - العلق ٨

١ - الشورى ٢٣

٤ - البقرة ٢٨١

٣ - آل عمران ٨٤

فمن تلك الايات قوله تعالى . افحسبتم انما خلقناكم عبثاً " وَاَنْتُمْ الينا لا ترجعون ^١ ، حيث انّ بالتحليل ترجع هذه الكريمة الى التقابل بين عبثية الخلق . وهي انتفاء غاية صحيحة " و بين الرجوع الى الله تعالى ، فيستنتج من هذا التقابل ، ان رجوع الامور و الاشياء اليه سبحانه ، هي الغاية الصحيحة المترتبة على الخلق ، و انه لولاه لكان الخلق عبثاً " و باطلاً " و ذلك محال عليه تعالى ،
و منها ما وقع فيه التصريح بنفي البطلان و العبثية عن الخلق في مواضع عديدة : مثل قوله تعالى : و ما خلقنا السماوات و الارض و ما بينهما باطلاً " ذلك ظن الذين كفروا ^٢ ، و قوله : ربنا ما خلقت هذا باطلاً " ^٣

و منها ما تكور فيه مشفوعة الخلق بالحق المستلزمة لانتفاء البطلان ، مثل قوله سبحانه : ما خلقنا السماوات و الارض و ما بينهما الا بالحق و اجل مسمى ^٤
و قوله : و ما خلقنا السماوات و الارض و ما بينهما الا بالحق و

٢ - ص ٢٧

١ - المؤمنون ١١٥

٤ - الاحقاف ٣

٣ - آل عمران ١٩١

أَنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ ١ ، وقوله : وما خلقنا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
لِأَعْبِينَ مَا لَعْنَةُ الْآلِ بِالْحَقِّ ٢ .

فتلك الآيات كما ترى ، تبين محدودية السماوات والارض وما
بينهما باجل معين وأن خلقتهما تلازم الحق . وأنه لولذلك الحق
المشوق بالخلقة لكانت الخلقه عبثاً "ولعباً" ، فتبين من ذلك أن
المراد من هذا الحق هي الغاية الصحيحة لها ، وقد قرن هذا الحق
بالجزاء في قوله تعالى خلق الله السماوات والارض بالحق ولتجرى
كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ، ومن هذا التقبيل قوله سبحانه ٣ .
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
لِأَعْبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَّاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا أَنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ٤ .
حيث نفى اللعب واللهو عن الخلقة روماً لاثبات الحق والغاية
الصحيحة للخلقة بحكم التقابل ، فإن اللعب هو لفعل الذي له غاية
خياليتة مثل ملاعب الصبيان ، و نفس هذا الفعل بما أنه شاغل
للانسان عما يهّمه يسمى لهواً ، والباطل هو الفعل المنقطع عن الغاية
المطلوبة و لا ريب في أن الغاية الخياليتة مما يدفع به عن الفاعل

٢ - الدخان ٣٨

١ - الحجر ٨٥

٤ - الانبياء ١٦ - ١٧

٣ - الجاثية ٢٢

نقص ما ويستكمل بها نحواً " من الاستكمال من نقص ملال و كلال و شبه ذلك ، و هذا يستحيل على الله تعالى فانّ الاشياء تستفيض منه عزّوجل جميع كمالاتها وبه سبحانه يجب كلّ شيءي وجوداً " و كمالاً " ، و لا يعقل استكماله بشيءي من خلقه ، فانه لا يعقل تأثير شيءي فيه ، و لو فرض تلّيه والعياذ بالله ، بل هو لم يجزان يكون ذلك الملّهّي خارجاً " عن ذاته ، لاستلزامه كونه تعالى ممكناً " متأثراً " عن غيره و عنه تفصح قوله تعالى . لو اردنا ان نتخذ لهوا " لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين . و هذا برهان و ثيق من طريق التلازم ، على وجوب المعاد ، و انه لو لم يكن معاد و غاية صحيحة للخلقة ، للزم اللّهُو اللّعب في فعله تعالى كلعب الصبيان ، حيث يبنون في زوايا السلك و الزقاق بالطين و الاحجار و الاخشاب صوراً " فرضية للابنية ، و بعد برهة يطفقون يخبونها ، ثم يجددون بها صوراً " اخرى ، و لا يزالون يعملون كذلك ، الى ان يجن عليهم اللّيل فيرجعون الى اوكارهم منتظرين لطوع النهار ، فيستانفون ذلك من الغد و هكذا وهكذا ، كلّ ذلك لالتذاذ بها و الاستكمال بغاياتها الخيالية :

و لولا المعاد - وهي الغاية الصحيحة - للزم مثل ذلك في فعله

و خلقه تعالى ، فانه عزوجل كلّ يوم ،

في شان و لا يزال يوجد و يأتي بخلق جديد ، ثم يعدم ، فيحيي

و يميمت و ينبت ثم يجعله حطاماً ، و يعمر ثم يخرب و هكذا ، فلولا
 غاية صحيحة حقّة لكان - العياذ بالله - لاهيا " و لاعبا " و ذلك
 ظنّ الدّين كفروا فويل للذّين كفروا من النار .

فقد استبان ممّا تقدّم أنّ الله تعالى هو الغاية ، كما أنّه تعالى
 هو المبدء و الفاعل ايضاً " فانّا لله و انا اليه راجعون .

و قد برهن في محلّه على اتّحاد الفاعل و الغاية ، و أنّ التّغاير
 بينهما ببعض الوجوه ، فانّ الجائع مثلاً " اذا اكل لشبيع ، فانّما اكل
 لانه تصوّر الشبيع فوجده كمالاً " لنفسه ، فتوسّل بالاكل لتحقيق الشبيع
 من حدّ الذّهن الى حدّ العين ، فالشبيعان تصوّرا " و ذهنا " صار مبدءاً
 و فاعلاً للشبيعان عينا " بتوسّط الاكل ، و ان شئت قلت . أنّ الغاية
 هي مرتبة كمال الفاعل ، فلوجود الفاعل مرتبتان . احديهما مرتبة
 ناقصة ، و الاخرى كاملة ، فالمرتبة الاولى طالبة للمرتبة الاخرى و
 مستكملة لها وهذا في الموجودات الامكانية واضح ، واما الواجب تعالى
 فحيث أنّه يمتنع استكمال بهشي فهو الفاعل من حيث هو الغاية ، فلا
 غاية و لا داعى له تعالى في اليجاد غير ذاته المقدّسة ، و الاّ لزم كونه
 عزّوجل ، مستكملاً " بغيره ، فيكون ممكناً " محتاجاً " الى الغير و هذا
 خلف ، فهو الاول و الاخر .

وما قديقال : بانّ افعال الله تعالى غير معلّلة بالغايات و

الاعراض ، فان عنوانه في الغاية عنه تعالى بما هي غير ذاته المقدسة فهو كذلك ، ولا ينافي ذلك ما وجد في كلامهم كثيرا " من انه تعالى غاية الغايات ، فانه عز اسمه كما هو غاية بالمعنى المذكور ، فهو غاية للموجودات بمعنى ان جميع الاشياء طالبة له وان الغايات الوسطى لا تكون مقصودة بالاستقلال ، فالى الله تصير الامور واليه الرجعى والمنتهى .



الفصل الثاني :

في ان الموت حق

في ان الموت حق

ثم انه تعالى بين ان اول يوم هذا الرجوع ، هو يوم الموت ،
وانه يوم السوق اليه سبحانه بقوله . كلاً اذا بلغت التراقي الى قوله ،
الى ربك يومئذ المساق .^١

وقد تكرر في القرآن المجيد ان الموت ليس باطلا " بل هو حق
كما في قوله تعالى . وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد .^٢
الباء في قوله . بالحق ، للتعدية نظير الباء في قوله . ان جائتكم
فاسق بنبا " وقوله . وجئتك من سبا " بنبا " يقين " ، فيصير المعنى .
جاءت غمرة الموت وشدته التي تغشى الانسان بالحق الذي هو الموت
فهو حق كائن ، وليس باطلا " يظنه طه الذين كفروا فويل لهم من
النار .

٢ - ق ١٩

١ - القيامة ٢٦ - ٣٥

٤ - النحل ٢٢

٣ - الحجرات ٦

و عبّر عنه باليقين في قوله تعالى . و اعد ربك حتّى ياتيک اليقين ، ^١ فإنّ المراد باليقين بملاحظة ما حتّف به الكلام من قبل و هو قوله عزّوجل ، فوربك لنستلنهم اجمعين عمّا كانوا يعملون ^٢ ، هو عالم الآخرة الذّي يتبدّل خبره عيناناً " ، و مثله قوله تعالى حكاية عن السلوكيين في سقر حتّى اتانا اليقين ^٣ ، و في التعبير بلفظه الاتيان ، ايماء الى ذلك ، فإنّ اليقين الذّي ياتي الانسان و يطلبه هو غاية وجوده و نهاية سيره و هي النشأة الاخرى .

والموت بهذا المعنى كان بيانه على عهد الانبياء والرسل صلوات عليهم ، حتّى عدّ من العقائد الحقّة ، لالموت الذّي بمعنى تعطلّ الحواسّ ، و بطلان المشاعر ، فإنّ المعنى الاخير مما يفهمه بعض الحيوانات العجم ايضاً " ، وهذا المعنى حيث كان بمعنى الانعدام المحض و بطلان الصّرف ، كان من اكبر ما يفزع منه الانسان ، و يحيد قديماً " و حديثاً " ، و يتخوّف منها شدّة الخوف ، فإنّه حيث يرى ، طرّو الفساد على الجسد ، و انحلال تركيبه بعد تعطلّ الحواسّ والمشاعر ، زعم أنّ الموت هو بطلان وانعدام !!

وقد حكى الله سبحانه وتعالى: عن مشركي الحجاز، انهم كانوا يتعجبون من الانبياء ببقاء الانسان، وان الموت ليس الا الانتقال من نشأة الى نشأة اخرى بقوله. و قالوا: اذا ضللتنا في الارض ائنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون. ١

وهذا كما ترى في مقام نقل بعض شبهاتهم في امر المعاد وهو: اننا بالموت ينحل تركيب ابداننا، وتتفرق اجزائها، فتدروها الرياح شرقا "غربا"، شمالا "جنوبا" الى اماكن بعيدة، فنضل في الارض وتعدم بالتلاشي، فكيف يمكن اجتماع تلك التفرقات وانضمامها حتى نكون في خلق جديد؟!!

فابطل سبحانه هذه المزعة بقوله. " قل يتوفاكم " يعني : ليس الموت هو الانعدام و البطلان بل هو التوفي، وهو اخذ الحق بتمامه و كماله، وان هناك ملكا " موكلا " بكم هو يتوفاكم و ياخذكم حق الاخذ، ولا يدعكم ان تضلوا، و اما الذي ينحل و يضل في الارض فهو ابدانكم التي هي القشور لكم و ليست هي انفسكم المدلول عليها بلفظة " كم "

ثم انه تعالى يقرر في موضع آخر ، بان جمع المتفرقات من اماكن
 حقيقة وضمها و تركيبها بصور بديعة لم يزل ولا يزال من صنع الله
 الذي كل يوم هوفى شان " فيقول " افرايتم ماتمنون اءنتم تخلقونه
 ام نحن الخالقون الى قوله . متاعا " للمقوين^١
 فانها وقعت جوابا " عن شبهات الذين كانوا يقولون " اذا
 متنا و كنا ترابا " و عظاما " اءننا لمبعوثون او آباءنا الاولون .^٢
 فبين تعالى في مقام رد هذه المزعمة ، بان المني الذي تمنون
 وتصبون الى الارحام انما يتكون من انواع الاغذية التي في اماكن
 متباعدة في ارجاء العالم ، و قد جمعها الله لكم بما اظركم اليه
 من الاجتماع والمدن و لوازمه من المعاشرة و المبادلة و غيرهما ، فتنا
 ولتم من تلك الاغذية ، فتحصل منها المني الذي تمنون بما سلت
 الله عليكم من الشهوة الجنسية ، فيجعله في قراركمين ، فيصوركم
 في الارحام ما يشاء .

فهذا الجمع والتصوير بمراى و منظر منكم ، و انتم تلمسونه
 في كل يوم ، فلاوجه للاستبعاد والاستيحاش من الجمع و التصوير
 بعد الانحلال و التفوق " و لقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون^٣ .

يعنى : لقد علمم ابتداء خلقكم من اجزاء الاغذية المتفترقة، في اطراف المعوزة المتقاصية، فهلاً " تذكرون و تعتبرون و تستدلون بالقدرة عليها على القدرة بالثانية، و هو الذى يبدء الخلق ثم يعيده و هو هون عليه .^١

والحاصل : ان الموت ليس بطلانا " و فناء كى يحيد منه الانسان و يضطرب بذكره، و يستوحش بنزوله، فيقول قولاً " لا يتفوه به الا لسو فسطى او الزنديق و هاك قول الشاعر الفارسى .

تركيب پياله اى كه در هم پيوست

بشكستن آن روا نميداردمست

چندين قد سرونازين و سرو دست

از بهر چه ساختوز براى چه شكست

يعنى :

هل الجام مهما تمّ صنعا " و دقة

برى كسره من كان منتشيا " سكرا "

فقيم برى الخلاق ساقا " لطيفة

وراسا " و كفاثم يكسرها كسرا "

وله أيضاً

از روی حقیقتی نهاز روی مجاز

بالعبتگانیم و فلک لعبت باز

بازیچه همی کنیم بر نطع و جود

افتیم بصندوق عدم یک یک باز

یعنی :

غدو نالذی الافلاک العباب لاعب

اقول مقالات لست فيه بکاذب

على نطع هذا الكون قد لعبت بنا

وعدنا لصندوق الفناء بالتعاقب

بل الموت هو ارتقاء النفس ورجوعها الى بارئها و حقيقته
التّوّفى في لسان القرآن الكريم والمتوّفى - باسم المفعول - وهى
النّفس هو حقيقة الانسان و هى غير بنيتها البدنية التي يعرضها
الفساد والانحلال بعد الموت ، و لعلّ اصرح الآيات في الباب هو قوله
تعالى . الله يتوّفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
فيمسك التيّ قضي عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى
ان في ذلك لآيات لقوم يتّفكرون^١

فإن التعبير بالاخذ والامساك صريح في أنّ حقيقة الانسان هي نفسه دون بنيته البدنية ، وأن النفس غير البدن ، والآيات التي تعبر عن النوم والموت بالتوفي كثيرة .

فما ورد في الادعية في مقام الاقرار بالعقائد الحقّة حتّى في تلقين الموتى ، من أنّ الموت حقّ ، يراد منه هذا المعنى ، اى التوفي وانتقال الروح الى عالمها كما لا يخفى .

وهذا المعنى هو المراد من خلق الموت في قوله تعالى . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا " ١ .

فان حياة البدن انما تكون بائسقاط اشعة النفس عليه ، فبقبضها و توفيقها عن البدن يرجع البدن الى ما يرجع ، وهذا المعنى ايضا " من مصرّحات الروايات المروية عن آل البيت عليهم السلام في ابواب مختلفة من القبور والمسائل ، و لاسيما ما ورد من الآثار ، في احوال الروح والنفس وحقيقة الروءيا ، فليراجع الطالب الى الباب ٤٣ من السماء والعالم من بحار الانوار ، و سيمربك لمحمة منه في مستقبل الابحاث انشاء الله تعالى .

الفصل الثالث :

في لمية اختلاف اسناد التوفي

في لمة اختلاف اسناد التوفي

وحيث تبين مما تقدّم أنّ حقيقة الموت ، هو توفّي النفس و قبضها ، وانتقالها الى ماينا سيها من العوالم فينبغي ان تعلم وجه اختلاف نسبة التوفّي في القرآن الكريم ، حيث يسنده تارة الى الله عزوجل كما في قوله . الله يتوفّي الانفس حين موتها^١ ، وقوله حكاية عن عيسى عليه السلام " فلما توفيتني^٢ " الى غيرها من الآيات .

ومرة اخرى ينسبه الى ملك الموت عليه السلام و هو قوله . قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكلّ بكم^٣ .

و ثالثة . الى الرسل الذين هم ملائكة الله لقوله تعالى : الله يصطفى من الملائكة رسلا^٤ ، كما في قوله . توفته رسلنا وهم لا يفرطون^٥

١ - الزمر ٤٢ ٢ - المائدة ١١٧ ٣ - السجدة ١١
٤ - الحج ٧٥ ٥ - الانعام ٦١

و قوله . فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم^١
و غيرها من الآيات .

و نظير هذا الاختلاف ، اختلاف اسناد الاضلال في القرآن
الكريم ، فانه يسنده تارة الى الله سبحانه كقوله تعالى . اتريدون ان
تهتدوا من اضل الله^٢ ، ويقرب منه قوله عزوجل . فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم^٣ ، و غيرها من الآيات .

واخرى يسنده الى الشيطان كقوله . ولقد اضل منكم جبلا "كثيرا"^٤ ،
و ثالثة ينسبه الى الطغاة من ابناء البشر مثل قوله : و اضل فرعون
قومه و ما هدى^٥ ، و قوله : و اضلهم السامري^٦ .

ورابعة الى الاصنام كما في قوله تعالى . حكاية عن دعاء الخليل
عليه السلام . و اجنبي و بني ان نعبد الاصنام ، رب انهن اضلن
كثيرا " من الناس^٧ ، و غيرها من الآيات المناسبة للفعل تارة الى

٢ - النساء ٨٨

١ - محمد ٢٧

٤ - يس ٦٢

٣ - الصف ٥

٦ - طه ٨٥

٥ - طه ٧٩

٧ - ابراهيم ٣٥ - ٣٦

اللّه عزّاسمه واخرى الى غيره .

اقول : هذه المسئلة تستقى من مسئلة اخرى ، لها بالنسبة اليها والى مسائل اخرى امومة ، وتلك الام هي كيفية ربط الموجودات الامكانية بالواجب بالذات عزوجل ، و من اهم تلك المسائل المرتضعة من ثدى هذه الام ، مسئلة الجبر والتفويض التي هي من اقدم المشاكل الشاغلة

لافكار الفلاسفة ورجال الدين ، من نواح مختلفة ، ناحية الاخلاق ، و ناحية القانون ، و ناحية التاريخ ، وهي . هل نحن مجبورون على ما نعمل فلانستطيع ان نعمل غيره . اونحن مختارون في العمل وان الواجب تعالى خلقنا وفوض الينا اعمالنا فلنا الاستقلال في مقام العمل و بهذا يستصح مسئولية الانسان العاقل في -
قبال عمله .

توضيح ذلك : انه قد فرغ في موطنه ان احتياج الممكن "المعبر عنه بالليسية الذاتية واستوائية الجانبين اوسلب ضرورة الطرفين" الى المرجح الايجابي ، من الاوليات ، لوضوح بطلان الترجيح بلا مرجح ، و امتناع الصدفة والاتفاق ، فكل ممكن مالم يترجح وجوده بغيره لم يوجد ، و ذلك السبب المرجح مالم يبلغ ترحيحه الى حد الوجوب و امتناع عدم المقابل لم يكن مرجحاً ، بل هو باق بعد

في حدّ الامكان ، فيستوي اليه الطرفان ، فيستنّج من ذلك أنّ الممكن في خروجه من ظلّمة اللّيس الى ساحة نور الّايس ، محتاج الى السّبب الّايجابيّ ، وهذا واضح لا يقبل النكيرة .

وانّما الكلام والسّؤال في أنّ هذا الاحتياج والافتقار هل ينقطع بعد الّيجاد ام هوباق بعد ؟ و بعبارة اخرى : احتياج الممكن الى العلة الموجدة هل هو مقصور في الحدوث ؟ ام يعمّ الحدوث و البقاء ؟

زعمت طائفة من المتكلمين ان افتقار الممكن الى المرجح الموجد مقصور في الحدوث ، و منهم من قال بانّ الحدوث ، مناط الحاجة ، فاذا حدث فقد استغنى ، حتّى صرح بعضهم بانّ الباري لوجاز عدمه العياذ بالله لما صرّ عدمه وجود العالم بعد الحدوث !! وبتّرتب عليه أنّ الّافعال الصّادرة عن الفواعل مجردة كانت ام مادّية ، والآثار و الخّواص المترتبة على الاشياء ، و بالحملة كلّ ما يتفرع على أيّ شيّ كان ، فهي صادرة عنها على سبيل الاستقلال ، و ليس للواجب تعالى تاثير فيها !!

و هذا القول كما ترى ماخوذ من معتقدات اليهود المشار اليها في قوله تعالى : قالت اليهود يد الله مغلولة ^١ ، و عليه فافعال

العباد مخلوقة لهم و باختيار هم المحض ، و في مقدرتهم ان يفعلوا
 هاوان يتركوها من غير دخل لارادة الله تعالى و قدرته .
 فالله سبحانه وتعالى اوجدهم وبعدا لايجاد فوض اليهم اعمالهم ،
 هذا هو القول بالتفويض والقدر ، واول من قال بهذا القول من المسلمين .
 معبد بن عبد الله الجهني البصري ، فافسد عقايد المسلمين فكانت
 نهاي قامره ان اخذه عبد الملك بن مروان فقتله وصلبه بدمشق في
 سنة ثمانين من الهجرة .

ثم تروى هذا القول المتهود في حجر المعتزلة ، واثار عند
 المعتزلة وخصومهم مسائل كثيرة متفرعة عليها ، فمنها مسئلة التولد ،
 و قد تشعب آرائهم فيها ، فمن اراد البسط فليراجع الى مظانها .
 و قابلهم قوم فقالوا . بانه تعالى كما هو خالق للفواعل ، خالق
 لآثارها ، و الخواص المترتبة عليها ، و انما جرت عادة الله تعالى
 بخلق الآثار و الخواص عقيب وجود تلك الفواعل و المبادي ،
 كاشراق الشمس عقيب طلوعها ، و احراق النار لتلوجودها ، فاخترع
 من هولاء القوم بوالحسن الاشعري مسلکاً سماه " الكسب " بمعنى ان
 الله تعالى اجري العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد و ارادته ، لا بقدرة
 العبد و ارادته فهذا الاقران " هو الكسب " و هو كما ترى شكل آخر في
 التعبير عن الجبر مع كونه مختصا " بفعل الانسان ظاهرا " .

فالجبرية تعتقد بأن الأشياء كلها منعزلة عن السببية والتأثير ،
وأن الإنسان مجبور ، وليس لها اختيار ولا قدرة على خلق افعاله ، و
هو كالريشة في مهب الريح ، او الغناء الملقى على الامواج ، وانما
يخلق الله الاعمال على يديه .

وآول من اشتهر في الاسلام بهذا القول رجل من اهل خراسان
يقال له جهم بن صنوان المقتول في سنة ١٢٨ من الهجرة ، ثم ترعرع
ذاك الرأي حتى بلغ اشدّه في حجر الاشعرية وما ربما يقال . ان
الاشعرية هم اهل السنة والحديث ، فلا يقولون بالجبر والتفويض ،
فشط من الكلام ، لان شيخهم ابا الحسن الاشعري - المتوفى سنة ٣٣٥
قد صرح في كتابه المسمى بمقالات الاسلاميين ، بان العباد لا يقدر
على خلق شئ من اعمالهم ، وان اعمالهم كلها من الحسنات و
السيئات مخلوقة لله ، تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا "

وهذا القول كما ترى ، هو القول بالتشبيه حيث اخرج الواجب
عزوجل عن علو الوجود الى حضيض الامكان كما ان القول بالتفويض
تعطيل و اخراج للممكن عن حده الى الوجود الذاتي ، فتلك
انغاليطهم الضالة المضلة بما نكبوا عن الصراط المستقيم .

لقد صدق ولي الله تعالى مولينا الرضا عليه الصلوة والسلام

حيث قال : في جواب من سئله عن الجبر والتفويض : فالقائل بالجبر

كافر ، والقائل بالتفويض مشرك .^١

أما كفر القائل بالجبر ، فلأنه تعالى بسيط الحقيقة غاية البساطة ، فلا يشوبه ما يغيره من عدم أو عدمي فهو تعالى واجد لكل حقيقة وجودية ، فله عز وجل كل صفة كمالية حيثيتها حيثية الوجود ، بمعنى كونها منتزعة عن موجود من حيث أنه موجود كالعلم والقدرة والحياة ، فإنها بصرفاتها ثابتة للواجب بالذات فلها الأسماء الحسنى ، وكل من هذه الصفات الكمالية عين ذاته المقدسة ، وبالعكس ولولا ذلك لكان الذات المقدسة محدودة بالنسبة إليها وقد ثبت أنها غير محدودة ، وهذا خلف ولازم بساطة الذات وصرافة الصفات أن ما يصدر منه يكون من حاق ذاته و صرف حقيقته ، فلو صدر المتجددات والمتصرّات عنه تعالى بالمباشرة وبلاوسط ، يلزم منه التصرّم و التغير في ذاته و صفاته ، وبالتالي يلزم حدوث القديم بالذات ، أو قدم الحادث ، و ثبات المتغير بالذات .

وربما يقال : أنّ ذلك في غير الفاعل المختار و أما الفاعل - المختار فله ان يفعل ما يختار و يشاء ، فشطط من الكلام فان مشيئته و ارادته علمه تعالى ، و علمه عزّوجلّ عين ذاته و حدوث الارادة و العلم هو بعينه حدوث الذات و منشاء تلك الاغاليط هو قياس ارادة تعالى

وعلمه وفعله الاختياري على ارادتنا و علمنا و فعلنا الاختياري التي
كلها حادثات فإين الانسان المتغير السّيال الوجود والواجب
بالذات ؟

و ما قد يذهب الى الاودها من ان ذلك مستلزم للقصور في قدرته ،
ومغلوبيته ، واحتياجه في الافاضة والخلق الى الواسطة ، فاعلوة
اخرى ، فان اقتضاء الغاية الربانية ، الترتيب الاقوم والنظام الاتم
في الموجودات الامكانية ، من حيث الربط والتعلق بالواجب القيوم
بلا وسط او مع وسط ، او اوساط ، ليس لقصور في قدرته تعالى بل
النقصان في القابل والمستفيض ، وكيف يتوهم النقصان والاحتياج
فيه تبارك وتعالى ، مع ان الاوساط عين الربط والتعلق بالقيوم المطلق .
فالقيوم المتعالي لا ينسب الى العجز والنقصان ، بل المستفيض ،
ناقص لا يكاد يتلقى الفيض من الجواد المطلق الا بوسط ، او وسائط ،
والى ذلك الاصل يشير قول سيدنا الموحدين امير المؤمنين عليه السلام
حين سئل هل يقدر ربك ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ان تصغر
الدنيا او تكبر البيضة !!؟

قال عليه السلام . ان الله تبارك وتعالى لا ينسب الى العجز ،
والذي سالتني لا يكون^١ ، ويقرب منه الخبر^٩ و^{١١} في ج ٤ من البحار
ص ١٤٣

وفي توحيد الصدوق ره باسناده عن محمد بن ابي عمير عن ابي عبد الله عليه السلام قال : ان ابليس قال لعيسى بن مريم ع .
ايقدر ربك علي ان يدخل الارض في بيضة لا يصغر الارض ولا يكبرها -
لبیضة ؟

فقال عيسى عليه السلام . و يلك ان الله لا يوصف بعجز ، و من
اقدرومن يطف الارض و يعظم البيضة^١ ؟ يعني انك في طي سئوالك
انه تعالى قادر علي كذا من تصغير هذه و تكبير تلك ، قد ادعنت
بالقدرة علي ذلك مع التصغير والتكبير و اي قدرة اقوى من ذلك ؟
فبين من ذلك كفر الجبرية ، حيث انزلوا الواجب تعالى عن
علم مقامه الي حضيض الامكان ، و سجن الزمان و المكان ، تعالى عما
يقول الظالمون علوا كبيرا .

و اما اشراك المفوضة ، فلان القول باستقلال الممكن في التأثير
والايجاد ، و هو القول بانقلاب الامكان الي الوجوب الذاتي ، و
خروجه عن اللبسية الذاتية الي الغناء الذاتي ، فجعلوا الله شركاء ، فهولاء
و اليهود القائلة "يدالله مغلولة" سواسية ، و قولهم هذا افحش
من قول المجوس ، فان المجوس قالوا بالمبدئين . مبدء الخير و سموه

يزداناً"، ومبدأ الشروسموه اهرمنا"، ولكن مجوس الأمة المرحومة قالو بمباد غير متناهية، فهولاء كهولاء، ما قدر والله حق قدره ولم يحفظوا مقام الربوبية والحقوق الامكانية، فالجبرية عورت عينها اليمنى ثم سرى عور ها الى اليسرى، والمفوضة بالعكس، و ذوالعينين هو لقاتل بالامربين الامرين، حيث اعطى كل ذي حق حقه، وهذا هو مذهب الأمة الوسط، المصرح به في القرآن العظيم، والمستنتج من البرهان القويم.

فانه بعدما علم ان استقلال الممكن في اليجاد، و صدور المتغيرات عنه تعالى بلا وسط ممتنع، استبان طريق الأمة الوسطى، و هو كون الموجودات الامكانية مؤثرات لكن لا بالاستقلال، والفاعل بالاستقلال في دار الوجود ليس الا الله تعالى، والموجودات الامكانية كما ان وجوداتها عين الربط والتدلي بالحي القيوم كذلك آثارها و افعالها عين الربط والتعلق به تعالى، بآثارها و افعالها مع كونها آثارها و افعالها، آثار الله تعالى و افعاله، والى ذلك يشير قوله تعالى. و مارميت اذ رميت ولكن الله رمى^١، فاثبت الرمي له من حيث نفاه، لان رميه لم يكن منه بالاستقلال، بل بحول الله وقوته،

فذلك الرمي بعينه هو رمي الله .

ومثل قوله . وماتشؤون الآن يشاء الله ^١ ، فنفس مشيتهم هي مشية الله تعالى ، فليس هناك مشيتان موثرتان بالاشتراك ، بل مشية الممكن هو ظهور مشية الله عزوجل فمشية الممكن مع كونها مشيئته هي مشية الله تقدّستا سمائه ، ويفصح عن ذلك كله قوله عزاسمه :

افمن هو قائم على كلّ نفس بما كسبت ^٢ .

فانقدح مما ذكرنا أنّ المتوفي للأنفس بالاستقلال ليس إلاّ الله ، مع كون التّوفي فعل ملك الموت واعوانه من الرسل والملائكة عليهم السلام ، كذلك الكلام في امر الضلال والخداع والمكر ونحوها ، و قدورد في بعض الاخبار ما يفسر التوفي بنحو ما اوضحنا لك .

فمنها ما رواه في الاحتجاج والتوحيد في خبر من اتى امير المؤمنين عليه السلام مدعيا " للتناقض في القرآن قال عليه السلام . اما قوله . يتوفّيكم ملك الموت الذّي وكلّ بكم ، ثم ذكر سائر الآيات في التّوفي الى ان قال . : فانّ الله تبارك وتعالى يدبر الامور كيف يشاء ويوكّل من خلقه من يشاء بما يشاء ، اما ملك الموت فانّ الله عزوجل يوكّله بخاصّته من يشاء من خلقه ، ويوكّل رسله من الملائكة خاصة بمن يشاء من خلقه تبارك وتعالى ، والملائكة الذّين سمّاهم الله عزوجل

وكلهم بخاصة من يشاء من خلقه ، انه تبارك و تعالی يدبر الامور كيف يشاء و ليس كل العلم يستطيع صاحب العلم ان يفسره لكل الناس لان منهم القوى والضعيف . لان منه ما يطاق حمله ومنه ما لا يطاق حمله لان يسهل الله له حمله واعانه عليه من خاصة اوليائه وانما يكفيك ان تعلم ان الله المحيي والمميت وانه يتوفى النفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكة وغيرهم^١ .

هذا الخبر الشريف مضافا " الى كونه يفسر اختلاف اسناد التوفي ويصححه بما ذكرنا ، يشير الى لطائف آخر : فمنها ان اختلاف المتوفي " بالكسر " على حسب اختلاف مراتب المتوفى " بالفتح " فان قوله عليه السلام . اما ملك الموت فان الله عز وجل يوكله بخاصته من خلقه ظاهر " في ان ملك الموت عليه السلام موكل في توفي نفوس الخواص و منه يستشمن ان توفي نفوس الاخص من اولياء الله تعالى لعله يكون بتوكيل من هو اقرب الى الله عز وجل من ملك الموت وان كان الكل من عند الله كما علمت آنفا " من ثبوت الوسائط في الاستفاضة من الجواد المطلق ، و ماربما يسبق الى الوهم من كون توفي نفوس الاخص من الله تعالى من غير وسط مدفوع بما بينالك من قبل ، و ما اسند اليه

من قوله تعالى . يا عيسى اني متوفيك " لاسناده فانه سبحانه نسب الى نفسه توفي الانفس كلها في موضع آخر بقوله . الله يتوفى الا نفس حين موتها .

و منها ان قوله عليه السلام انه يتوفى الانفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم ظاهرا " يبلغ الصراحة في ان قبض الارواح و توفي النفوس ربما يقع بغير ايدي الملائكة عليهم السلام من سائر مخلوقاته ولعمرك هذا من لطائف الاخبار الناطقة بتمكن البعض في اسمه القابض و فئاته فيه .

ان قلت . ان البيان المذكور قد انحل به عقدة اختلاف نسبة التوفي ، واما اسناد الاضلال والخداع والمكر والختم والطبع والكييد والاستدراج و نحوها اليه تعالى من غير تاويل ، فربما لا تطيب نفس المؤمن من بل يمتلي غضبا " اذا سمع احدا " يقول . ان الله ما كروكائد و مضل ، و ربما يريد ان يبطش بالذي يقول مثل هذا القول ، حيث يحمل قوله على سوء الادب لولم يذكر تاويلا .

والحاصل ان المذكور من البيان غير كاف في تصحيح اسناد امثال تلك العناوين من غير تاويل الى الله تبارك و تعالى عن كل نقص و

شين ، و حيث قد اسندت اليه تعالى في القرآن المجيد فلا بد من
تاويل في ذلك الاسناد ، فما ذلك التاويل اللّازم في تنزيه ساحته الرّ
بوتية عن كلّ نقص و عيب ؟

قلت . ان الامعان في البيان المذكور كاف في حلّ تلك العقدة
ايضا ، " فاسناد الاضلال و اخواته الي الله تعالى على سبيل الحقيقة
دون المجازع تحريدها عما لا يليق بعلو جلاله ولا يتوهم من التجريد
لزوم المجازية فان الالفاظ على ما حقق في محلّه موضوعة للمهيات
باعتبار الاغراض والغايات فيكون الغرض والغاية في صدق اللفظ
على المسمى حيثية تقييدية ، بمعنى ان المدار في صدق الاسم الموضوع
على المسمى هو اشتمال المصداق على الغرض والغاية ، واما الخصوصيات
الخارجة عن الغرض فلا دخل لها في جوهر المعنى . فالضلال مثلا "
هو العدول عن المنهج المستقيم ، والاضلال هو اماله انسان مثلا " و
العدول به عن ذاك المنهج و اضلال الله اياه عبارة عن انه تعالى
حيث خلقه ضعيفا " شديدا الانفعال ، يتأثر من كلّ مؤثر ويلزم في
عنقه طائره ، فاذا عمل عملا " او تكلم بقول انعكس منه في قلبه ،
فاذا تكررت منه السيئات بسوء اختياره و احاطت به خطيئته فقد
ضلّ عن الطريق المستقيم ، و اضله الله تعالى على علم و حال بينه
و بين قلبه فيكون قلبه مختوما " مطبوعا " و حقت عليه الغشاوة و

الرّين والكنان ونحوها ، كلّ بحسب ماله من الغرض الدّاعي الى وضعه ، فيستنتج من ذلك ، أنّ الله خالق كلّ شيء فالكّل مخلوق له تعالى ، ومن حيث أنّه مخلوق حسن لاشين فيه و هو قوله عزّ اسمه الذي احسن كلّ شيء خلقه ^١ ، فهذه آلاية بمنزلة الكبرى لقوله تعالى الله خالق كل شيء ^٢ ، و نتيجته هاتين المقدمتين . أنّ كلّ مخلوق من حيث أنّه مخلوق له تعالى حسن لانقص فيه ولاخراسة فتلك العناوين المنسوبة لله تعالى بما أنّها مخلوقة له تعالى حسنة جميلة لا يتطرق اليها نقص ولا شئار و هو القضاء العدل والحكم الحقّ والقدر الجميل ، و تدبّر في قول سيّد العارفين عليه السلام في دعاء كميل . فغرّني بما اهوى واسعده على ذلك القضاء الى قوله فلك الحمد ^٣ على في جميع ذلك ولا حجة لي فيما جرى على فيه قضائك والزمني حكمك وبلاءك . فما اللفظ قوله عليه السلام : " فلك الحمد ^٣ يعني انه سبحانه في قضاء ، ذلك القضاء هو المحمود المطلق و ان كان المقصّي - وهو السّجّاز على بعض حدود الله ، و مخالفة بعض او امره - غير محمود ، والى مثله يهدف قول المتيم بحبّ الله ابي عبد الله الشهيد (ع)

٢ - الزّمر ٦٢ والرعد ١٦

١ - السّجدة ٧

٣ - فلك الحجة . في بعض النسخ

في مفتتح دعاء عرفة: "الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع" فيأله
من كلام ما لطفه و بنفسى هو من داع ما احسن ادبه؟ ..
حيث قدّم وصفه عزّوجلّ بالمحمودية المطلقة ثم بنفى الدافع
لقضائه اشعاراً "بانه تعالى في قضائه ايّ قضاء كان، محمود مطلقاً"
و بالجملة انّ الله تعالى خالق كلّ شيءٍ و قد احسن كلّ شيءٍ
خلقه فهو القويوم على جميع الاشياء بما لها من الآثار، ومنها الانسان
بجميع ما هو عليه من الفعل والتدبير والاطاعة والعصيان والكفر و
الايمان والاساءه والاحسان والضلال والهداية و غيرها الا ان نسبة
غير المرصّي من تلك العناوين اليه تعالى لا تجوز مستقيمة فانّ الله
سبحانه لا يفعل الاّ ما هو الجميل ولا يرضى لعباده الكفر ولا يامر بالسوء
والفحشاء، واما الاسناد الغير المستقيم المعبر عنه في القرآن بالاذن
فلامنع منه، انّ الله بالغ امره قد جعل الله لكلّ شئٍ قدراً،
فهو سبحانه قد اذن لابليس في الوسوسة و لم يمنعه عن الاضلال و
الاغواء، والتزيين والنزع و غيرها و اذن للانسان و لم يمنعه من اتّباع
الهوى ليتم امر الابتلاء، لانّ السعادة والشقاوة مبنيّتان على الاختيار
فمن سعد فباختياره ومن شقى فباختياره و لولا ذلك لم يتمّ الحجّة،
و لم يستقم قوله تعالى . و ليبلوكم ايكم احسن عملاً"، فالذين
اطاعوا الشيطان و اتّبّعوا خطاياه فضلوا و اذلوا اليسوا بمعجزين للموخرقين

لقيمومته تعالى فكفر هم و ضلالهم ونفاقهم و اضلالهم و غير ذلك من آثار وجودهم كانت بمشيئة الله عزوجل مشيئة اذن لامشيئة حتم وكل ذلك مما يعلمه القرآن الكريم و يبيئه الاخبار الصادرة من رسول الله وآله المعصومين صلوات الله عليه وعليهم ولولا ذلك لم يستقم قيمومته تعالى على كل شيئي ولم يتحقق كلمة التوحيد ، فانه القيوم المطلق وهو الله الواحد القهار .

و مما ذكرنا اتضح عالم الوجود بما احتوى عليه من انواع الموجودات بقضها و قضيضها مرتبط الاجزاء ومتلائم الابعاض وكذلك الحوادث الجارية متشابهة مرتبط ارتباط اعضاء الجسد الواحد فادنى تغيير مافي اية ذرة من ذرات العالم مسبوق بالعلم و متعاقب بالحكمة و ان خفي علينا ، و هذا الناموس هو الذي يذكره القرآن العظيم ، من اتصال التدبير في السموات والارض وما انزل من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها و تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض الى غير ذلك ، فالكل متعاقد و متعاون فلا يعصون الله عزوجل في ما امروا به من اقامة غرض الخلقة " اولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتخيروا اظلاله عن اليمين والشمال سجداً " للذ و هم داخرون و لله يسجد ما في السموات و ما في الارض من دابة و والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون

وكذلك عناوين الافعال والاعمال مرتبطة ارتباط الامور المتقابلة المتعاندة فلو لا حد المتعاندين لم يستقم امر الاخر كما شاهدناه من امر الصنع والايجاد حيث ان تكون شيئا ما متعاق مع فساد الآخر، فالطاعة حسنة لان المعصية سيئة والحسنة موجبة للثواب لان السيئة موجبة للعقاب، والثواب لذيذ لان العقاب مؤلم واللذة سعادة مرغوب فيها لان الالم شقاوة مهروب عنها وهكذا .

الفصل الرابع :

في الكشف سرية الاسباب بالموت

في انكشاف سر ائمة الاسباب بالموت

انّ عناية الله تعالى قد قصّت بان يكون استكمال الانسان و
وصوله الى سعادته الاخيرة بالعلم والعمل الصّالح وذلك تدريجيّ
الحصول له ، فلا بدّ من هبوطه الى عالم القوّة والتّدرّج واستقراره
في الارض و تمتّعه فيها الى حين وهو قوله تعالى " وقلنا اهبطوا
بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الارض مستقرّ ومتاع الى حين ^١ .
فمن عنايته عزّوجلّ باستكمال الانسان وايصاله الى الغاية .
ان القى التعلّق بينه وبين ما على الارض من زينة الحياة الدّنيا وزهر
تها وسخر عليه اذعانات و علوماً و هميّة تتكوّن عنها الارادة والنزوع
الى الفعل وحبب اليه المال والجاه والمقام والرياسة والثروة وامثالها
واستعمره فيها وخلاه واختياره مشفوعاً " بالنذر والحجج البوالغ
حتّى اذا بلغ الكتاب اجله قمصته الدّنيا بارجلها و اعلقتة اوهاق

التمنية قائده لهالى ضنك المضجع وحشة المرجع و معاينة المحل
و ثواب العمل فعند ذلك تتقطع بهم الاسباب و ضلّ عنهم ما كانوا
يزعمون و ينكشف لهم سرايية الاسباب التي كانوا يزعمون استقلالها
في التأثير والايجاد .

قال استاذنا في المعارف الحقّة مولينا العلامة الطّباطبائي روي
فداه في قوله تعالى . " أَنَا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ
أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا " . و أَنَا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا " جزأ " ١
الزينة : الامر الجميل ينضم الى الشئ فيفيده . جمالا " يرغب
اليه لاجله والصعيد : ظهر الارض

والجزز : الارض التي لاتنبت كآنها تاكل النبت اكلاً ، ثم قال
مدّ ظلّه الوارف :

ولقد اتى في الآيتين ببيان عجيب في حقيقة حياة الانسان
الارضية ، و هوانّ النفوس الانسانية - وهي في اصل جوهرها علوية
شريفة - ما كانت لتميل الى الارض والحياة عليها و قد قدر الله ان
يكون كمالها و سعادتها الخالدة بالا اعتقاد والحقّ والعمل الصّالح
فاحتالت العناية الالهية الى توقيفها موقف الاعتقاد والعمل الصّالح

وايصالها الى محك التصفية والتطهير واسكانها الارض الى اجل معلوم بالقاء التعلق والارتباط بينها وبين ما على الارض من امتعة الحياة من مال وولد وجاه و تجيبه الى قلوبهم فكان ما على الارض و هو جميل عندهم ، محبوب في انفسهم زنية للارض و حلية تتحلّى بها لكونه عليها فتعلقت نفوسهم على الارض بسببه واطمأنت اليها فاذا انقضى الاجل الذي اجله الله تعالى لمكثهم في الارض بتحقيق ما اراده من البلاء والامتحان سلب الله ما بينهم وبين ما على الارض من التعلق و محى ماله من الجمال والزنية و صار كالصعيد الجز الذي لانبت فيه ولانضارة ونودي فيهم بالرحيل وهم فرادى كما خلقهم اول مرة و هذه سنة الله تعالى في خلق الانسان واسكانه الارض وتزيينه ما عليها له ليمتحنه بذلك ويميّز باهل السعادة من غيرهم فياتي سبحانه بالجيل بعد الجيل والفرد بعد الفرد فيزيّن له ما على الارض من امتعة الحياة ثم يخلّيه واختياره ليختبرهم بذلك ثم اذا تم الاختيار قطع ما بينه وبين زخارف الدنيا المزيّنة ونقله من دار العمل الى دار الجزاء^١

قال تعالى : " ولوترى اذا الظالمون في غمرات الموت والملائكة

باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن آياته تستكبرون ، لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة و تركتم ما خولناكم وراء ظهوركم و ما نرى معكم شفعاء كم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وصل عنكم ما كنتم تزعمون^١

قال دام مجده في بعض رسائله . " اعلم ان الانسان انما يختلط في هذه الدار بقسمين من موجوداتها احدهما ، ما يزعم انه يملكه من رينة الحياة الدنيا و زخرفها و يستعين به في آماله و امانيه و اغراضه و غاياته ، و الثاني ما يرتبط به مما يزعمه شفيعا " لا يتمكن من بلوغ المآرب الا بشركته و تاثيره من ازواج و اولاد و اقارب و اصدقاء و معارف اولى القوة و البأس .

فاشار سبحانه الى بطلانهما بالجمله بقوله . " لقد جئتمونا فرادى " والى زوال القسم الاول بقوله . " و تركتم ما خولناكم " والى زوال القسم الثاني بقوله . " و ما نرى معكم شفعاء كم والى سبب البطلان بقوله . " لقد تقطع بينكم " والى النتيجة بقوله " و ضل عنكم " .
و بالجمله فيبقى ما في الدنيا في الدنيا و تشرع من حين الموت

حياة اخرى للانسان فاقدة لجميع ما في الدنيا ولذلك سمي الموت بالقيامة الصغرى "انتهى موضع الجاحه من كلامه مده"
 قال الزمخشري في الكشاف في ذيل قوله تعالى . "اخرجوا انفسكم"
 ان هذا تمثيل لفعل الملائكة في قبض ارواح الظلمة بفعل العزيم الملح
 ببسط يده الى من عليه الحق ليعنفه في المطالبة ولايمهله و يقول له :
 اخرج مالي عليك الساعة ولاريم - اى لا ابرح - مكاني حتى انزعه
 من احدا فك "

و قال شيخنا العلامة الطباطبائي دام علاؤه . " انه امرتكويني
 لان الموت والوفاة ليس في قدرة الانسان كما الحياة حتى يؤمر بذلك
 فالمرتكويني والملائكة من اسبابه والكلمة مصوغة صوغ الاستعارة
 بالكناية "

اقول . نظير ما ذكره روى فداه قوله تعالى . " ولكن كره الله
 انبعاثهم فثبطهم وقيل اعدوا مع القاعدين " ١

ومن آيات الشريعة الناطقة بانكشاف الحقيقة و بطلان الاسباب
 وضلال الشفعاء بالموت قوله تعالى . " فمن اظلم ممن افترى على الله
 كذبا " او كذب بآياته ، اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا

جاءتهم رسلنا يتوَقَّونهم ، قالوا اين ماكنتم تدعون من دون الله؟
قالوا ضلّوا عنّا و شهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين^١ "
و منها قوله تعالى : " ولوترى اذ فرعوا فلافوت واخذوا من مكان
قريب . و قالوا آمنابه ، و انى لهم التناوش من مكان بعيد . و قد
كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد ، و حيل بينهم
و بين ما يشتهون كما فعل باشيا عهم من قبل انهم كانوا فى شك
مريب^٢ "

يعنى : لورايت الكفار حين را و ابأس الله تعالى عند معاينة
الملائكة لقبض ارواحهم واخذوا اخذا " لافوت فيه من مكان قريب وهو
ظهر الارض ، ، لرايت امرا " عظيما " وهم عندئذ ، قالوا آما بما وراء
الطبيعة و لكن هيهات ، و لا يمكنهم تناول الايمان فى مكان بعيد . و
هى الدنيا فانها موطن الاعتقادات الحق والعمل الصالح و قد ارتحلوا
عنها و تقطعت بهم الاسباب ، و هم قد كفروا بما كان غائبا عنهم
فى الحياة الدنيا و يرمون به من ذلك المكان البعيد ، كما يرمى
الحجر والشئ الخسيس الذى لا ينتفع به ، كانوا يعملون مع انباء الغيب
عملهم مع الشئ الخسيس الواجب الرمى ، و جعل بينهم و بين ما

يشتهون و يحبّون من الجاه والمقام واللذائذ بالموت الهادم للذات
الى غيرها من الآيات .

الفصل الخامس :

في ما يعاين عند الموت

في ما يعاين عند الموت

قد استبان مما مرّ في الفصل الرابع أنّ بنزول الموت تشرع حياة
اخرى، سمّاها القرآن الشريف حياة برزخية بقوله:
" حتّى اذا جاء احدهم الموت ، قال ربّ ارجعون لعلّى اعمل صالحا "
فيما تركت كلّاً أنّها كلمة هوقائلها و من ورائهم برزخ الى يوم يبعثون " ١
و تلك الحياة كما هو ظاهر الآية برزخ و وسط بين الحياة الدّنيا
و بين الحياة الآخرة وسيأتى ما يتعلّق بشئون هذه الحياة و نسخها من
البحث ، والدّي يجبان نخوض فيه الآن هو البحث عما ورد من
الروايات فيما يعاين الموء من والكافر من الكرامة والهوان عند نزول الموت
وغمراته و هي كثيرة جدّا " نذكر شطرا " منها :
فمنها ما روى عن مولانا زين العابدين . " قال اللّهُ عزّوجلّ : ما
من اتردد عنه ترددي في قبض روح الموء من ، يكره الموت وانا اكره مساءته
فاذا حضراجله الدّي لا يوءخر فيه بعثت اليه بريحانيتين من الجنّة

تسمى احديهما المسخية ، والاخرى المنسية فاما المسخية فتسخره عن
ماله واما المنسية فتنسيه الدنيا^١

اقول : هذا المضمون اى نسبة التردد الى الله سبحانه في
قبض روح الموءم من قد تكرر في روايات الفريقين ففي الكافي عن
ابى جعفر الباقر عليه السلام قال : " لما اسرى بالنبي صلى الله عليه
وآله ، قال : يا رب ، ما حال الموءم من عندك ؟ قال : يا محمد من
اهان لي وليا " فقد بارزني بالمحاربة ، وانا اسرع شى الى نصره
اوليائى ، و ما ترددت فى شىي انا فاعله كترددى في وفاة الموءم من ،
يكره الموت واكره مساءته ، وان من عبادى المومنين من لا يصلح الا
العناء ولو صرفته الى غير ذلك لهلك ، وان من عبادى المومنين من
لا يصلحه الا الفقر ولو صرفته الى غير ذلك لهلك ، و ما يتقرب الى
عبد من عبادى بشىي احب الى مما افترضت عليه وانه ليتقرب الى
بالنافلة فاحبه فاذا اجيبته ، كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى
يبصر به ولسانه الذى ينطق به ويده التى يبطش بها ان دعانى اجبته
وان سالتنى اعطيته^٢

ان قلت : ان الثابت فى هذا الخبر صيرورة الحق عزوجل ،

١ - البحار ج ٦ ص ١٥٢ ٢ - الكافي ج ٢ و يقرب منه الخبر ٢٤ و
٢٥ البحار ج ٦ ص ١٦٠

سما" و بصرا" و لسانا" ويدا" للعبدالموء من، والثابت في بعض الاخبار بالعكس كما في "الخبر المروى عن الصادق عليه السلام في - باب النوادر من كتاب توحيد الكافي : " ان الله خلقنا فاحسن خلقنا وصوّرنا فاحسن صورنا و جعلنا عينه في عباده و لسانه الناطق " و هذان بظاهرهما متنافيان فكيف التوفيق بينهما ؟

قلت : وجه التوفيق اختلاف الاعتبار والحیثیات ، فان نسبة الذوات المستغرقة في جلال الله تعالى كنسبة قوانا الى نفسنا فان فعلها فعل النفس ولكل منهما اعتباران : اعتبار كونها ملحوظة بذاتها فاذا نظرت الى الباصرة مثلا " فوجدتها مدركة للمرئيات و لكن بمعونة النفس فكانت الباصرة هي الذات الفاعلة حينئذ والنفس بصرها " و اذا نظرت الى النفس و أنّها تفعل الا ان فعلها بتوسط تلك الآلة فكانت النفس هي الفاعلة والآلة بصرها فعلى هذا القياس حال الاولياء عليهم السلام فان كان الحق هو الظاهر يكون الولى سمعه و بصره و لسانه وان كان الخلق هو الظاهر يكون الحق سمعه و بصره و لسانه و يده فافهم و في اخبار الباب ، ماروى عن مولينا الصادق عليه السلام : " قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو ان مؤمنا " اقسام على ربّه ان لا يميته ما اماته ابدا " لكن اذا حضرا جلّه بعث الله عزوجلّ اليه ريحين ريحا " يقال له المنسيّة و ريحا " يقال له المسخية فاما

المنسية فإنها تنسيها هلمو ماله واما المسخية فإنها تسخى نفسه عن الدنيا حتى يختار ما عند الله تبارك و تعالى ١

ومنها ما عن العيون : " قيل للصادق عليه السلام . صف لنا الموت ، قال عليه السلام : للموء من كاطيب ريح يشمه فينعس لطيبه ينقطع التعب والالم عنه وللكافر كلسع الافاعي و لدغ العقارب او اشد . قيل : فان قوما " يقولون انه اشد من نشر بالمنشير وقرض بالمقاريض و رضخ بالاحجار و تدوير قطب الارحية على الاحداق ، قال . هو كذلك هو على بعض الكافرين و الفاجرين الى ان قيل : فما بالنانرى كافرا " يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يحدث و يضحك و يتكلم وفي الموءمنين ايضا " من يكون كذلك ، وفي المومنين و الكافرين من يقاس عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال عليه السلام . ما كان من راحة للمومن هناك فهو عاجل ثوابه وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقياً " نظيفاً " مستحقاً " لثواب الابد لامانع له دونه ، و ما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفي اجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له الا ما يوجب عليه العذاب ، و ما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاذ حسناته

ذلكم بأن الله عدل لا يجرور " ١
و في بعض الاخبار . " انه من بورك له في الموت فقد بورك له
بعد الموت " ٢ وفي بعضها ان ملك الموت ياتي الكافر من خلفه فهو
يشخص متقلبا " الى خلفه و ياتي المؤمن من امامه و ان شخوص المؤمن من
ورفع حاحبيه الى فوق انما يكون حين معاينة رسول الله صلى الله
عليه و آله و الائمة المعصومين و الصديقة الطاهرة سلام الله عليهم
اجمعين و قد امر فيها باكتان اسم فاطمة عليها السلام و ان آية المؤمن
عند الاحتضار ابيضاض وجهه و رشح جبينه و السيلان من عينيه كهيئة
الدموع ، و آية الكافر خروج نفسه سيلا " من شذقه و جانب فمه
كزبد البعير ، و ان قابض الارواح يقف من المؤمن عند موته موقف
العبد الذليل و تلك المضامين المذكورة في اخبار كثيرة منها
ارقام ٣١ و ٣٢ الى ٣٨ من ص ١٦٢ الى ص ١٦٨ في ج ٦ من البحار
و مما تكرر في الروايات ، حضور رسول الله صلى الله عليه و آله ،
و الائمة المعصومين و سيدتنا فاطمة الطاهرة عليهم السلام ، عند المحتضرو
هي كثيرة جدا " بالغلة حد التواتر معنا " و قد سمعت آنفا ما في الحديث
القدسي من اكرام الله تعالى للمؤمنين و انه تعالى يتردد عند قبض

الرواحهم و يكره مساء تهم فيرضيهم ببعث الريحاننين اليهم فهنيئاً
 لهم النَّزْع و نسئَلُ اللّٰهَ تعالى ان يجعلنا منهم آمين آمين .
 فهناك مسئلتان عويصتان احديهما كيفية حضورهم عليهم السّلام
 عند المحتضرو انه كيف يمكن روءية شخص واحد في زمان واحد في
 اماكن كثيرة متباعدة في ارجاء الارض واصقاعها شرقاً و غرباً .
 شمالاً و جنوباً " ثم على فرض الامكان ، ما سر حضورهم و ماذا فائدته ؟
 والاخرى انه كيف يستصح اسناد التردّد الى اللّٰه تعالى مع انه
 صفه الجاهل بعواقب الامور والمصالح والمفاسد ، واللّٰه سبحانه لا
 يخفى عليه شيء في الارض ولا في السّماء فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة
 في الارض و لافى السّماء ؟

وهاتان المسئلتان مما كثرفيه القيل والقال ، فتصدى جماعة
 من اهلنا لبحث حلّها فذكر واوجوها " في بعضها اتسع الخرق على
 الرّاقع ونحن نقدم حلّ الثانية على الاولى لما سبق بعض الكلام في
 تصحيح نسبه مثل هذا العنوان الى اللّٰه تعالى ثم نشرع في حلّ
 الاولى بعون اللّٰه تعالى .

فنقول ، ان مبدء حلّ هذه العويصة المذكور في نفس الخبر الشّريف
 الالهى المروى عن مولينا ابى جعفر الباقر عليه السّلام . فانّ قوله
 عزّاسمه " و انه ليتقرب السّي بالنافلة فاحبه فاذا احببته كنت

سمع الذي يسمع بهو بصره الذي يبصر به . " لعمرك صريح في فناء
الموء من المطيع في المعبود المطاع صفة ، فان الطاعة لا تكون بشباهة
فعل بفعل بل بمطابقتها لما يريد الآمر بامر مثلا " والامر اللفظي انما
هو لا يصل ما اراده الآمر الى المأمور فشان الامر هو الطريقة ليس الآ ،
فهو واسطة في التحريك والبعث للمأمور باختياره و ارادته الى تحقق
المأمور به ، و ارادة الفعل لا تكون الا بمحبة تامة ، فالذي يفعله الفاعل
المطيع انما يفعله لانه الذي يريد الآمر المطاع و يحبه والالم يكن
طاعة فـعلم الفاعل بضرورة تحقق الفعل انما تعلق به من حيث انه
محبوب للآمر و مطلوب له وقد ثبت في محله ان العلم متحد مع
المعلوم بالذات فمتحد الفعل و منشأه هو ارادة الآمر المتجلية في
نفس الفاعل ، المتحددة مع ارادته في طريق الفناء بمعنى فناء ارادة
الفاعل في ارادة الآمر .

وحيث ان الفعل اثر الفاعل و معنى تعلقي بذاته فلا استقلال
له بالنسبة الى الذات فلذات الفاعل بما انه قيوم لفعله وجود ما في
مرتبه ففناء الارادة في الارادة يستلزم نوعا " من الفناء للذات في
هذه المرتبة . وبالجملة ان الموء من الفاني في المحبة الالهية كما ان
الله سبحانه سمع الذي يسمع به ، تكون ارادته ارادة الله و كراهته
كراهة الله فانه يكره الموت و يساء به فالله تعالى يكره مساء ته فكراهته

هي كراهته تعالى وليس ذلك إلا من وجه الفناء الذي اشير في هذا الحديث الالهي .

فاذا عرفت ما ذكرنا من التحليل ، فاعلم ان التردد في شيء انما يكون بتعارض الداعي المرجح من جانب الفعل والترک ففيما نحن فيه ، حيث ان توفي نفس الموء من بل غيره مما يقتضيه النظام الا حسن فالداعي المرجح له موجود بلحاظ نظام الكل ، ومن حيث ان كراهة الموء من المطيع الفاني ، هي من كراهة الله - دون كراهة الكافر العاصي فانها من كراهة الشيطان - فالداعي المرجح لترک التوفي ايضا " متحقق في هذا للحاظ فيكافؤ سبب الوقوع مع سبب اللا وقوع بل ارجحان لاحد هما على الاحز فهذا هو التردد ، و ليس الجهل بالمصالح والمفاسد و بالجمله بعواقب الامور ماخوذا " في حقيقة التردد بل حقيقته كما عرفت ، ليست الا وقوف الفعل بين الایجاد و الترتک لتكافؤ الداعيين من الجانبين نعم ربما يصاحبه الجهل والشك في بعض الموارد .

و ظرف تحقق ذلك التكافؤ في بعض عوالم الوجود ، ، السابق على المادة فانه ما من حبة في ظلمات الارض و لارطب " و لا يابس الا في كتاب مبين فكل صغير و كبير فيه مستطر فاذا بعث الله تعالى اليه بالريحانيتين ، يترجح داعي الفعل على الترتک فترجع نفسه الى

رَبَّة راضية مرضية.

و بما ذكر نامن التحليل في وجه فناء الموء من في الله تعالى
تقدست اسمائه تعرف بالمقابلة وجه فناء العاصي في الشيطان ، فان
المعصية هي المخالفة ولا تتحقق الا بانانية بالنسبة الى ذات الامر
بوجهما و لا تكاد تتحقق تلك الانانية الا بالسبب المناسب لها و
و ذلك هو ابليس الذي قال - وكان اول من قال - : " انا خير منه "
فالمخالفة انما تتحقق بالقاء الانانية في نفس الانسان بالوسواس
فمتحدانانيتها سانانيتها اتحادا " ما وذلك نحو من الفناء ، فهو مبدء
لكل معصية لا ترى الى قوله حين ما يلوم اهل النار " اني كفرت بما
اشركتمون من قبل " ^١ حيث يعترف بدخله ومشاركته في كل معصيته .
واما المسئلة الاولى " وهي كيفية حضورهم عليهم السلام عند
المحتضر " فما قيل في وجه الامتناع . ان ذلك خلاف الحس والعقل ،
اما انه خلاف الحس فلانا كم حضرنا عندا المختضرين الى ان قبضت
ارواحهم ، فما راينا عندهم النبي صلى الله عليه وآله ولا الوصي
عليه السلام و اما انه خلاف العقل ، فلانه قد يتفق في وقت واحد
قبض ارواح الوف من الناس في ارجاء العالم شرقا " و غربا " شمالا " و

جنوبا" فكيف يمكن حضور الواحد بماهو واحد فى زمان واحد فى
امكنة كثيرة متباعدة جدا؟

وقد اجيب عن الاول تارة بكونه تعالى قادرا " على ان يحجبهم
عن الابصار، واخرى بكون حضورهم عليهم السلام بجسد مثالى لطيف
كحضور ملك الموت واعوانه عليهم السلام، و الثالثة بان يخلق الله
تعالى لكل منهم مثلا " بصورته و تلك المثل يتكلمون مع المحتضرين،
ورابعة بتسام صورهم فى الحس المشترك و يشاهد هم المحتضر كما
فى المرسوم والمبرسم، وخامسة بكون المراد من حضورهم حضور ثمرة
ولايتهم، او ثمرة بغضهم .

واجيب عن الثانى "امتناع كون الواحد بماهو واحد، كثيرا " "
فيكون حضورهم عند المحتضرين فى وقت واحد فى اماكن متقاصية
بتلك الاجساد المثالية.

اقول . هذه الوجوه من الاجوبة كما تراها مع انها خلاف منطوق
الاخبار، لم يعالج بها الداء بل زادت عليه علة، فان الاشكال العويص
هو امتناع تعدد الواحد بماهو واحد، ففرض اجساد مثالية - مع انه
فرض سخيف بل تحكم وتخرص - ليس الا المصادرة على المطلوب و
اخذ نفس السؤال فى جوابه فلا ينقطع السؤال بذلك بل يزيده
اغلاقا"، وربما قيل وجوه اخرى لافائدة فى ايرادها و من اراد الا

طلّاع عليها فليراجع الي مظانها .

و كيف كان فالواجب علينا هو البحث عما آتاهم الله تعالى من فضيلته والولاية و مقام النظارة والرقابة والاشراف الحضورى على الناس فاذا ثبت تلك الفضيلة و ذلك الاشراف لهم تنحسم مادة الاشكال ، لان اشراف المولى على الناس وحضوره عندهم لا يستلزم التكترو التعدد .

فنقول . انه قد تكرر في القرآن الكريم ان طائفة من نوع الانسان قد آتاهم الله عزوجل مقام الخلافة والولاية على الناس كلهم ولعل اصرح الآيات في المطلوب ، قوله عزاسمه في سورة البقره . " و كذلك جعلناكم امة وسطا " لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا " ١ "

توضيح دلالة الآية على المطلوب ، ان قوله تعالى . " كذلك " اى كتحويل القبلة المذكور قبل ذلك " لاجل الهداية الى صراط مستقيم ، جعلناكم امة وسطا " لتحقق غاية الشهادة كذا قال اكثر المفسرين ، و قال شهاب الدين الخفاجى فى شرح . كتاب الشفاء بحقوق المصطفى للقاضى عياض . " فسر بعض قوله تعالى . " كذلك " فقال "

اسم الاشارة المجرور بالكاف التي للتشبيه ، واللام قبل كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيداً وهو ما فهم في الآية قبلها اي وكما جعلنا كم مهتدين الى صراط مستقيم . او جعلنا قبلكم اصل القبل - الى ان قال - ولم ازل ابحت عن هذا كل من ناقشته من الفضلاء فلم اظفر بما يثلج الصدر فصفت الدفاتر وراجعت خزائن الضمائر فرايت في شرح القصائد الطوال في شرح قول زهير .

كذلك خيمهم و لكل قوم اذا مستهم الضراء خيم
نقلاً عن الجرجاني انه قال . لفظ "كذلك" يكون تشبيهاً للخبر
متقدماً او متأخراً ، فهي نقيض - كلا - لانها تنفي ذلك الى ان قال و
مثله قوله تعالى . " كذلك نسله في قلوب المجرمين " ^١

ثم قال الخفاجي ، فقد علمت من هذا ما ذهب اليه اهل
المعاني من ان " كذلك " يكون في كلام العرب لتثبيت ما بعدها و
تقريره من غير نظر للتشبيه وانه طريق مسلوک لبلغاء العرب .

ج ١ ص ٢٠٩

واقول . هذا تحقيق لطيف في معنى لفظ "كذلك" و ما رايت
الا في الكتاب المذكور للشهاب الخفاجي .

اما الوسط فقال الراغب في المعجمات . " وسط الشيء ماله
الطرفان متساويا المقدار ، والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان

كاجود الوسط بين البخل والاسراف، وتارة يقال فيماله طرف مذموم كالخير والشر.

وأما الشهادة، فقال الراغب، الشهادة والشهود، الحضور مع المشاهدة، أما بالبصراو بالبصيرة.

اقول . بعدالتصحّح في موارد استعمال هذه المادّة، يظهر أنّ الكشف والحضور المدلول عليه بهذه المادّة اكثر منه بلفظ العلم ، و أنّ الشهادّة بمعنى الحضور المهيمن بما فيها من اشراق الرقابة والاشراف ، تستعمل مع لفظة "على" الاستعلائية فيقال . شهيدا " على كذاى حاضر رقيب عليه ، ومنه ما تكرر في القرآن المجيد من اطلاق الشهيد على الله تعالى مثل قوله . "والله على كلّ شيء شهيد" ^١ ونبه عليه في الكشف بقوله . " لما كان الشهيد كالرقيب المهيمن على المشهود له جيئي بكلمة الاستعلا " ومنه قوله تعالى : " والله على كلّ شيء شهيد" ^٢ و "كنت انت الرقيب عليهم و انت على كلّ شيء شهيد" ^٣ ج ١ ص ١٩٩ وقال ابن منير في ذيله . "وجه الاستدلال بالآية انه وصف الله تعالى في اولها بالرقيب و في آخرها بالشهيد على وجه التخصيص

١ - ٢ - المجادلة ٦

٣ - المائدة ١١٧

أولاً والتعميم ثانياً، "وإنما ينتظم التعميم والتخصيص مع اتحاد مؤدّي الرقيب والشهيد وكأنّه لما قال . " كنت أنت الرقيب عليهم " وكان ذلك مخصّصاً " لرقيبته تعالى على بني إسرائيل ، أراد أن يصفه بما هو أهله حتى ينفي وهم الخصوصية فوضع شهيدا " موضع الرقيب " وتبعهما في ذلك النيشابوري والآلوسي في تفسيرهما .

ثمّ أكثر المفسّرين من أهل السنة، حملوا الشهادة في الآية المبحوث عنها على إقامة الشهادة على التبليغ يوم القيامة والظاهر أنّ الأصل لهم في هذا الحمل هو ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله من أنّ الأمم يجحدون يوم القيامة تبليغ الأنبياء كما في رواية أبي سعيد الخدري المروّي في صحيح البخاري وقد أخرجها الطبري في التفسير وكذا النسائي ورواها البيهقي في البعث والنشور واليك لفظ البخاري .

" عن أبي سعيد الخدري قال . قال رسول الله ص: يدعى نوح يوم القيامة فيقول . لبيك وسعديك يا ربّ فيقول . هل بلغت فيقول . نعم . فيقال لامته . هل بلغتكم ؟ فيقولون . ما اتانا من نذير ؟ فيقول . من يشهدلك ؟ فيقول . محمد ص و أمته فيشهدون أنّه قد بلغ و يكون الرسول عليكم شهيدا " فذلك قوله جل ذكره . " كذلك جعلناكم أمة وسطا " ١

الوسط ، العدل " ج ٦ ص ٢٦ من صحيح البخارى
قال في الكشاف . روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الا
نبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة ، و مثله فى تفسير الرازى ويقرب
منه فى روح المعانى ورواه فى الدر المنثور عن جم غفير من اهل
الحديث ونقل شيخنا " الطبرسى قده هذا المضمون فى تفسير مجمع
البيان .

اقول : ان الشهادة على التبليغ - و هو نوع من العمل تتلزم
معنى الرقابة على المشهود له فى مقام التحمل و هو الظاهر اللائح من
اقتران صلة الشهادة بكلمة " على " الاستعلائية و لكن التدبر فى
نفس الآية اولاً " ثم الرجوع الى ما تكرر فى القرآن الكريم من سنخ هذه
الشهادة ثانياً " يشرفنا على حقيقة انصع واوسع مما مضت على القوم
و تقرير ذلك

ان شهادة هؤلاء الامة الوسطى على الناس ، وشهادة الرسول
صلى الله عليه وآله ، على هؤلاء الشهداء قد اعتبرت فى الآية
غابتين متفرعتين على جعل الامة وسطاً " فوسطيتهم تتفرع عليها و
تستتبع الشهادة على الناس و تستلزم شهادة الرسول صلى الله عليه
وآله وعليهم ، و عليه هذا فوساطتهم انما تكون بين الرسول صلى الله
عليه وآله و بين الناس و هذا ظاهر .

ثم ان سياق الآية الكريمة سياق الامتتان على هولاء الامة بجعلهم
وسطا " فيكون هذا جعل تكريما " لشانهم و تعظيما لمقامهم عند الله
تعالى ، و من البديهي انه لا يكاد يتلبس مثل هذه الخلعة و يتكرم
مثل هذا الكرامة الا الخواص منهم فان طبع هذا المنصب الشامخ
يتأبى من ان يناله غير الخواص منهم ، فغير الخواص من الامة كائنا
من كان ، لا يمس تلك الكرامة .

وضمير " كم " في قوله . " جعلناكم " وان كان في بادى النظر
يرمق الى جميع الامة الاسلامية ولكن بعد الامعان ينكشف ان المراد
منه الخواص دون غيرهم ، و ذلك نظير قوله عز اسمه . " محمد رسول
الله والذين آمنوا معه اشداء على الكفار ^١ " مع ان فيهم طائفة من
المنافقين الذين كانوا يعاضدون الكفار ، ومثله قوله تعالى خطابا
لبنى اسرائيل ، في مقام الامتتان عليهم . " و جعلكم ملوكا ^٢ " وقوله
سبحانه فيهم ايضا . " و انى فضلتكم على العالمين ^٣ " مع ان كلهم
ما كانوا ملوكا " ومفضلين على العالمين .

ثم يبين من الآية الشريفة بالتدبر ان في المسلمين مادام الاسلام
و هو يدوم الى يوم القيامة " في كل عصر من الاعصار و سطا " بين

الرّسول وبين النّاس ، وتلك حقيقة ناصعة توقد من نفس الآية و لولم
تمسبها آيات اخر متلائمة المعنى معها ويقرب منها في الدلالة على
المطلوب ، قوله تعالى في سورة الحجّ . " هو اجتبيكم و ما جعل عليكم
في الدّين من حرج ملّا بيبكم ابراهيم هو سآكم المسلمين من قبل و
في هذا ليكون الرّسول شهيدا " عليكم و تكونوا شهداء على الناس ^١ "
والحاصل ان الآية مع قطع النظر عما يضا هيها من الآي ،
تدل على ان لله تعالى في امّة الاسلام عبادا " استخصهم للوساطة
في مقام الرقابة والنظارة بين صاحب المقام المحمود صلّى الله عليه و
آله و بين النّاس في كلّ زمان من الازمنة الى ان يرث الله الارض و من
عليها و هو خير الوارثين .

هذا مع ان هذه الحقيقة قد تكررت في الكتاب العزيز عند ما تعرض
لمشاهد القيامة في سور كثيرة و يظهر منها ان تلك الشهادة هي الشهادة
على الاعمال مطلقا " تبليغا " كانت كما في خبر الخدرى ام غيره فمن
تلك الآيات قوله تعالى . " ان اللّولا يظلم مثقال ذرة و ان تك حسنة
يضاعفها و يؤت من لدنه اجرا عظيما " ، فكيف اذا جئنا من كلّ
امّة بشهيد و جئنا بك على هولا شهيدا ^٢ " .

فان نفى الظلم عنه تعالى أولا "ثم ارد افه بقوله. " فكيف اذا جئنا ٤. " تصويرا " لذاك المشهد للحساب والجزاء وايماء الى نهاية رعاية العدالة في تلك المحكمة الالهية من حيث اقامة الشهيد على الشهيد و قيام الرقيب على الرقيب برهان ساطع على كون هذه الشهادة هي اقامة الشهادة وادائها ، فلا بد وان يكون الاداء مسبوqa " بالتحمّل فكان الآيّة تكاد تقول. " انّ الله سبحانه لو خلى و نفسه ، لا يظلم مثقال ذرة في مقام المجازاة و أنّه من جاء بالحسنة يضاعفها و يوفّه من لدنه اجرا " عظيما " ، فادا كان شأنه هذا الشأن بانفراده ، فكيف اذا كانت محكمة قضاؤه مشتملة على اتم ما يمكن ان يجرى به العدالة و يدفع به التّعدى و الظلم ، من احضار الشهود و الشهيد على هولاء الشهود؟

ومنها قوله سبحانه. " و من اظلم ممن افترى على الله كذبا ، اولئك يعرضون على ربّهم ، و يقول الاشهاد هولاء الذين كذبوا على ربّهم الالعة لله على الظالمين ١ "

ومنها قوله عزّ اسمه: " و يوم نبعث من كلّ امة شهيدا " ثم لا يوفّ ذن

للذين كفروا وهم لا يستعتبون ٢ "

الى غيرهما من الآيات الكريمة في هذه الحقيقة.

و يظهر من قوله تعالى حكاية عن روح الله عيسى بن مريم (ع) في مشهد القيامة. " ما قلت لهم إلا ما مرتني به ان اعبدوا لله ربّي وربكم وكنتم عليهم شهيدا " ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم و انت على كل شئ شهيد " ١

بضميمة قوله تعالى فيه عليه السلام . " و يوم القيامة يكون عليهم شهيدا " كيفية تحمل الشهادة ، في الدنيا اجمالا " ، و أنّها نحو حضور على الاعمال ، و اشراف عليها ، وذلك لمكان اقتران شهادته عليه السلام بشهادة الله سبحانه و من هذا الاقتران يستبان ان نسخ شهادة هؤلاء الشهداء في مقام التحمل من نسخ شهادة الله تعالى وانّها ظلّ و شعاع منها فلا محالة تكون من العلم الحضورى دون الحصولى الارتسامى ومنه يتضح ايضا " سرّ انتخاب لفظه الشهادة دون لفظه العلم فتدبر .

ثم انّ من الواضح ان مدار محاسبة الله - و هو اسرع الحاسبين القلوب و النفوس كما في قوله . " كلّ انسان الزمناه طائره في عنقه و نخرج له يوم القيامة كتابا " يلقاه منشورا " ، اقرء كتابك كفى بنفسك

اليوم عليك حسيباً" ^١ وقوله تعالى . "لكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم" ^٢

فموضوع الكفر والايمان والاطاعة والعصيان والفوز والخسران هي القلوب والنفوس ، فالاشراف على مثل .

تلك الحقائق النفسانية، والشهود عليها و احصائها والاحاطة بها لا يمكن الا بالشهود المفاض من الله دون الارتسام والتصوير ، ذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ومما سبق من البيان اتضح ان ما فسّر به الآية المذكورة في تفسير المنار اجنبي عنها وانما هو قول خطابي يستحليه ذوق العامة و يقنع به وهمهم فدونك خلاصة عبارته :

"ان الناس كانوا قبل ظهور الاسلام على قسمين قسم تقضى عليه تقاليدته بالمادية المحضة، فلاهم له الا الحظوظ الجسدية، كاليهود والمشركين وقسم تحكم عليه تقاليدته بالروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها ، من اللذات الجسمانية كالنصارى والصابئين وطوائف من وثني الهند اصحاب الرياضيات ، واما الامة المسلمة فقد جمع الله لها في دينها بين الحقين حق الروح ، وحق الجسد ، فهي روحانية جثمانية ، فكانه قال :

جعلناكم أمة وسطاً " تعرفون الحقين وتبلغون الكمالين لتكونوا شهداء " بالحق على الناس الجسمانيين بما فرطوا فى جنب الدين والروحانيين اذ افراطوا، تشهدون على المفرطين بالتعطيل بانهم اخلدوا الى البهيمية وعلى المفرطين بالغلو فى الدين، تسبقون الامم كلها باعتدالكم وتوسطكم فى الامور كلها ويكون الرسول عليكم شهيدا، اى ان الرسول ص هو المثال الاكمل لمرتبة المتوسط، وانما تكون هذه الامة وسطاً " باتتباعها له فى سيرته وشريعته فكما تشهد هذه الامة على الناس بسيرتها بانهم قد ضلوا عن القصد يشهد لها الرسول بما وافقت فيه سنته بانها على الصراط المستقيم، واذا انحرفوا عنها فالرسول بنفسه و سيرته حجة عليهم " انتهى كلامه ملخصاً ج ٢ ص ٤ - ٥

وحاصله ان الله سبحانه جعل الامة الاسلامية وسطاً " عدلابين

الطرفين المذمومين كالميزان الدقيق المنصوب لتصحيح الوضع المغلوط المبطل به الناس من الافراط والتفريط، فتشهد هذه الامة المسبوكة فى قالب الحق والاعتدال على التالى والغالى بالخروج والمروق عن جادة الاعتدال، كما ان الرسول ص يشهد عليها، ان زلت قدمها عن الصراط المستقيم .

اقول: كون الامة الاسلامية من حيث العقائد والفروع وبالجملة

من حيث الملة والشريعة فى حد الاعتدال وحاق الوسط كاذكره

الشيخ المجاهد المفسر، مما لا ريب فيه، و إنما الكلام في دلالة الآية المبحوث عنها على هذا المعنى، لأن ما ذكره الشيخ الجليل في تحليل الوسطية للامة الاسلامية، لا يلائم تفريع الشهادتين عليه، بل المناسب له رجوع الطرفين اليه بلحوق التالي وفيئي الغالي، والتصرف في معنى الشهادة بحملها على الاسوة الحسنة ليلائم معنى التوسط المزعوم بلاقرنية، تصرف لا يحل في شرع العرف ومذهب التخاطب.

ثم على فرض التسليم لا يمكن ابتناء شهادة الرسول ص وتفريعها على هذه الوسطية المزعومة، لأن كونه ص مثلاً اكمل لا ينوقف على جعل الامة وسطاً "بين الطرفين المذمومين، في الافراط والتفريط فانه صلى الله عليه وآله هو المثل الا على في الكمال في عالم الامكان سواء استقام انسان على جادة الاعتدال ام لم يستقم.

ثم ان المفروض من شهادة الرسول صلى الله عليه وآله على الامة هي الشهادة عليهم مع اتصافهم بالوسطية على حد الضرورة الوصفية وما فرضه الشيخ المجاهد الاستاد هي شهادة الرسول عليهم بعد الخروج عن الوسطية، و هذا كما هو خلاف منطوق الآية، خلاف ما بنى عليه المفسرون من اهل السنة، وروو و افيه روايات كاعلمت، مضافاً الى مخالفة الاى الاخر الباحثة عن حقيقة تلك الشهادة، وانها هي الشهادة على الاعمال يوم الحساب مع انه قد تكرر منه في تضاعيف ابحاثه

التفسيرية أنّ مبناه في التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن كما في غير موضع في تفسير المنار، والله سبحانه هو ولي الاعتصام .
وقد ورود عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، في تفسير الأمة الوسط، والشهادة في الآية الشريفة وغيرها في الآيات المناسبة لها، روايات وفيها الصحاح بالغة حد التواتر فمنها :

مارواه في الكافي من صحيح القمي عن بريد العجلي قال :
قلت لابي جعفر عليه السلام : قول الله تبارك وتعالى : و كذلك جعلناكم أمة وسطا " لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا "؟ قال : نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه و حججه في ارضه . قلت . قوله تعالى " يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم و افعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم "؟ قال : ايانا عني و نحن المجتبون ، و لم يجعل الله تبارك وتعالى في الدين من جرح ، فالجرح اشد من الضيق ملّة ابيكم ابراهيم " ايانا عني خاصة و " سماكم المسلمين " سمانا الله مسلمين " من قبل " في الكتب التي مضت " وفي هذا " القرآن " ليكون الرسول عليكم شهيدا " و تكونوا شهدا " على الناس " فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك و تعالى و نحن الشهداء على الناس فمن صدق يوم القيامة صدقنا هومن كذب

كذبناه ج امن اصول الكافي ص ١٩٥ من الطبعة الحديثة ورواه بسند آخر عن بريد عن الصادق عليه السلام ايضا " وروى هذا المضمون بسند صحيح في البصائر كما في ج ٢٣ الطبعة الحديثة في بحار الانوار رقم الخبر ٢٣ ص ٣٤٢

وعن مولينا ابى جعفر الباقر عليه السلام فى تفسير الآيه: ولا يكون شهداء على الناس الا الاثمة والرسل فاما الامة فانه غير جائز ان يستشهدها الله تعالى على الناس، وفيهم من لا تجوز شهادته فى الدنيا على حزمة بقل " ج ٢٣ من البحار. الخبر ٤٣ من باب عرض الاعمال وانهم الشهداء .

وقد جمع فى الكتاب المذكور روايات فى المطلوب نشير الى ارقامها من اراد البسط فليراجع اليها :

الخبر ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ٢١ و ٢٣ و ٢٥ و ٢٧ و ٢٨ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ الى ٦٣ على ما ذكرنا ، ما فى الادعية والزيارات فى توصيفهم عليهم السلام بهذه الحقيقة .

وهذا الصنف من الاخبار فى بادى النظر وان كان اضيق مدلولاً من آيات الشهادة حيث ان ظاهر مدلوله نوع خاص من العمل وهو التبليغ ولكن بعد التاء مل فيما وقع فيه من التعبير من مثل قوله : " نحن الشهداء على الناس فمن صدق يوم القيمة صدقتنا ومن كذب كذبناه " يظهر شمولها

لجميع ما يرتبط بالتصدق والتكذيب الذين مدارهما القلوب نعم اخبار
العرضاى عرض الاعمال على رسول الله والائمة صلوات الله عليه وعليهم
الوارد جليا في تفسير قوله عز اسمه :

: " قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون. " ناصة في
روءيتهم وشهودهم اعمال الناس كلها بقضها وقضيضها و قبل ذكر
طرف منها ينبغى تقرير دلالة نفس الآية اجمالا " فنقول :

قوله تعالى : فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " يدل على
نوع امتياز لهؤلاء المؤمنون الذين قرنت روءيتهم بروية الله تعالى
ورسوله ص فان الخطاب وان كان بحسب ظاهر العطف على قوله خذ من
اموالهم صدقه " يلمح الى المتصدقين ولكن لفظه مطلق يعم لكل عامل
من اكتسى بكسوة التكليف الى يوم القيمة فكل من يعمل مثقال ذرة
من خيرا وشيرا يراه الله ورسوله وهؤلاء المؤمنون ففيه ترغيب و
تشويق وترهيب وتهويل لاهل الطاعة والعصيان هذا كله مما لا تشكيك
فيه وانما الكلام فى ان هؤلاء المؤمنون هل هم المؤمنون عامة على
سبيل الاستغراق وان امتيازهم بالذكر لاجل شراقة الايمان ام هم طائفة
خاصة منهم ؟ لاسبيل الى الاول فان عمل كل واحد يكون بمراى
كل منهم والآية ظاهرة فى وقوع روءيتهم على اى عمل جليلا " او

دقيقاً " من ائى عامل ، مضافاً الى ظهور السياق فى ان سنخ رؤيتهم هو سنخ رؤية الله تعالى ورسوله ص وآنها ظلّ و شعاع منها على ما يفيد المقارنة فلا يمكن انطباقها على الابصار فينقدح من ذلك ان هذا المنصب الشريف من الله لصفوة المؤمنين وانهم طائفة خاصة آتاهم الله من فضله مقام العينية فى الناس فهم عين الله الناطرة فى خلقه و قد طفحت به الآثار فمنها ما رواه فى اصول الكافى عن مولينا الصادق عليه السلام انه قال :

" ان الله خلقنا فاحسن خلقنا وصورنا و احسن صورنا وجعلنا عينه فى عبادته ولسانه الناطق فى خلقه و يده المبسوطة على عبادته بالبراءة والرحمة ووجهه الذى يوئى منه وبابه الذى يدّل عليه و خزنة فى سمائه وارضه بنا ثمرت الاشجار و انيعت الثمار و جرت الانهار و بنا ينزل غيث السماء و ينبت عشب الارض و عبادتنا عبد الله و لولا نحن ما عبد الله . ١

وقد عرفت فى ذيل آية الشهادة ان هذا النوع من الشهود و الرؤية بماهى نوع من النظارة والرقابة تكوينياً ، لا بدوان يقع على العمل با لوجه الذى يكون به طاعة و عصياناً و ايماناً و كفراً و

هذا الوجه هو الوجه الملكوتي للعمل موضوعة القلوب والنفوس فما استخفّ قول من جعل هذا التشريف امرا اعتباريا " كما في المنار و استخفّ منه قول الآلوسي في روح المعاني .

ثم يجب ان لا تغفل من أنّ مفهوم الرؤية يفارق مفهوم الشهادة هذا اولا " و قد استعملت في الآيه الشريفة في هيئة الفعل المضارع المصدر بالسين المفيد للاستقبال و ذاك ثانيا " ومن مجموع هذا و ذاك يستشّم أنّ هذا الشهود بعد مرتبة تحقّق العمل في مقام الصعود المشار اليه بقوله " اليه يصعد الكلم الطيب " و اخبار العرض تنطبق على هذا المعنى ، وهذه البعدية بالقياس الى بعض اوعية الوجود وبعض الموجودات الى البعض واما بالقياس الى الله تعالى فالكلّ حاضر عنده على الضرورة والبتّ ولا يعزب عن علمه مثقال ذره في الارض و لافى السماء .

ويجب ايضا " ان تعلم انّ بين العرض - وهي الارائة - وبين الشهادة فرقا " جوهريا " فانّ الشهادة . كما علمت هي الحضور و ستعلم عن قريب انّ هذا الحضور والشهود هي الوساطة في الفيض والولاية التكوينية وهذا المنصب الخطير للشهداء عليهم السلام ما داموا الناس كما يظهر من قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : و كنت عليهم شهيدا " ما دمت فيهم " الافي خاتم النبيين صلى الله عليه وآله

حيث أنه شهيد الشهداء كما هو صريح القرآن فان شهادته صلوات الله عليه قد تعلقت بشهادتهم عليهم السلام على الاعمال فتدبر فانه لطيف في الغاية.

واما العرض و هونحو علم ليس في حد الشهادة كايؤمن اليه قوله تعالى: " وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة " فتامل جدا . "

اما اخبار العرض فهي كثيرة بل اكثر عددا "من الاخبار الواردة في الشهداء فنذكر بعضها ثم نشير الي ارقام الاخرى و موضعها فمنها مارواه القمي في تفسيره عن ابيه عن يعقوب بن شعيب عن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله: "وقل اعملوا لىرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون": المؤمنون هيهنا الائمة الطاهرة^١ " ومنها مارواه في البصائر عن يونس عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال سمعته يقول في الايام حين ذكر يوم الخميس فقال: هو يوم تعرض فيه الاعمال على الله تعالى وعلى رسوله ص وعلى الائمة^٢ " ومنها مارواه في المعاني عن ابي بصير قال: " قلت لابي عبد الله عليه السلام ان ابا الخطاب كان يقول: ان رسول الله ص تعرض عليه اعمال امته كل خميس فقال

ابوعبدالله ليس هكذا ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله يعرض عليه اعمال امته كل صباح ابرارها وفجارها فاحذروا و هو قول الله عزوجل " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " وسكت قال ابوبصير انما عنى الائمة عليهم السلام " ١ .

ومنها عن معلى بن خنيس عن ابيعبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : واعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " قال عليه السلام : هو رسول الله صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام تعرض عليهم اعمال العباد كل خميس^٢ فدونك ارقام الاخبار .

المذكورة في البحار المجلد ٢٣ باب عرض الاعمال ولله در مصنفها العلامة وجزاء عن الائمة لظاهرة ومواليهم احسن الجزاء :

٣٢ - ٣١ - ٣٥ - ٢٩ - ١٦ - ١٥ - ١٤ - ١٣ - ١٢

١١ - ١٥ - ٩ - ٦ - ٤٣ - ٤٢ - ٤١ - ٤٥ - ٣٩ - ٣٨ -

٣٦ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٣ - ٥٥ - ٥٤ - ٥٣ - ٥٢ - ٥١ - ٤٨ -

٤٧ - ٤٦ - ٤٥ - ٤٤ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٣ - ٧٥ - ٦٧ - ٥٦ -

١ - معانى الاخبار ١١١

٢ - البحار ج ٢٣ ص ٣٤٥

وتلك الاخبار في دلالتها على اصل العرض متوافقة وانما الاختلاف في بعض الخصوصيات حيث ان في بعضها اقتصار العرض على رسول الله صلى الله عليه وآله فقط يوم خميس وفي بعضها باضافة يوم الاثنين وفي بعضها كل صباح وفي البعض باضافة الليل وفي البعض الآخر عرضها على الامام في كل خميس فاذا كان الهلال اكملت فاذا كان النصف من شعبان عرضت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى علي عليه السلام ثم ينسخ في الذكر الحكيم وغير ذلك من الدقائق التي يدركها من شرح الله صدره من اهل الله فلعل منها الائمة التي اختلاف مراتب العلم في مدارج صعود الاعمال وبهذا ربما يمكن تصحيح العرض على الله سبحانه وتعالى يوم الخميس كما في بعض الاخبار مع انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ثم لا يخفى على من شرح الله تعالى صدره، ان ما دلت عليه الآيات الكريمة في العلم الشهودي لهم عليهم السلام بمحتد الاعمال باب يفتح منه ابواب .

منها علمهم عليهم السلام بمغيبات الامور عن مدارك الناس علما شهوديا ومنها وساطتهم في الفيض المعبر عنها بالولاية التكوينية فان العلم الخضوري هو حضور المعلوم بوجوده العيني عند العالم ومن المبرهن عليه في محله ان العلم الخضوري لا يتحقق الا في علم المجرد بنفسه

وعلمه بمعلوله وعلم المعلول بعلمته على قدر سعته لاعلى قدر سعتها و علم احد معلولى علّة ج ثالثة بالآخر والممكن المحقق فيما نحن فيه هو القسم الثانى لكن بمعنى فاعل مابه لامانه ، فهم عليهم السلام مجارى الفيض الالهى وهذا المعنى من مصّرات الاخبار والزيارات والا دعية وناهيك بياناً "قول النبى صلى الله على مارواه صدوق الطائفة ره فى العيون والعلل والاكمال فى حديث طويل فيه قال صلى الله عليه وآله "يا على لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الارض فيكيف لانكون افضل من الملائكة وقد سبقناهم الى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؟ لان اول ما خلق الله عزوجل خلق ارواحنا نطقنا بتوحيد و تحميد^١ . و الروايات بهذا المضمون متواترة بلا امتراء وارتياح فلا يضر ضعف السند فى الاحاد منها .

ومنها اى من الابواب المستفاد من الآية ، عصمتهم عن الضلال و الخطاء فان قوله سبحانه . جعلناكم امة وسطا "يدل كما قررنا "على ان الله اصطفىهم و اجتبىهم بل ينص عليه قوله تعالى " فى آخر سورة الحج هو اجتبىكم " وقد اخبر القرآن الكريم عن اجتباء الله تعالى كثيرا " من افراد الانسان فقال فى ابراهيم عليه السلام : شاكرا "

لأنعمه واجتباؤه. ^١ وقال في ذريته وذرية اسرائيل: و من ذرية ابراهيم واسرائيل و ممن هدينا واجتبينا ^٢ و قال في يوسف: وكذلك يجتبيك ربك ^٣. و غيرهم ممن انعم الله تعالى عليهم، و من البديهي ان معنى اصطفاء الله و اجتباؤه تصفيتهم و اخلاصهم من كل ما يدنس و يشوب صفاء الفطرة و قداستها، فهم المخلصون - بفتح اللام - الذين يئس ابليس لعنه الله من اغوائهم فقال: " فوعزتك لا غويتهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ^٤ و قال تعالى في الصديق (ع): كذلك لنصرف عنه السوء و الفحشاء انه من عبادنا المخلصين " ^٥

تفكر ايها القاري العزيز في قوله تعالى: " لنصرف عنه السوء و الفحشاء فانه كالصريح في ان الله تعالى ولي المخلصين في اعمالهم و امورهم فما ظنك بمن كان الله يتولى امره و يتصدى شانه! هذا مع ان في قوله تعالى: " امة و سطا " كفاية في اثبات المطلوب لمن كان له قلب و القى السمع و هو شهيد.

ومنها ان ما دام الاسلام - و هو يدوم الى قيام الساعة - تدوم هذه

٢- مريم ٥٨

١- النحل ١٢١

٤- ص ٨٣

٣- يوسف ٦

٥- يوسف ٢٤

الرقابة والنظارة من هولاء الشهداء ولوتدريجا " وبدلا " وبهذا صرحت الروايات منها مارواه في الكافي عن سماعة عن ابي عبد الله عليه السلام قال: قال عليه السلام في قول الله عزوجل " فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئناك على هولاء شهيدا " " قال: نزلت في امة محمد صلى الله عليه وآله خاصة في كل قرن منهم امام منا شاهد عليهم و محمد صلى الله عليه وآله شاهد علينا .

فتبين من جميع ما مرفى هذا الفصل من البيان ان لهم عليهم السلام مقام الحضور والشهادة على الناس وانه انما يتحقق بنحو من القيومته الظلية للقيوم الحق المطلق واما رؤية المحتضر لهم فالظاهر انه بنحو التمثيل و ظهورهم في ظرف ادراكهم نحو ظهور الملك فان ظهوره بنحو التمثيل ولا يلزم من ذلك تكثر الواحد وقد استفاضت الروايات ان الدنيا كلها عند الملك الموت عليه السلام كدرهم في كف رجل مئابقبه كيف يشاء وانه مامن دارا وهو يدخلها في كل يوم خمس مرات على اختلاف التعبير فراجع الاخبار ٢ - ٣ - ١٥ - ١٢ - ١٣ المذكورة في باب ملك الموت واحواله في ج٦ في البحار ، وقد ورد في اخبار حضورهم عدا المحتضر لفظ التمثيل مستفيضا "منها مارواه في الكافي عن سدير الصيرفي قال: قلت لابعد الله عليه السلام: جعلت فداك يا بن رسول الله هل يكره الموء من علي قبض روحه؟ قال

لا والله أنه إذا اتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا ولي الله لا يجزع فوالذي بعث محمد صلى الله عليه وآله لانا أبريك واشفق عليك من والدرحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر قال ويمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والائمة رفائك قال: فيفتح عينيه فينادي روحه مناد من قبل رب العزة فيقول: يا ايها النفس المطمئنة الى محمد واهليته ارجعي الى ربك

راضية بالولاية مرضية بالثواب فادخلي في عبادي يعني محمدا " واهل بيته وادخلي جنتي فامن شئ احب اليه من استلال روحه و اللّٰحق بالمنادى ١

ومنها ما عن مولينا الجواد عليه السلام: "قال: مرض رجل من اصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال كيف تجدك؟ قال لقيت الموت بعدك - يريد ما لقيه من شدة مرضه - فقال كيف لقيته؟ قال شديدا " اليماء قال ما لقيته انما لقيت ما يبدهك به ويعرفك بعض حاله ، انما الناس رجلان ، مستريح بالموت ومستراح منه فجدد الايمان بالله وبالولاية تكن مستريحا " ففعل الرجل ذلك ثم قال يا بن رسول الله هذه ملائكة

ربى بالتحيات والتحف يسلمون عليك و هم قيام بين يديك فاذن لهم في الجلوس فقال الرضا عليه السلام : اجلسوا ملائكة ربّي ثم قال للمريض سلهم امرو بالقيام بحضرتي ؟ فقال المريض ساءلتهم فذكروا انه لو حضر ككّل من خلقه الله من ملائكة لقاموا ولم يجلسوا حتى تاءذن لهم هكذا امرهم الله عزوجل ثم غمض الرجل عينيه و قال السلام عليك يا ابن رسول الله هذا شخصك ماثل لي مع اشخاص محمد ومن بعده من الائمة عليهم السلام وقضى الرجل :

وفي الخبر ص ١٧٧ : " انظر الى مسكنك في الجنة هذا رسول الله صلى الله عليه وآله رفقاءك "

وفي الخبر ص ١٧٨ : " يقول له رسول الله ص : هلمّ الينا .

وفي الخبر ص ١٧٧ ص ١٨٤ " اما مك رسول الله وعلّي وفاطمة .

ومثله الخبر ١٨

وفي الخبر ص ١٧٦ : تمّ يقول : انظر فينظر فيسرى محمداً " و

علياً " والطيبين من آلهم في اعلى عليين " وغير من الاخبار المذكور في ج ٦ في الكتاب المذكور وفي كثير من الاخبار و رد لفظ الحضور والمعينة والاتيان والظاهر ان المراد من الجميع هو التمثل وبه يجمع

بين الاخبار وقد ورد انه يتمثل للمحتصر ماله و ولده كما في رواية
 سويد بن غفلة عن امير المؤمنين عليه السلام : قال عليه السلام : ان ابن
 آدم اذا كان في آخريوم من الدنيا واول يوم من الآخرة مثل ماله و
 ولده وعمله فيلتفت الى ماله فيقول : واللّه اني كنت عليك لحريصا "
 شحيحا " فمالى عندك ؟ فيقول خذمني كفنك ثم يلتفت الى ولده فيقول
 واللّه اني كنت لكم محبّا " واني كنت عليكم لمحاميا " فماذا لي عندكم ؟
 فيقولون لنوء دّبك الى حفرتك ونواريك فيها ثم يلتفت الى عمله فيقول
 واللّه اني كنت فيك لزاهدا " وانك كنت عليّ لثقيلا " فماذا عندك ؟
 فيقول انا قرينك في قبرك ويوم حشرك .^١

قال شيخنا العلامة الطّباطبائي ادام الله ظله الوارف : " كثيرا "
 ماورد ذكر التمثّل في الروايات واما في الكتاب فلم يرو ذكره الا في قصة
 مريم : " فارسلنا اليها روحنا " فتمثل لها بشرا " سويا "^٢ والآيات التالية
 التي يعرف فيها جبرئيل نفسه لمريم خبر شاهد أنّه كان تمثله لها في
 صورة بشر باقيا على ملكيته ولم يصر بذلك بشرا " وانما ظهر في صورة
 بشر وليس ببشر بل ملك وانما كانت مريم تراه في صورة بشر فمعنى تمثله
 لها كذلك ظهوره لها في صورة بشر وليس عليها في نفسه بمعنى انه

كان في ظرف ادراكها على صورة بشروهو في الخارج عن ادراكها على خلاف ذلك وهذا هو الذي ينطبق على معنى التمثل اللغوي فإن معنى تمثّل شئ لشيء في صورة كذا هو تصوّره عنده بصورته وهو هو لاصيرورة الشّيء شيئا " اخر فتمثّل الملك بشرا " هو ظهور لمن يشاهده في صورة الانسان لاصيرورة الملك انسانا ولو كان التمثل واقعا " في نفسه و في الخارج عن ظرف الادراك كان من قبيل صيرورة الشّيء شيئا " آخر وانقلابه اليه لابعنى ظهوره له كذلك الى ان قال روحى فداه . نظير ذلك نزول الملائكة الكرام في قصة البشارة باسحق وتمثّلهم لابراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام في صورة البشر ونظيره ظهور ابليس في صورة سراق بن مالك يوم بدر وقد اشار تعالى اليه في الانفال الآية ٤٨ وقد كان سراقه يوءمئذ بمكّه .

وفي الروايات شئ كثير من ذلك كتتمثّل ابليس يوم الندوة للمشركين في صورة شيخ كبير وتمثله يوم العقبة في صورة منبه ، بن الحجاج وتمثله ليحيى عليه السلام في صورة عجيبه و نظير تمثّل الدنيا لعلّي عليه السلام في صورة امرأة حسناء فتأنة كما في الرواية وماورد من تمثّل المال والاولاد والعمل للانسان عند الموت ، وماورد من تمثّل الاعمال للانسان في القبر ويوم القيمة ومن هذا القبيل التمثلات المنامية كتتمثّل العدوّ في صورة الكلب والحية والعقرب وتمثّل الزوج في صورة النمل وتمثّل العلاء

في صورة الفرس والفخر في صورة الناج الى غير ذلك فالتمثل في اغلب الموارد كما ترى من المعاني التي لا صورة لها في نفسها ولا شكل ولا يتحقق فيها تغيير من صورة الى صورة و من شكل الى شكل^١ انتهى موضع الحاجة من كلامه مدّ ظله .

اقول ومن هذا الباب تمثل الحمى الربائية لرسول الله ص في صورة عجوز سوداء ملّبة وتبعيده صاها الى الجعفة وحم كما في وفاء الوفا للمسهودي الحسني لما قدّم رسول الله ص المدينة وعك فيها اصحابه فجلس ص على المنبر ثم رفع يده ثم قال اللهم انقلنا الوباء فلما اصبح قال: اتيت هذه الليلة بالحمى فاذا بعجوز سوداء ملّبة في يدي الذي جاء بها فقال هذا الحمى فما ترى فيها؟ فقلت اجعلوها بكم وفي خبر آخر رايت امرأة سوداء نائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيبة فتأولتها ان وباء المدينة نقل الى مهيبة، اصبح ص يوما "فجاء انسان كأنه قدم في ناحية طريق مكة فقال ص له هل لقيت احدا" قال لا، الامارة عريانة نائرة الشعر فقال تلك الحمى ولن تعود بعد اليوم ابدا" ج ١ ص ٥٥ و ٥٩ .

ان قلت فعلى ما قررت من معنى التمثل، يلزم ان يكون معني

رؤية مريم لجبرئيل عليهما السلام امرا "خياليا" لا واقعية لها الا في
 موطن الوهم والخيال وفي عالم التصوير والذهن و بعبارة اخرى تلك
 الرؤية التمثيلية على هذا التقرير ترجع في الحقيقة الى خيال الروءية و
 تصورها وليست بروءية بالحقيقة وكذا رؤية المحاضر الائمة عليهم السلام
 وحضورهم عنده بالتمثل على التفسير المزبور انما هي تحبّل الروية
 والحضور وهذا مناف للاخبار بل ردّها فانها كما علمت صريحة في معاينة
 المحاضر لهم وروءيته لهم وتكلمه معهم قلت: كلا وحاشا بل ما قررنا
 من معنى التمثل هو حقيقة الرؤية والمعاينة وانما الغلط والاشتباه من خلط
 المعلوم بالعرض بالمعلوم بالذات فان المعلوم بالذات في العلم الا
 رتسامي هي الصورة الحاصلة في ظرف الادراك ما هو الخارج عنه فانه مطوم
 بالعرض وبما ان تلك الصورة الحاصلة امر حادث لا بد له من سبب
 فذاك السبب قد يكون من الموجودات الخارجية في دار الطبيعة وذلك
 واضح وقد يكون امرا "علويا" من باطن عالم الطبيعة فان الارواح
 المطهرة عن دنس الاخلاق ورجس الاعتقادات ربما تلوح لها من العالم
 الاعلى كرام بررة فتلقى منهم المعارف الالهية وربما تبرز
 الى ظاهر الكون فتمثل للسمع والبصر لكونها اشرف الحواس
 الظاهرة فتري شخصا "محسوسا" في غايه الحسن و الصباحة وتسمع
 كلامه وهذا هو حقيقة الرؤية النهائية ان سببها من باطن العالم كما ان السبب

الاعدادى في ادراك الصور المحسوسة امر جسماني طبيعي وعلى كل تقدير فالمعلوم بالذات هو ما تمثّل وتحقّق في ظرف الادراك، ولا يكاد ينتمل حقيقته الادراك بتفاوت الاسباب، فكما ان السبب الجسماني الطبيعي في ادراك المحسوسات موجود في خارج المشاعر فكذلك السبب العلوي الروحاني موجود في خارج المدارك الاتري ان الشيء كما يحدث في القابل من جهة مباد جسمانية كحدوث السخونة في بدن الانسان بمقارنة مسخن كالنار مثلا " كذلك قد تحدث فيه من امر غير جسماني كإرادة الغضب مثلا " فالسخونة في كلا المثالين مسببة عن السبب الخارجي الا انه في الاول جسماني وفي الثاني نفساني .

وليعلم ان في بعض الروايات المفسرة لقوله تعالى : وان من اهل الكتاب الالياء ممن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا " المروى عن الصادق عليه السلام انه قال هو رسول الله صلى الله عليه وآله وفي البعض الآخر عنه عليه السلام : ايمان اهل الكتاب انما هو لمحمد صلى الله عليه وآله كما في البحار ج ٦ ص ١٨٨ مع ان ظاهر الكتاب وبعض الروايات هو عيسى بن مريم عليه السلام .
قال العارف الكامل الشاه آبادى قدس سره في بعض رسائله :

الايان بعيسى قبل الموت بتحقق الايمان بالولاية المطلقة المحمّدية لانّها مندرجة فيها ثمّ قال قدّه: اعلم ان كيفية ظهور الوليّ على النّاس قبل موتهم فهي على قسمين فاما ان يكون له مرآة مجلوة وقلب صاف فيراه مطابقا " للمرآة فيبايعه ويؤمن به كما اذا اعتقد بعنوانه فيشاهد المعنون ويبايع معه بشخصه واما من لم يعتقد به فاما ان يكون قاصرا " ساذجا " غير مقصر في حقّه ظاهرا " نقيّا " من الرذائل فلا محالة يشاهده بالنورانية فيؤمن به ويروح الى دار السعادة واما من لم يعتقد به وتقصّر في حقّه او كان منكراه فليس له مرآة حتى يراه في مرآة قلبه فلا محالة يرى نفسه في مرآة الوليّ وحيث ان صورته وفعليته قبيحة منكرو لسيئات الاعمال و لقبائح الاخلاق ومفاسد العقائد و انكار الشرائع اشتبه عليه المرئي بالولّي فيبغضه ويروح الى دار الشقاوة انتهى موضع الحاجة من كلامه زيد في علوم مقامه .

واعلم ان الولاية هي غاية الكمال الحقيقي للانسان وهي الغرض النهائي للتشريع الالهي فان البرهان العقلي قائم على ان هذه النشأة مسبوقة الوجود بغيرها وآن ظاهر الحياة الدنيا متعلق الوجود بالآخرة بنحو العلوية والمعلوية الى ان ينتهي الامر الى الله سبحانه وان جميع الكمالات الموجودة في النشأة السافلة موجود فيما فوقها من غير ان يمسها النقصان الملازم للسافل .

ثم من المبرهن عليه ايضا " ان كل حقيقة موجودة في اقليم الامكان فهي مستدعية لتاممها في ذاتها وان تمامها هي غايتها الاخير وكمالها الاقصى وقد ثبت في محلّه ان الله سبحانه وتعالى هو الغاية الوحيدة للموجودات كما اشرنا اليه في اول الكتاب ثم ان المبين عقلا " ونقلنا " ان الانسان مفضول على فطرة الله وانه بطبعه وذاته يحب علما " لاجهله فيه - وقدرة لا عجز فيها وحياة لا موت فيها و بالجملة يحب الكمال المطلق فطرة ويبغض النقصان والفقدان جبلة ومعلوم ان الكمال المطلق مثل العلم الصرف والحيوة المحضة وسائر الكمالات بنحو الاطلاق والارسال لا يكون الا لله ومن هنا فسرت الفطرة في الروايات بفطرة المعرفة والتوحيد فبذم محبة الكمال المطلق مزروع في وجود الانسان فاذا سقاها باعتناق الشريعة والزام ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من الاعتقاد الحق والعمل الصالح وتحقق قوله سبحانه " قل ان - كنتم تحبون الله فاتبعوني افي حقه فلا محالة يصعد اليه تعالى بعبوره عن جميع الاوساط والعوالم وحيث انه لا ينال مرتبة من تلك الاوساط حق النيل الا بامضاء فيها فهو في كل مرتبة مجرى للفيض المفاض من تلك المرتبة على ما دونها فله الولاية تكويننا على حسب صعوده .

ومما ذكرنا ينقدح معنى الروايات والزيارات الواردة في مقام النبي صلى الله عليه وآله ومقامات الائمة المعصومين في

عترته مثل قوله ص في الاثمة الاثنى عشر بهم يوزق الله عباده
و بهم نزل القطر من السماء .

كما رواه الصدوق و نقلنا رواية الكافي سابقا " وغيرها من
الآثار المتواترة في ذلك فافهم و استقم .

*

الفصل السادس

في ان القبر هو البرزخ

في ان القبر هو البرزخ

قد تبين مما مرّ في الفصل الثّاني من حقيقة الموت وأنّه لا
ننقل من نشأة الى اخرى، انّ بالموت تشرع حياة اخرى،
سعيدة واشقيّة وهي التي سماها القرآن المجيد بالبرزخ في قوله:
حتّى اذا جاء احدهم الموت قال ربّ ارجعون لعلّي اعمل
صالحا " فيماترت كلاً " انّها كلمة هوقائلها ومن ورائهم برزخ
الى يوم يبعثون^١

قوله: (ومن ورائهم يراد به احاطة البرزخ بهم) نظير قوله:
وكان من ورائهم ملك ياخذ كلّ سفينة غصبا^٢
والآية صريحة في شروع حياة اخرى بمجبي "الموت، وانّها
تمتد الى يوم البعث وقد تكرر هذا المعنى في روايات اهل البيت

عليهم السلام الواردة في تفسير هذه الآية وأن البرزخ هو القبر .
 منها ما رواه في العلل عن مولانا زين العابدين عليه السلام .
 أنّ أشدّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات : الساعة التي يعاين فيها
 ملك الموت والساعة التي يقوم من قبره ، والساعة التي يقف
 فيها بين يدي الله تبارك وتعالى فأمّا إلى الجنة وأما إلى
 النار ، ثمّ تلى عليه السلام : ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون
 قال : هو القبر وأنّ لهم فيه لمعيشه ضنكا والله أنّ القبر لروضة
 من رياض الجنة واحفرة من حفرة النيران .^١

ومنها ما في تفسير القمي قال وقوله : و من ورائهم برزخ إلى
 يوم يبعثون ، فقال الصادق عليه السلام البرزخ القبر ، هو الثواب
 والعقاب بين الدنيا والآخرة .

ومنها ما رواه في الكافي عن عمرو بن يزيد قال قلت لابي عبد
 الله عليه السلام : انّي سمعتك وانت تقول : كلّ شيعتنا في -
 الجنة على ما كان فيهم ، قال صدقتك كلّهم والله في الجنة
 قلل : قلت جعلت فداك انّ الذنوب كثيرة كباثر فقال اما في
 القيامة فكلكم في الجنة بشفاعه النبي المطاع او وصي النبي و

لكن واللّه اتخوف عليكم في البرزخ قلت: وما البرزخ قال: القبر منذ حين موته الى يوم القيامة^١.

الظاهر أنّ قوله عليه السلام: القبر منذ حين موته تفسير لقوله تعالى: ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وتصريح باتّحاد القبور البرزخ.

قال المجلسي قده: فالمراد بالقبر في اكثر الاخبار ما يكون الروح فيه في عالم البرزخ، البحار ج ٦ ص ٢٧١ والآيات الدالة على الحياة البرزخية كثيرة جدا " منها قوله تعالى: ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل اللّه امواتا " بل احياء ولكن لاتشعرون^٢

قال شيخنا العلامة الطباطبائي روى فداه: ان الآيّة دالة على الحياة البرزخية وهي المسماة بعالم القبر، عالم متوسط بين الموت والقيامة ينعم فيه الميت او يعذب حتّى تقوم الساعة^٣ ومنها قوله عزوجل: ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل اللّه امواتا " بل احياء عند ربّهم يرزقون فرحين بما آتاهم اللّه من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاّ خوف

٢ - البقرة ١٥٤

١ - البحار ج ٦ ص ٢٦٧

٣ - الميزان ج ١ ص ٢٥٣

عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمن^١

ومنها قوله تعالى: النار يعرضون عليها غدواً وعشيا و يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب.^٢
ومنها قوله تعالى و قالو ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعتر فنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل.^٣

ودلالة هذه الآية على الحياة البرزخية بعد التاء مل فيما ذكر نافي معنى الموت والتوفي واضحة فان التوفي كما علمت هو انتقال الروح وارتقاءها الى عالمها فهو - التوفي - بوجهه الدنيوي اماتة وتعطيل للحواس والمشاعر في هذه البنية الجسمانية ولكن بوجهه الآخر احياء في النشأة الاخرى فهذه اماتة واحياء واما الاماتة والاحياء الثانيتان فهما الانتقال من البرزخ الى الآخر بنفخة الصعقة.

فالاماتة هي بعينها الاحياء: اماتة بالاضافة الى العالم المنتقل عنه و احياء بالاضافة الى المنتقل اليه فافهم.
ومنها قوله تعالى: قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي

١ - آل عمران ١٦٩-١٧١ ٢ - المؤمن من ٤٦ ٣ - المؤمن من ١١

يعلمون ومنها قوله عزّوجلّ: جنّات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب كان وعده مأتيا " لا يسمعون فيها لغوا " الأسلاما " و لهم رزقهم فيها بكرة و عشيا " ٢

فانّ البكرة والعشيا انما يكونان من الليل والنهار في جنّة البرزخ واما في الآخرة فليس فيها شمس كما يدّل عليه قوله تعالى: متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا " ولازمهيرا " ٣ وقد احتجّ بهذه الآية على الحياة البرزخية في بعض الروايات كما رواه في البحار عن تفسير النعماني ج ٦ الخبر ٧٦ ص ٢٤٥ و سيأتي جملة من الآيات الاخرى في بعض الابحاث الآتية، الدالة على هذا المطلب .

واعلم أنّك بالتفكر فيما مرّ تطمئن الى ان الحياة البرزخية ليست بهذا القالب الكثيف العنصري فان الاستفادة من الآيات المتعرضة للتوفي، انّ المأخوذ بالموت هي النفس التي تغاير هذه الابدان العنصرية وانها في قبضة ملك الموت عليه السلام، و علمت ايضا " من الآيات الاخرى انه بالموت تشرع الحيات

البرزخية، وأن في تلك الحياة مسحة من لوازم الحياة الدنيا
لما فيها من الغدو والعشي الذين من توابع الليل والنهار ،
فلا محالة فيها نوع تجسم ، فإن الار تزاق بالاكل والشرب وغير هما
من اللذائذ الجسمانية لاتنفك عن الجسم فعلى هذا ليس فيه
عنصر العالم الطبيعي الذي شأنه قبول الآثار الجسمية، وبالجملة
هذا العالم برزخ بين المادية المحضه وعالم الآخرة، ولذائده وآلامه
اقوى من اللذائذ والآلام الدنيوية لاقوائيه هذه النشأة من النشأة
الدنيا

فما جهل من حسب ان لازم القول بنفى المادة هناك ان
تكون لذائده وآلامه خيالية وهمية لا واقعية لها الافى مواطن
الخيال والوهم ذلك مبلغهم من العلم بالكتاب والسنة والبرهان
والحجة.

وهناك روايات كثيرة تبين ما استظهر نامن الآيات الشريفة
نذكر طائفة ونشير الى اخرى .
ثم ان المتكرر في روايات ائمة اهل البيت عليهم السلام
ضغطة القبر وضمه و ذكر اسبابها .

فمنها في قصة سعد بن معاذ من قوله صلى الله عليه وآله :
ومثل سعد يضم المذكوره في ارقام ٩ - ١٤ - ١٩ من اخبار

ابواب البرزخ والقبر ج ٦ من البحار .

ومنها ارقام ١٣ و ١٥ وغيرها وقد ذكر علل الضغط انّها من
تضييع النعم وسوء الخلق والتّميمة وعدم التنزه عن البول كما في ارقام
١٦ - ٢١ - ٢٥ من الباب المذكور وانّ المتوفّي يوء من من الضغط
اذا مات بين زوال الخميس الى زوال الجمعة كما في ارقام ١٦ - ١٧
٧٢ من الباب المذكور ، وايضا " تكرر في الاخبار الكثيرة انّ بوضع
الجريدة الرطبة مع الميت يتجافى عنه العذاب مادامت رطبة كما
ذكر ناآنفا " وشرنا الى موضع روايات الباب .

ثمّ انه ورد في الاخبار الكثيرة تمثّل صور بعض الاعمال
للمتوفّي في قبره ، فمنها ما رواه في الكافي الشريف عن الصادق
عليه السلام : اذا وضع الميت في قبره مثل له شخص فقال له يا
هذا كنا ثلاثة : كان رزقك فانقطع بانقطاع اجلك ، كان اهلك فخلوك
وانصرفوا عنك ، وكنت عمك فبقيت معك اما انّي اهون الثلاثة عليك
ومنها ما رواه ايضا فيه عنه عليه السلام : اذا دخل الموء من
قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبرّ مظل عليه قال
فيتنحى الصبر ناحية فاذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلة :

قال الصبر للصلاة والزكاة دونكما صاحبكما فان عجزتم
فانادونه^١

ومنها ما عن المحاسن عن احدهما عليهما السلام: اذا مات
العبد المؤمن دخل معه في قبره ست صور فيهم صورة احسنهن
وجها " وابها هن هيئة و اطيبهن ريحا " وانظفهن صورة قال :
فيقف صورة عن يمينه واخرى بين يديه واخرى خلفه واخرى عن
يساره واخرى عند رجليه ويقف التي هي احسنهن فوق راسه فان
اتي عن يمينه منعت التي عن يمينه ثم كذلك الى ان يوءى من
الجهات الست قال: فتقول احسنهن صورة: ومن انتم جزاكم الله
عني خيرا " فتقول التي عن يمين العبد انا الصلاة وتقول التي عن
يساره:

انا الزكاة وتقول التي بين يديه: انا الصيام وتقول التي خلفه:
انا الحج والعمرة وتقول التي عند رجليه انا بر من وصلت من اخوانك
ثم يقلن من انت فانت احسننا وجها " واطيبنا ريحا و ابها ناهيئة
فتقول انا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم اجمعين^٢.
فمنها ما رواه في العلل عن مولا نا الصادق عليه السلام قال:

انما صار الانسان ياكل ويشرب بالنار ويبصرو يعمل بالنور الى ان قال عليه السلام فهكذا الانسان خلق من شأن الدنيا وشان الآخرة فاذا جمع الله بينهما صارت حياته في الارض لانه نزل من شأن السماء الى الدنيا فاذا فرق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت ترد شأن الاخرى الى السماء فالحياة في الارض والموت في السماء وذلك انه يفرق بين الارواح والجسد فردت الروح والنور الى القدس الاولى وترك الجسد لانه من شأن الدنيا وانما فسد الجسد في الدنيا لان الريح تنشف الماء فييبس فيبقى الطين فيصير رقاقاتا ويبلى و يرجع كل الى جوهره الاول ١

ومنها ما في الاحتجاج من حديث الزنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن سائل الى ان قال: اخبرني عن السراج اذا انطفأ" اين يذهب نوره" قال: يذهب فلا يعود قال فما انكرت الا يكون الانسان مثل ذلك اذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع اليه ابدا " كما لا يرجع ضوء السراج اليه اذا انطفأ " قال عليه السلام: لم تصب القياس ان النار في الاجسام كامنة والاجسام قائمة باعيانها كالحجر والحديد فاذا ضرب احدهما بالآخر سطعت

من بينهما نار تكتسب منها سراج له الضوء فالنار ثابتة في اجسامها
والضوء ذاهب .

والرّوح جسم رقيق قد البس قالبا كثيفا " ليس بمنزلة
السراج الذي ذكرت ، ان الذي خلق في الرحم جنينا " من ماء
صاف وركب فيه ضروبا " مختلفة من عروق وعصب واسنان وشعر
وعظام وغير ذلك هو يحييه بعد موته ولعيده بعد فنائه ، قال
فاين الرّوح؟ قال : في بطن الارض حيث مصرع البدن الى وقت
البعث قال : فمن صلب اين روحه قال في كف الملك الذي قبضها
حتى يود عنها الارض قال : افيتلاشى الرّوح بعد خروجه عن قلبها
هو باق؟ قال : بل هو باق الى وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل
الاشياء وتفنى فلاحسولا محسوس ثم اعيدت الاشياء كما بدتها
مدبرها وذلك اربعة امة سنة تسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين
ومنها ما عن امالي المفيد ره ويقرب منه ما عن الكافي
عن ابن ظبيان قال : كنت عند ابي عبد الله عليه السلام قال :
ما يقول الناس في ارواح المؤمنين بعد موتهم قلت :
يقولون في حواصل طيور خضر ، قال سبحان الله ! المؤمن

أكرم على الله من ذلك، إذا كان ذلك اتاه رسول الله ص و
 علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة الله
 عز وجل المقربون فان انطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد
 وللنبي صلى الله عليه وآله بالنبوة والولاية لاهل البيت عليهم
 السلام شهد على ذلك رسول الله ص وعلي وفاطمة والحسن و
 الحسين والملائكة المقربون معهم وان اعتقل لسانه خص الله
 نبيه بعلم ما في قلبه من ذلك فشهد به وشهد على شهادة
 النبي علي وفاطمة و الحسن والحسين على جماعتهم من الله
 افضل السلام ومن حضر معهم من الملائكة، فاذا قبضه الله اليه -
 صير تلك الروح اجالي الجنة في صورة كصورته فيكون ويشربون فاذا
 قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا،
 وقريب منه الخبر ٦٥ في ص ٢٤٢ في البحار

ومنها ما رواه في الكافي عن حبة العرنى قال خرجت مع
 اميرالمؤمنين عليه السلام الى الظهر^٢ فوق بواي السلام كانه
 مخاطب لاقوام، فقامت بقيامه حتى اعيتت، ثم جلست حتى
 مللت ثم قامت حتى نالني مثل ما نالني اولاً^١ ثم جلست حتى

طلب ثم قمت وجمعت ردائي فقلت: يا اميرالمؤمنين اني قد
شفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ثم دلححت الرداء -
ليجلس عليه فقال: يا حبه ان هوآ محادثة مؤء من اوموء انسته
قال قلت يا اميرالمؤمنين وانهم كذلك قال نعم ولو كشف لك
لرأيتهم حلقا " حلقا " محتبين^٣ يتحادثون فقلت اجسام ام ارواح.
فقال: ارواح وما من مؤء من يموت في بقعة من بقاع الارض الا
قيل لروحه الحقي بوادي السلام وانها لبقعة من جنة عدن^٤
ومنها ما في صحيح علي بن ابراهيم المروى في الكافي عن
ابى ولاد عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قلت له جعلت
فداك يروون ان ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش
فقال: لا، المؤء من اكرم على الله من ان يجعل روحه في حوصلة
طيور لكن في ابدان كابدانهم^١.

ومنها ما في الكافي عن ابى بصير عنه عليه السلام قال:
ان الارواح في صفة الاجساد في شجرة في الجنة تعارف وتساؤل

١ - احتسب بالشوب، اشتمل به، جمع بين ظهوره وساقه بعامة ونحوها

٢ - البحار ج ٦ ص ٢٦٧

٣ - البحار ج ٦ ص ٢٦٨

فاذا قدمت الروح على الارواح تقول: دعوها فانها قد افلتت
من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان وما فعل فلان فان قالت
تركته حيا "ارتجوه وان قالت لهم قد هلك قالوا قدهوى هوى^١.
فدونك ارقام الاخبار الدالة على المطلوب المروي في الكافي
فراجع البحار ج ٦ الخبر ١٢٧ - ١٢٦ - ١٢٥ - ١٢٤ - ١٢٢ -
١٢٠ - ١١٨ ويقرب منها الخبر التاسع في ص ٢٨٧ ج ٦ من البحار

الفصل السابع
في سؤال القبر

في سؤال القبر

وحيث تبين مآمر في الفصل السابق أنّ القبر هو البرزخ في عرف الروايات بل الكتاب فلا مناص من القول بكون المسألة والضغط ونحوهما واقعة في هذا العالم المسمى بالبرزخ ويدل عليه من القرآن آيات كثيرة:

منها قوله تعالى: **أَنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك ماء وهم جهنم وساءت مصيرا " **الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ** لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا " **أُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ** وكان الله **عَفْوًا غَفُورًا** ١

قال شيخنا العلامة الطبا طبائى روحى فداه: وفي الآية دلالة في الجملة على ما تسميه الاخبار بسؤال القبر، وهو سؤال

الملائكة عن دين الميت بعد حلول الموت كما بدل عليها ايضا "قوله تعالى :
والذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم الى قوله خيرا"^١
الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم الى قوله خيرا"^١
ومنها قوله تعالى : يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحياة الدنيا^٢ حيث فسّره في رواية سويد بن غفله بالمسألة
المروية في تفسير القمي عن امير المؤمنين عليه السلام قد نقلنا
صدرها آنفا " في باب التمثل وهاك تتمتها :

ثم يلتفت - اي المحتضر - الى عمله فيقول : والله اني
كنت فيك لزاهدا " وانك كنت عليّ لثقيلاً " فماذا عندك
فيقول انا قرينك في قبرك ويوم وحشرك حتى اعرض انا وانت على
ربك فان كان لله وليا " اتاه اطيب الناس ريحا " واحسنهم
منظرا " وازينهم ريشا " فيقول ابشر بروح وريحان وجنة نعيم ،
قد قدمت خيرا مقدم فيقول : من انت فيقول : انا عمك الصالح
ارتحل من الدنيا الى الجنة وانه ليعرف غاسله ويناشد حامله ان
يجعله فاذا ادخل قبره اتاه ملكان وهما فتان القبر ، يجران اشعارهما
ويبحثان الارض بانيا بهما واصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما
كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك و من نبيك وما دينك فيقول

٢ - ابراهيم ٢٧

١ - الميزان ج ٥ ص ٤٩

اللَّهِ رَبِّي وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّ وَالْإِسْلَامُ دِينِي فَيَقُولَانِ ثَبَّتَكَ اللَّهُ فِيمَا تَحَبُّ وَتَرْضَى وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْآيَةَ. فيفسحان له في قبره مدبصره ويفتحان له بابا " إلى الجنة ويقولان له نم قريالعين نوم الشَّابِّ النَّاعِمِ وَهُوَ قَوْلُهُ: اصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا " واحسن مقبلا ".

واذا كان لربه عدواً " فإنه يأتيه اقبح خلق الله رياشا " وانتنه ريحا " فيقول له ابشربنزل من حميم وتصلية جحيم وأنه ليعرف غاسلهو يناشد حامله ان يحبسه فاذا ادخل قبره اتياه ممتحنا " القبر فالقياعنه اكفانه ثم قالاله: من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا ادري فيقولان له مادريت ولاهديت فيضربانه بمرمزة ضربة " ما خلق الله دابة الا وتذعرلها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له بابا " إلى النار ثم يقولان له: نم بشرحال فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج حتى ان دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الارض وعقاربها و هوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وانه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر^١ ومنها قوله تعالى: كما اشيراليه في كلام

شيخنا العلامة: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقُوا
إِلَّيَّكُمْ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .
فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ .
وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْنَا بِكُمْ قَالَوا خَيْرًا " لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتٌ
عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ
يُجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .^١

روى في نور الثقلين عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنه ليس
من أحد من الناس تفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أي المنزلين
يصير إلى الجنة أم إلى النار أعدو هولاء أو ولّى فان كان ولياً " لله
فتحت له ابواب الجنة وشرع طرقها ونظر إلى ما أعد الله فيها
ففرغ من كل شغل ووضع عنه كل ثقل .

وان كان عدوّاً " لله فتحت له ابواب النار وشرع له طرقها
ونظر إلى ما أعد الله له فيها فاستقبل كل مكروه ونزل كل شرور
كل هذا يكون عند الموت وعنده يكون بيقين .

قال الله تعالى: الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم... ويقول: الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فاقوال السلم^١.

ومنها قوله عزوجل: وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة الى قوله تعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا" الى قوله: اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا^٢.

وقد فسر قوله (اصحاب الجنة) في رواية سويد بنوم البرزخ كما هو ظاهر قوله تعالى ايضا "يوم يرون الملائكة حيث يظهر منه انه اول يوم يرون الملائكة، والمقيل هونوم القيلولة وليس في الجنة الآخرة نوم وان كان في جحيمها نوم كما سذكره في محله ان شاء الله تعالى.

ومنها الآيات التي مرت في الحياة البرزخية في الفصل السابق وقد نبهناك كرارا "على ان قوله عزاسمه، ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون يدل دلالة واضحة على ان، بمجيي الموت تشرع الحياة البرزخية وتمتد الى يوم البعث فيستنتج منه ومما سبق من الآيات الواردة في سؤال الملائكة ان هذا السؤال واقع في البرزخ،

المفسر في الروايات بالقبر وانهما واحد وانّ المسئول هي الانفس-
المتوفاة حسب منطوق الآيات والروايات القائلة بانهم في ابدان
كابدانهم الدنيوية، او انّ الارواح في صفة الاجساد، او انّ الروح
في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فاذا قدم عليهم القادم
عرفوه بتلك الصورة الدنيوية.

وكذا ما ورد من ان سيدنا ابراهيم اوسيدتنا فاطمة عليهما السلام
يربّيان اطفال الموءمنين كما في الخبر ٣٣ و ٣٤ ص ٢٢٩ ج ٦ من البحار
وما ورد من انّ لله جنّة في المغرب تخرج اليها ارواح الموءمنين
من حفرهم عند كل مساء فتسقط على ثمارها وتاكل منها و تتعارف
فاذا طلع الفجر هاجت في الجنّة وتعهد حفرها وكذا في ارواح الكفار
وانّها تسكن، الى انار خلقها الله في المشرق كما في الخبر ١٢ ص
٢٨٩ في ج ٦ من البحار، الى غير ذلك من الاخبار الكثيرة
المتكاثرة في ابواب مختلفة.

فما مرّ من البيان يتّجه جميع ما ورد في الروايات من السّؤال
في القبر واتّساعه وضغطه و ثوابه و عذابه و كونه روضة من رياض
الجنّة او حفرة من حفر النيران وزيارة الموتى لاهليهم وغير

١ - وفي الخبر ٢٤ ص ١٤٥ من ج ٥ نور الثقلين زاد ساره زوجة ابراهيم رواه -
عن من لا يخصره الفقيه

ذلك .

من عجائب الاخبار والروايات كما انه بهذا البيان يجاب عما
يقال في مقام انكار سؤال القبر:

من انا نرى شخصا " مصلوبا " باقيا " الى ان يذهب اجزائه
ولانشاهد فيه حياة والمسائلة والقول بهما مع عدم المشاهدة فسفطة
محضة وابلغ منه من اكلته السباع والطيور وتفرقت اجزائه في -
بطونها وحواصلها وابلغ من احرق فصار رمادا " ذرته الذاريات
ذروا " شمالا " وجنوبا " قبولا " ودبورا " فاناعلم عدم احيائه
ومسائلته و عذابه ضرورة .

ولوجاز تخطئة الحس في مثل هذا الجاز مثلها في جميع الامور
المحسوسة فعندئذ لا يبقى وثوق بالواقع الخارج و ماله اللحوق
بالسوفسطائية .

وقديحكي عن بعض الناس انه وضع المسجلة مع الميت تارة
ليضيظ المسائلة بين الملائكة وبينه وتارة اخرى ملافاه من التراب
والدقيق ونحوهما فلما ان نبش الحفرة عند الصباح لم يجد صورة
مكاملة مضبوطة في المسجلة ولا تغيير وضع في الميت في خروج ذرة
من التراب من فيه بل هو على نحو ما وضع في حفرة الى غير ذلك
من الاوهام والاغاليط .

ان قلت: هذا الاستظهار والاستنتاج في مسألة حقيقة القبرو المسئلة فيهوان كان موافقا " للكتاب والروايات الكثيرة الا ان هنا روايات اخرى كثيرة ايضا " ظاهرة في ان السّؤال يقع في هذه الحفرة بهذا البدن العنصرى وتلك الطائفة من الاخبار بلغت في الكثرة الى حد لا يستهان بها .

فمنها ما في الخطبة الغراء في نهج البلاغه حيث قال عليه السلام : حتى اذا انصرف المشيع ورجع المتفجع اقعدي حفرته بخيا " لبهته السّؤال وعثرة الامتحان واعظم ما هنالك بليّة نزل الحميم وتصلية الجحيم . وقريب منها ما في كتابه عليه السلام الى محمد بن ابي بكر حينما ولاه مصر وفيه قال عليه السلام : فتنضم عليه الارض حتى تلتقى اضلاعه .

ومنها ما رواه في الكافي عن مولانا ابي جعفر عليهما السلام . فاذا ادخل حفرتة ردت الروح في جسد وجاء ملكا القبر فامتحناه الخبر ٩٥ ص ٢٥٩ ج ٦ من البحار وفي الخبر ١٠٨ ص ٢٠٤ - ٢٦٤ - في الكتاب المذكور المروي عن الكافي الشريف عن الصادق عليه السلام فيقعدهانه فيلقيان فيه الروح الى حقويه ويقرب مما ذكر نا الخبر ١٨ و ٢٢ المذكوران في ص ٢٢١ في ج ٦ من البحار ويدل عليه ايضا " ما ورد في الحث على زيارة قبور الموتى وانهم

يستأنسون بزوارهم ويحزنون بمفارقتهم ، وكذا ما ورد في حكمة وضع
الجريدة مع الميت من أنه يتجافي عنه مادامت رطبة فمنه مارواه
البخارى في صحيحه :

أن النبي ص مر بقبرين فقال أنها ليعذبان وما يعذبان في كبير
أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم
أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ففرز في كل قبر واحدة قالوا يا رسول
الله لم فعلت هذا قال لعله يخفف عنهما ما لم يببسا^١

ومنهما في صحيح زارة المروى في الكافي قال : قلت لابي
جعفر عليه السلام رأيت الميت اذا مات لم تجعل معه الجريدة
قال يتجافي عنه العذاب والحساب مادام العود رطبا " قال :
وللعذاب كله في يوم واحد في ساعة واحدة قدر ما يدخل القبر و
يرجع القوم وانما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حساب
بعد جفوفهما انشاء الله^٢

وفي غير واحد من الاخبار ان الجريدة الخضراء تنفع الموء من
والكافر مادامت رطبة فراجع الباب ٧ من ابواب تكفين وسائل

١ - صحيح البخارى ج ١ ص ٦٢ من الطبع المشكول

٢ - البحار ج ٦ ص ٢١٥

الشَّيْعة .

وكذا ماورد من نوم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في لحد فاطمة بنت اسد أم امير المؤمنين عليه السلام فلما سئل عن نومه هذا قال ص: أما نومي في لحدها فاني ذكرت في حال حياتها ضغطة القبر فقالت واضعاه ، فنمت في لحدها لاجل ذلك حتى كفيتها

ذلك ١

وهكذا ماورد في قصة بهلول النبَّاش من استماعه صوت الفتاة المجور بهافي لحدها معاتبه له وما رواه مالك في الموطأ عن عبدالرحمن بن ابي صعصعة انه بلغه عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمرو الانصاريين ثم السلميين كانا قد حفر السيل قبرهما وكان قبرهما مائلي السيل وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم احد فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجد الم يغيرا كانا ماتا بالامس وكان احد هما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكانت بين احد و بين يوم حفر عنهما ست واربعون سنة ٢

ومثله ما في الاصابة ج ٢ ص ٣٥٥ وكذا في اسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٣ والحاصل ان المستفاد من تلك الطوائف من الروايات

والآثار ان حقيقة القبر ليست الأهذه الحفرة المحسوسة وانّ
السؤال والضعفة والاتساع والعذاب والثواب واقعة فيها ومن هذه
الاجداث يبعثون فيحشرون في القيامة الكبرى بل ظاهر الكتاب
يساعدها ايضا " كما في قوله تعالى : منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى ^١ وقوله عز اسمه : و نفخ في الصور
فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون. ^٢

قلت نعم ان مثل ما ذكر من الاخبار اخبار كثيرة وردت في
غير هذا الباب مثل ما ورد في الحجر الاسود من انه مستودع الموائيق
المأخوذة من بنى آدم في عالم الذروانّه يجيى يوم القيامة وله لسان
ناطق وعينان ومن هنا يقال عند الاستلام : امانتى اديتها و
ميثاقي تعاهدته تشهدلى بالموافاة.

وما رود في عدة من البقول والفواكه من انها من الجنة او انّ
منبتها في النار وانّه تقطر على اوراقها في كلّ صباح قطرة من الجنة
وان الله تبارك و تعالى عرض ولاية آل البيت عليهم السلام
على الثمرات فما قبل منه ولايتهم عذب وطاب وما لم يقبل منه
خبث وردى الى غير ذلك من الانوار المفاضة علينا من مشكاة

النّبوة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَصْبَاحِ الْوَلَايَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَاشِكَّ فِي أَنَّ وِرَاءَ الْعَقْلِ طَوْرًا " آخِرُ تَفْتِيحٍ فِيهِ عَيْنٌ أُخْرَى يَدْرِكُ بِهَا الْغَيْبَ وَأَنَّ الْعَقْلَ لَمَعزُولٍ عَنِ دَرْكِهِ كَمَا أَنَّ الْحَسَّ مَنَعزَلٌ عَمَّا يَدْرِكُهُ الْعَقْلُ .

وَالْحَلَّ الَّذِي يَرشِدُ نَائِلِيهِ كِتَابُ اللَّهِ الْعَزِيزِ: هُوَ أَنَّ لِلشَّيْءِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَجُودًا " مَخزُونًا " غَيْرَ مَحْدُودٍ وَأَنَّهُ يَنْحَدِدُ وَيَتَقَدَّرُ بِالتَّنْزِيلِ وَأَنَّ مَا دُونَ تِلْكَ الْخَزَائِنِ عَالَمٌ مَقْدَارِيٌّ بَاقٍ غَيْرٌ مُتَدَرِّجٌ وَأَنَّهُ عَالَمٌ الْأُمُورِ مِنْهُ يَنْتَزِلُ الْفِيضُ إِلَى عَالَمِ التَّدْرِيجِ وَ الطَّبِيعَةِ فَقَوْلُهُ سَبْحَانَهُ: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ الْأَعْنَدُ نَاخِزَاتُهُ وَ مَا نَنْزَلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ ١، يَدَّلُ عَلَى الْأَوَّلِ وَقَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ وَكُلَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ ٢ مَعَ قَوْلِهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ٣، يَدَّلُ عَلَى الثَّانِيِ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: يَدْبُرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ٤، يَدَّلُ عَلَى الثَّلَاثِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا " أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسَبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَكْرُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ٥.

٢ - الرعد ٨

١ - الحجر ٢٥

٤ - السجدة ٤٥

٣ - النحل ٩٦

٥ - يس ٨٣ - ٨٢

يَدَّل على أَنَّ التَّرتب بين عالم الامر والملكوت وبين عالم الطبيعة والتَّدرِج هو تَرْتب (كن فيكون) فيستنتج من ذلك كلُّه أَنَّ هذا العالم العنصرى والتَّدرِجى له وجهان وجه تدرِجى سيلانى وهو وجهه الطبيعى وحكمه ان يحصل تدرِجاً " من القوَّة الى الفعل و وجه ملكوتى لاتدرِج فيه وجفَّ القلم بما هو كائن بالاضافة اليه، فمنه ينقدح ان للقبور وجهين و جهاداً الى الدُّنيا وهو هذه الحفرة، ووجهها "الى الملكوت وهو عالم البرزخ والمثال: ولعمرك ما الطف قولهم عليهم السَّلام الوارد فى سؤال القبر، فيفسحان- يعنى الملكين- لهماى للموء من فى قبره مدَّ بصره اوبا با " من الجنة، ويفتحان للكافرين ابا " الى النَّار فراجع الاخبار الواردة فى تفسير قوله تعالى. فاما ان كان من المقربِّين الى قوله و تصلياً جحيم. ٢

فالانسان المتوفِّى المقبور يرى نفسه مقبوراً " وانَّ هذا البدن العنصرى مورداً " للمسائلة و قد اُعد فى لحدّه و رُدَّت الرُّوح الى حقويه وانه محلٌّ للثواب والعقاب وكلُّ ذلك تمثيل له وقد سبق بعض الكلام مما يناسب المقام فى حضور الائمة عليهم السَّلام عند المحتضر و بالجملة

١ - يعنى على قدر همته ودركه يفسح له او يفتح له

كَلَّ ماورد من النَّبِيِّ وعترته صلوات الله عليه و عليهم حقّ لاريب فيه فأَمَّارٌ بنا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْاِبْرَارِ .
هنا وجوه اخرى للجواب عن تلك الطائفة من الاخبار منها حملها على ضرب من التمثيل كقوله تعالى : مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن .^١

فإن المثل هو الوصف الذي يمثل الشيء ويقرب صورته بالبال فمعنى الآية أنّ هذا الوصف للجنة لاجل التقريب الى البال مع أنّ الجنة اعلى وارفع من ان يحيط بها الوصف ويحدّها كما يفصح عنه قوله تعالى : فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين .^٢
ومن هذا القبيل ما في الروايات في وصف نعم الجنة ولذاتها وأنّ في اكل بعض ثمرتها جميع انواع اللذة حتّى لذّة الجماع وأنّ الجماع يطول سنين الى غير ذلك .

واشار الى هذا الجمع سيدنا الاعظم ومولانا الا كمل الاعلم شيخنا العلامة الطّباطبائي روى فداه فيما علّقه على بحار الانوار بقوله : واما الروايات الدّالة على ادخال الروح الى حقويه في القبر فهي تمثيل للمسائلة كما أنّ الروايات الدالة على قولهما - الى

الملكين - له: نم نومة العروس وانامتها له وغير ذلك تمثيل له
لمكته في القبر في انتظار البعث .^١
ومنها العلاج على شريطة التعارض بان يقال: حيث كانت
تلك الاخبار مخالفة للكتاب لانها لا تلائم قوله تعالى: الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في مقامها فيمسك التي قضى
عليها الموت ويرسل الاخرى الآية، حيث انه بحكم التفصيل
بين النائم والمات بارسال نفس الاول دون الثاني يدل على ارسال
النفس الى جسده فافهم .

وكذا تخالف السنة المفسرة للقبره بالبرزخ والابدان البرزخية
فلا بد ان تدخل في قولهم عليهم السلام: لا يصدق علينا
الا ما وافق الكتاب وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف او
باطل اولم نقله واما ان تدخل في قولهم عليهم السلام: ما
علمتم ان من قولنا فالزموه وما لم تعلموه فردوه الينا و نحوه من
الاخبار الآمرة بالطرح او برد العلم اليهم عليهم السلام واختيار
التسليم لاحتمال كونه من اخبارهم الموافقة للكتاب على الباطن
الذي يعلمونه ولذا كانوا عليهم السلام ربما يستشهدون بآيات

على الاعتقاديّات والاحكام الفرعيّة لانفهم دلالتها لوخّلينا وانفسنا وهي كثيرة جدا " اوغير ذلك من المحامل المعقولة والمّوّل عندى هوالأول من الوجوه فافهم وتاملّ .

وصل : قدتكرّر في الروايات أنّ السّؤال انما يكون من صنفين احد هما محض الايمان والثاني محض الكفر وانّ ساير الناس يعنى المتوسّطين يلي عنهم .

فمنها ما رواه في الكافي عن ابي بكر الحضرميّ أنّه قال : قال ابو- عبدالله عليه السّلام : لايسئل في القبر الاّ من محض الايمان محضا " او محض الكفر محضا " والآخرون يلهون عنهم .

ويقرب منه لفظا " و دلالة الارقام الآتية من الاخبار المذكورة في باب احوال البرزخ والقبر من المجلد ٦ من البحار ١٠٤ - ١٠٢

١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٨

وهذا المعنى هوالمستفاد من القرآن المجيد فانّ التدبّر في قوله تعالى : انّ الذين توفّاهم الملائكة ظالميّ انفسهم ، وفي قوله : ظالميّ انفسهم فالقواالسّلم ، وفي قوله : تتوفّاهم الملائكة طيبين يرشدنا الى انّ السّؤال انما يتوجه الى من تمّ عليه الحجّة ظلما " كان ام طيبا " وبالجملة من ختم له مع الحجّة بالسّعادة والشقاوة ، واما المتوسّطون المستضعفون والذين خلطوا عملا " صالحا " و آخر

سَيِّئًا" فالآيات الشريفة ساكتة عن مسائلتهم بل تدل على ارجاء امرهم الى الله تعالى فهم المرجون لامرالله اما يعذبهم او يتوب عليهم بالعفو والرحمة وهو ارحم الراحمين .
 ثم انه مما يجب ان لا يغفل عنه ان ماتكرر في الروايات من امر الملكين له بالنوم هو المستفاد ايضاً من كتاب الله التبيان لكل شئ وهو قوله عزوجل : يوم يرون الملائكة الى قوله :
 اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا " واحسن مقيلا " .^١

فان المقيلا هو النوم والاستراحة - من غير اعتبار النوم نصف النهار ، ومن الواضح ان لانوم في جنة الآخرة ، فانها عالم اليقظة النهائية ، فكما ان الناس ينام في الدنيا واذا ماتوا انتبهوا واستيقظوا فالحياة الدنيا نومهم بالقياس الى الحياة البرزخية ، فكذلك حالهم في البرزخ بالنسبة الى الآخرة وفي خبر سويد السابق فسره قوله تعالى : احسن مقيلا " بما ذكرنا حيث قال عليه السلام :
 ويقولان : يعنى الملكين - له نم قري العين نوم الشاب الناعم وهو قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا " واحسن مقيلا " .^٢
 وكذا ما ورد في كثير من الروايات من اتيان المتوفى مؤمناً

كان او غيره الى اهله على اختلاف التعبير فيها فهو ايضا " مستفاد في الجملة من كتاب الله المجيد في قوله تقدّست اسمائه . ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا " بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وانّ الله لا يضيع اجر المؤمنين ^١ .

فانّ الابشار والاستبشار تلقى البشارة والبشرى - وهي مايسر الانسان من الاخبار - فهم يطلبون السرور بما يأتيتهم من البشرى بحسن حال من لم يلحقوا بهم من المؤمنين فهذا يدل على اطلاع هؤلاء الشهداء على احوال المؤمنين الاخيار وانهم لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .

قال شيخنا العلامة الطباطبائي رضى الله عنه : هذه الجملة الاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون - كلمة عجيبة كلّ ما معنت في - تدبرها زاد في اتساع معناها على لطف ورقة و سهولة بيان ، واول ما يلوح من معناها أنّ الخوف والحزن مرفوعان عنهم ، والخوف انما يكون من امر ممكن محتمل يوجب انتفاء شئ من سعادة الانسان التي يقدر نفسه واجدة لها ، وكذا الحزن انما يكون من جهة امواق

يوجب ذلك، فالبلية أوكل محذور انما يخاف منها اذالم يقع بعد
فاذا وقعت زال الخوف وعرض الحزن فلاخوف بعدالوقوع ولاحزن
قبله، فارتفاع مطلق الخوف عنالانسان انمايكون اذالم يكن ما
عنده من وجوه النعم في معرض الزوال، وار تفاع مطلق الحزن
انمايتيسرله اذالم يفقد شيئاً" من انواع سعادة لاابتداءً ولابعد
الوجدان

فرفعه تعالى مطلق الخوف والحزن عنالانسان معناه ان
يفيض عليه كل مايمكنه ان يتنعم به ويستلذّه وان لا يكون في معرض
الزوال وهذا هوخلودالسعادة للانسان وخلوده فيها ومن هنا يتضح
ان نفي الخوف والحزن هوبعينه ارتزاق الانسان عندالله فهو
سبحانه يقول: وما عندالله خير للابرار^١ ويقول تعالى: وما عندالله
باق. ٢

فالآيتان تدلان على ان ما عندالله نعمة باقية لايشوبها
نقمة ولايعرضها فناء الى ان قال رفعالله ذكره: وقد تقدم في اوائل
الكتاب ان النعمة اذا اطلقت في عرف القرآن فهي الولاية الالهية
وعلى هذا فالمعنى: ان الله يتولى امرهم ويخصهم بعتية منه^٣.

١ - آل عمران ١٩٨ ٢ - النحل ٩٦

٣ - الميزان ج ٤ ص ٦٤ - ٦٣

أما الروايات فكثيرة: منها ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن المؤمن ليزوراه له فيرى ما يحب ويستتر عنه ما يكره، وإن الكافر ليزوراه له فيرى ما يكره ويستتر عنه ما يحب وقال عليه السلام: ومنهم من يزور كل جمعة و منهم من يزور على قدر عمله، وفي خبر آخر عنه عليه السلام مروى في الكافي الشريف: ما من مؤمن ولا كافر إلا وهويأتي أهله عند زوال الشمس فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك و إذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة، و يقرب مما ذكر الاخبار المروية عن الكافي الشريف في جلد ٦ من البحار ارقام ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ في الصفحة ٢٥٦ - ٢٥٨.

الفصل الثامن :

الاستكمال البرزخي

الاستكمال البرزخي

انّ من مواضحات الاخبار والآثار لحقوق الثواب والعقاب
للميت بما خلفه من السنة الحسنة او السيئة او غيرهما .
فمن الاخبار في جانب لحقوق الحسنات وثوابها ما رواه الصدوق
قدّه في الخصال عن مولانا الصادق عليه السلام : ليس يتبع الرجل
بعد موته من الاجر الاثلاث خصال : صدقة اجراها في حياته فهي
تجرى بعد موته الى يوم القيامة صدقة موقوفه لالتورث ، او سنة
هدى سنّها وكان يعمل بها من بعده غيره او ولد صالح يستغفر له
وفي الخبر الآخر عنه عليه السلام : ست خصال عدّ هذا الخصال
الثلاث المذكور مع قلبه يحفره ومصحف يقرأ فيه و غرس يغرسه .^١
ومن بديهيات فقه الشيعة الامامية مشروعية الصلاة الاستيجارية

والنباتية وغيرها من وجوه البر استيجارا " اوهداءً للاموات بل الاحياء والروايات في الترغيب والحث عليه كثيرة جداً " فمن اراد الاطلاع عليها فليراجع الى محلها لاسيما الى رساله القضاء عن الميت شيخنا المرتضى الانصارى قدس سره .

ان قلت : لاريب في ان الانسان نوع حقيقي يمتاز عن غيره من انواع الحيوان بالادراك الفكري التام . ويحصل ذلك له تدريجاً " وان كان اصل الادراك حاصلًا " في الجملة وهذا يقتضي ان يكون استكمال الانسان من طريق الادراك الفكري بافعال تتوقف على الارادة المتوقفة على هذا العلم الفكري فاعاله الارادية وان كان محتدها من النفس وصفاتها الان لها تاثيراً " في النفس ، فالنفس تستكمل بافعالها الارادية سواء كان ذاك الاستكمال في جانب السعادة والشقاوة ومن المعلوم ان الفعل كما يقوم بفاعله ، كذلك ما يستتبعه من الكمال والغاية فهو ايضاً " قائم بفاعله .

ولا يتعداه الى غيره ولا ينتقل عنه الى شخص دونه ، مثلاً " شرب الماء لاجل الريانية من الافعال الارادية يقوم بفاعله وما يترتب عليه من الغاية - وهو صيرورة الشارب رياناً " - فهو ايضاً " يقوم بهذا الفاعل الشارب فلا يتخطاه الى غيره ، فلا يعقل ان يشرب زيد ماءً ويستكمل به عمرو فيصير رياناً " .

هذا مع وضوحه قدبرهن عليه في محله ايضا "، بان الغاية المترتبة على الفعل لا بدوان ترجع الى الفاعل بحسب الاستكمال، وعلى هذا فلا يعقل استكمال المتوفي بعمل الاحياء استيجارا " كان وقوع العمل اونحوا " آخر .

ثم ان الاستكمال انما يتصور مادام تعلق النفس بالبدن العنصرى ، واما بعد خلعيها فغير معقول حيث ان الاستكمال بمعنى الخروج من القوة الى الفعل تدريجا " ، يساوق معنى الحركة ، والحركة تلازم المادة على ما قرر في موطنه وعليه فلا يمكن لحقوق الاعمال خيرا " اوشرا " بالميت مع الاعماض عن الاشكال المذكور ، لان معنى اللوح هو استكمال المتوفي بعمل الاحياء في البرزخ والقبر مع ان المفروض فقد اساس الاستكمال ، وجفاف اصوله بالموت كما قررناه فتوقع الاستكمال في البرزخ توقع امر محال .

قلت : اما استكمال النفوس الانسانية في البرزخ كما نطقت به الآثار المروية عن النبي وآله عليه وعليهم السلام فامر معقول ممكن الا ان الاستكمال هناك غيره هنا فانه في النشأة الدنيوية يتم بالحركة والقوة دونه هناك .

وتوضيح ذلك اننا اذا فرضنا انسانا " اكتسب بعض المقدمات التي يصح ان يقع في طريق استنتاج العلوم الحقة ، ولكن العوائق

الجسمانية حالت بينه وبين استنتاجها ، فاذا ادركه الموت فانقطعت عنه الشواغل الدنيوية استكملت نفسه في البرزخ وعالم القبر بافاضة الصور العلمية من المبداء الاعلى على حسب ما استصحبته من المقدمات المعدة للنفس للاستفاضة ، فان الاستنتاج كما قرر في محله على سبيل الاعداد والاستلزام بمعنى ان شأن المقدمات هو الاعداد لا التوليد وانما افاضة النتيجة من الواهب المفيض الصور ، والمفروض زوال العوائق الشاغلة عن هذه النفس المعدة للاستفاضة ، فيجب تحقق الفيض والعطاء منه تبارك وتعالى ، فما كان عطاء ربك محظورا^١ .

والحاصل ان ما تزودته النفس من المقدمات المنتجة للعلوم وقد كانت الشواغل الدنيوية مانعة عن الانتاج والاعداد ، ستصير معدة اياها للاستنتاج والاستفاضة على ما تقتضيه مكتنة تلك المقدمات - والمعارف التي هي بذرا المشاهدة فان الدنيا مزرعة الآخرة كما في الخبر . هذا كله بالنسبة الى النفوس الساذجة ، واما النفوس التي حصل لها ضرب من الفعلية فهم فريقان .

احدهما : هم الذين ترسخت الملكات من قبل الاعمال والعلوم

فيهم بحيث صارت نفوسهم مصورة بما يناسب تلك الملكات والاخلاق من الصور النوعية كما دلّت عليه الآثار الواردة عن النبي وعترته المعصومين صلوات الله عليه وعليهم وساق البرهان اليه و سيمرّبك في مستقبل البحث شطرنجها ، فهؤلاء هم الخالدون في النار كلّما ارادوا ان يخرجوا منها من غمّ اعيد و افيها ، فانّ لهم بمقتضى الفطرة معرفة ما بالمبدء الاعلى واسمائه الحسنى وهى بذرا المشاهدة ، ولكن تلك الملكات الخبيثة تعوقها عما تقتضيه الفطرة ، فحيل بينهم وبين ما يشتهون ، فينادون الذين آمنوا : انظرونا نقتبس من نوركم فهذا النداء بما بقى فيهم بعد من نور الفطرة ، فيشتاقون به الى الكمال الحاصل لاهل الايمان ، ولكن الهيآت الرديئة الراسخة تحجبهم عن ذلك فضرب بينهم بسور باطنه فيما لرحمة و ظاهره من قبله العذاب اعاد نال الله وجميع الموءمنين منه .

وثانيهما : هم الذين لم تصور نفوسهم بما تقتضيه الملكات ولم تخرج بعدالى الفعلية النوعية المناسبة لها فهؤلاء المرجون لامر الله فانه سبحانه اهل التقوى والمغفرة .

قال شيخنا الاوحد ، محيي الشريعة ، وقامع البدعة والدنا الاكمل رفع الله تعالى له ذكره و خلد في الآخريّن لسان صدقه : انّ قبيل السعادة فائقة على قبيل الشقاء ومن خواص قبيل السعادة كلّ

صفة و خاصة جميلة كالفتح والظفر و الثبات والاستقرار والامن والتأصل والبقاء ، كما ان مقابلاتها من الزهاق والبطلان والتزلزل والخوف والزوال والمفلوئية ومايشاكلها من خواص قبيل الشقاء . والآيات القرآنية في ذلك كثيرة متكررة ويكفي في ذلك ماضربه الله تعالى مثلا " كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء^١

الئ ان قال روجى فداه: فالحق من حيث نفسه لايقابل الاالضلال والباطل وما ذابعدالحق الاالضلال، ومنالمعلوم ان الباطل لايقاوم الحق، واما ان لحق القول والفعل كل صفة جميلة ولباطل القول والفعل كل صفة ذميمة فوجهه ماشرنااليه في سابق الابحاث: ان المستفاد من قوله تعالى ذلكم الله ربكم خالق كل شئ^٢ وقوله تعالى: الذي احسن كل شئ خلقه^٣ وقوله تعالى:

٢ - الموء من ٦٢

١ - ابراهيم ٢٧

٣ - طه ٥٥

ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ١ ،
 ان السيئات اعدام وبطلانات غير مستندة الى الله سبحانه الذى
 هو الخالق الفاطر المفيض للوجود بخلاف الحسنات ولذلك كان القول
 الحسن والفعل الحسن منشأ كل جمال وحسن ومنبع كل خير وسعادة
 كالثبات والبقاء والبركة والنفع دون السيئ من القول والفعل ٢ .
 وبالجملة الحسنات بمالها من الاصول الثابتة الالهية غالبية
 على السيئات ، فالقول والاعتقاد الطيب ذو مكنة للعروج الى الله
 تعالى ، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، فالحسنات
 بقدر طاقتها وانتسابها الى الله تعرج اليه وليس فى مكنة السيئات
 الصعود الى الله تعالى ، فان اصولها من النشأت السافلة ، فان
 مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من
 قرار .

بخلاف الحسنات فانها من عالم القدس ، يثبت الله الذين
 آمنوا بالقول الثابت فعند تامة الرجوع والعود لاتبقى السيئات
 اما بالفقران والعفو او بتبديلها الى الحسنات ، اولئك يبدل الله
 سيئاتهم حسنات ٣

٢ - الميزان ج ٢ ص ١٩٣

١ - الانعام ٧٨

٣ - الفرقان ٧٥

وبلحوقها بمبادئها الخبيثة واصولها الشيطانية كما في الاحاديث
 المروية عن ائمة اهل البيت عليهم السلام منها ما عن مولانا
 باقر العلوم عليه السلام فيما رواه ابراهيم الليثي مستشهدا "
 على ذلك بكتاب الله تعالى وانه حكم ملكوتي وانه على شريطة
 " كل شئ يرجع الى اصله " كما ان الحسنات تلحق بمبادئها الطيبة
 الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم و ما
 التناهم من عملهم من شئ. ١

وتفصيل ذلك موكول الى شرح الخبر الشريف الآتي في مسألة
 تطائر الكتب انشاء الله تعالى .

ثم لا يعتاص عليك التوفيق بين تبديل السيئات الى الحسنات
 وبين لحوقها الى مبادئها الخبيثة فانه لا يمتنع ان يكون لها
 وجهان:

باحدهما يكون رحمة لاحد وبالآخر عذابا " ونكالا لآخرفان
 ايقاع العقوبة على زيد الجاني على عمرو رحمة لعمرو و هو بعينه
 عذاب ونقمة لزيد وتامل في قوله تعالى: ف ضرب بينهم بسورله
 باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. ٢

و روى عن النبي صلى الله عليه وآله عن تفسيره فقال :
 انا السور وعلى الباب ١ . واما مسألة انتقال العمل من شخص
 الى آخر فهذا ايضا " مما يستفاد من الكتاب العزيز كما اشير فى
 الخبر اللبى ، بل كما ذكرنا هو من واضحات الاخبار وليس هذا
 مما ينافى الاحكام العقلية فان القرآن المجيد كما يستدل بالحكم
 العقلى على رجوع غاية كل فعل الى فاعله فى مثل قوله تعالى :
 ولاتزوروا زورا و زورا اخرى ٢ وقوله : لا يحيق المكر السبى الاباهلة
 ونحوهما من الآيات كذلك هو بنى عن تسبب بعض المعاصى لانتقال
 آثارها الغير الى العاصى و انتقال مثل اوزاره اليه كما فى قوله عز وجل :
 انى اريدان تبوء باثمى واثمك ٤ ، وقوله سبحانه ليحملوا اوزارهم
 كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ٥ وقوله
 عز اسمه وليحملن اثقالهم واثقالا " مع اثقالهم ٦ وغيرها من الآيات
 التى يستفاد منها ان للاعمال من حيث تأثيرها فى السعادة والشقاوة
 نظاما " عجيبا " ارفع عن سطح افهام عامة الناس وانه سينكشف

١ - البرهان ج ٤ ص ٢٩٥

٢ - الانعام ١٦٤

٣ - فاطر ٤٣

٤ - المائدة ٣٤

٥ - النحل ٢٥

٦ - العنكبوت ١٣

لهم فما هو مستور عنهم يوم يأتي تاويله كما قال تعالى : وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين - الى قوله - بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه و لماياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم .^١

وسياتي بعض الكلام المناسب له في مسألة تطائر الكتب بعون الله تعالى ، ولكن يجب ان يعلم هنا ان بين النفوس الانسانية بعضها مع بعض روابط واتصالات فمما يربط النفوس بعضها مع بعض هو الرضا والحب بشخص او بعمله واليه اشير في الآثار : الراضى بفعل قوم كالدآخل فيهم ، وان المرء يحشر مع ما أحب ، وبهذا الاصل فسّر قوله سبحانه وتعالى فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين^٢ ، حيث اسند القتل الى المخاطبين مع تاء خرمهم عن القاتلين بزمان كثير لاجل جهم بقتلهم .

وذلك لان الرضا والحب والنية ينبوع الاعمال فمنها تفيض الاعمال كما تفيض المياه عن العين واذا فرضنا ان هذه الامور مما استصحبتها بعض النفوس معها في البرزخ فمادامت السنة المرضي

٢ - آل عمران ١٨٣

١ - يونس ٣٧ - ٣٩

بها معمولة تلحقها نتائجها وتبعاتها ومثلها العبادات الاستيجارية
والاهدائية وغيرها واما النفس العنيدة الساخطة على العبادات
المتخذة لها هزوا " فلا يكاد ينفعها ما يهدى اليها ورثتها من الخيرات
والعبادات لعدم الرابطة في البين .

وروى احمد بن حنبل : ان العاص بن وائل نذر في الجاهلية
ان ينحر مائة بُدنة وان هشام بن العاص نحو خمسة وخمسين وان
عمرا " سأل النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال : اما
ابوك فلواقر بالتوحيد فصمت و تصدقت عنه نفعه ذلك .

ومما ذكرنا يظهر سقوط ما استدلل به على منع وصول
الخيرات والعبادات من قبل الاحياء الى الاموات تارة بمثل قوله
تعالى : وان ليس للانسان الا ما سعى ^١ ، وقوله : لها ما كسبت و
عليها ما اكتسبت ^٢ وقوله : ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ^٣ ، و اخرى
بمثل قوله ص اذامات العبد انقطع عمله الا من ثلاث صدقة
جارية عليه ، او ولد صالح يدعوه ، او علم ينتفع به من بعد ، حيث
اخبار ص انه انما ينتفع بما كان تسبب اليه في حياته و ما لم يكن

تسبب اليه فهو منقطع عنه .

وثالثة بانّ التكاليف امتحان او ابتلاء لاتقبل البذل فانّ المقصود منها ابتلاء شخص المكلف العامل فلا ينوب عنه غيره في ذلك ، فلو كان الانتفاع باهذاء الغير اليه ممكنا " كان اكرم الاكرمين والوهّاب المطلق اولى بذلك فهل ينوب عن المريض في شرب الدواء غيره ، وعن الجائع في الاكل غيره ، وعن العارى في اللباس غيره؟! وايضا " لونغعه عمل غيره لنفعه توبته عنه ولهذا لا يقبل الله تعالى اسلام احد عن احد الى غير ذلك مما قيل في المقام . فانّك لو تدبّرت فيما ذكر ناتستطيع على دفع تلك الشبهات ثم لك ان تقول : انّ المؤمن بسعيه وحسن معاشرته اذا كتسب الاصدقاء وتناكح وتنازل وسنّ سنة حسنة وتصدّق بمثل الاوقاف فترحم الاصدقاء عليه بعد وفاته واهدى ولدها وخلصه اليه خيرا " اونحو ذلك كان ذلك له من سعيه كما كان ينتفع بعمل اخوانه المؤمنين في حياته مع عمله كالصلاة جماعة فانّ كلّ واحد انما تتضاعف صلاته الى ماشاء الله لمشاركة غيره معه في الصلاة هذا مع انّ القرآن انما نفى ملكه لغير سعيه وكذا الحديث النبوي ص في صدد انقطاع عمله واما انتفاعه بسعي غيره واهداء الغير عملا " اليه فهما غير منفيين في القرآن والحديث فافهم و

تأمل ولله سبحانه وتعالى هو الهادي الى الرشاد وهو ولي التوفيق
والسداد .

تنبيه وارشاد: ان من احاط خبرا " بماسلف من البيان
والبرهان يجدبل يلمس حقيّة مذهب آل بيت الرسول ص في
المقام حيث جوّز و امضاء العبادات عن الميت واخبرو عليهم
السلام بانتفاع الميت بالاعمال التي تفعل عنها ويهدى اليه ثوابها
خلافا " لاهل الخلاف الا ما حكى عن ابي ثور ونفس هذه المسئلة ترشد
من يريد الارشاد الى انهم عليهم السلام هم الصراط الاقوم المشار
اليه في قوله تعالى: قل لاسئلكم عليه اجرا " الا من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلا " ١ وقال السيد المرتضى في الانتصار ص ٢٠
ومما ظن انفراد الامامية به ولها فيه موافق وسندكره، القول
بان الصوم يقضى عن الميت كانا فرضنا رجلا مات وعليه ايام
من شهر رمضان لم يقضها لغير عذر فيتصدق عنه كل يوم بمدّ من
طعام فان لم يكن له مال صام عنه وليه وباقي الفقهاء يخالفون
في ذلك الا ما حكى عن ابي ثور من انه يصام عن الميت .
والحجة للامامية الاجماع المتكررو قد طعن على ما نقله بقوله

تعالى : وان ليس للانسان الا ما سعى و بما روى عن النبي ص من قوله اذا مات المؤمن من انقطع عمله الا من ثلث : صدقة جارية و ولد صالح يترحم عنه ، و علم ينتفع به ولم يذكر ص الصوم عنه .
والجواب عن ذلك ان الآية انما تقتضى ان لا يثاب الانسان الا بسعيه ونحن لانقول ان الميت يثاب بصوم الحى ، وتحقيق القول ان من مات وعليه صوم فقد جعل الله هذه الحالة سببا " فى وجوب الصوم على وليه ، واما الخبر الذى روه فمحمول على هذا المعنى ايضا " والذى ذهبنا اليه لا يخالف ذلك و خبرهم هذا يعارض بما يروونه عن عايشة ان النبي قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه وفى خبر آخر ان امرأة جاءت الى النبي فقالت له ان كان على امي صوم شهر فاقضيه عنها فقال ص رأيت لو كان على امك دين كنت تقضيه قالت نعم يا رسول الله فقال ص فدين الله احق ان يقضى انتهى كلامه مع تلخيص ما ، و تبعه على ذلك الجواب ابن زهره والعلامة فى المختلف ، قال شيخنا الاعظم الانصارى فى رسالة القضاء عن الميت : كان السيد ومن تبعه اراد بما ذكر من الجواب عن الآية والرواية رد استدلال العامة لان القضاء لا يستلزم الثواب فان شأن السيد اجل من ان يخفى عليه الاخبار الكثيرة الواردة عن النبي والائمة فى انتفاع الميت بما يفعله ، الاحياء

على طريق النيابة او الهدية، وقد حكي اكثرها في الذكرى عن كتاب غياث سلطان الوري للسيد الاجل ابن طاووس و لنذكر بعضها تبركا :

منها قضية الختومية التي اتت النبي ص فقالت ان ابي ادركه الحج شيخا " زمنا " لا يستطيع ان يحج ، ان حجت عنه اينفعه ذلك؟ فقال لها ارأيت لو كان علي ابيك دين فقضيته اكان ينفعه ذلك؟ قالت نعم قال: فدين الله احق بالقضاء . ومنها ما عن كتاب حماد بن عثمان قال: قال ابو عبد الله من عمل من المسلمين عملا " صالحا من ميت اضعف الله اجره ونفع بذلك الميت .

ومنها ما عن عبد الله بن جندب قال كتبت الى ابي الحسن ع: الرجل يريد ان يجعل اعماله من الصلاة والبر والخير اثلاثا " ، ثلثا " لهو ثلثين لابيويه او يفردهما بشيء مما ينتطوع به وان كان احدهما حيا " والآخر ميتا " فكتب عليه السلام اما الميت فحسن جائزو اما الحي فلا الا البر والصلة .

ثم روى عن الكافي باسناده الى محمد بن مروان قال: قال ابو عبد الله ع ما يمنع منكم ان تبر والديه حيين او ميتين يصلون عنها و يتصدق عنها ويصوم عنها ، ثم شرع في - تحقيق الحال فراجع الى تلك الرسالة .

المقصد الثاني :

في اشراط الساعة ومقدماتها وفيه فصول

الفصل الاول : في نفتح الصور

في نفتح الصور

واعلم أنّ لم يرد لفظ " اشراط " في الكتاب الألفي موضع واحد وهو قوله تعالى: فهل ينظرون إلا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ^١.

وقد وردت الاخبار الكثيرة من الفريقين في تفسير الاشراط فوق حدّ الاحصاء وذكر شطرا " منها في ج ٦ من البحار من الطبع الحديث ، وكذا ابوالفداء ابن كثير ذكر شطرا " في ج ١ من كتاب الفتن والملاحم والظواهر انّ كلّها من التفسير بالمصداق فانّ " اشراط " جمع شرط وهي العلامة للشيء ومنه الشرط بمعنى ما يتوقّف عليه وجود الشيء لانّ سبق وجوده من امارات وجود المشروط.

فاشراط الساعة هي العلامات والدلالات الدالة على ايتانها وقد سبق في اوائل الكتاب انّ خلقه السماوات والارض وما بينهما مشفوعة بالفاية الصحيحة وهي الساعة فلولاها لزم تطرق اللهو والعبث

في فعله تعالى والتالي باطل بالضرورة، فنفس الخلقة من اشراف الساعة وآياتها، فالروايات في تفسيرها بصدد بيان بعض المصاديق فمن اراد الاطلاع فليراجع الي مظانها والله تعالى هو الاعلم بحقيقة الحال.

وكيف كان فمن مبادي قيام الساعة نفخ الصور و قد تكرر هذا اللفظ - الصور في عشرة مواضع من القرآن الكريم .

فمنها قوله تعالى : يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير^١ ومنها : ونفخ في الصور فجمعناهم جميعا^٢ ومنها : و يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا^٣ ومنها : فاذا نفخ في الصور فلانساب بينهم^٤ ومنها يوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الارض الا من شاء وكل اتوه داخرين^٥ ومنها : ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون^٦ ومنها : ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد^٧ ومنها : فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة^٨ ، ومنها ، يوم ينفخ

- | | |
|----------------|-----------------|
| ١ - الانعام ٧٣ | ٢ - الكهف ٩٩ |
| ٣ - طه ١٥٢ | ٤ - المؤمنون ١٩ |
| ٥ - النحل ٨٧ | ٦ - يس ٥١ |
| ٧ - ق ٢٥ | ٨ - الحاقة ١٣ |

في الصور فتاتون افواجا " ١ و منها ' ونفخ في الصور فصعق من
في السماوات ومن في الارض الامن شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا
هم قيام ينظرون. ٢

وقد عبر عن معناه في مواضع آخر بالفاظ : الصيحة ، و
الزجرة ، - وهي الصيحة ايضا " والصاخة - وهي الصيحة الشديدة
والنداء ، والنقر كما في سوريس والصاصات والنارعات وعبس وق
والمدثر.

ثم انالم نجد في كتاب الله تعالى ماينكشف به حقيقة الصور
و هو في اللفظة بمعنى القرن و صريح آية الزمر : ان النفخة
نفختان : الاولى للصعقة والاماتة ، والثانية للاحياء والقيام لرب
العالمين .

وقوله سبحانه في سورة ق : يوم يسمعون الصيحة بالحق
ذلك يوم الخروج يتدل بالمطابقة دلالة واضحة على انهم يسمعون
الصيحة المنادى به للحضور ، فيدل بالالتزام البين على كونهم
احياء فان غير الحي لايعقل ان يسمع وعليه فمعنى صيحةالصعقة
للاماتة ليست بمعنى الاعدام المحض والافناء الصّرف وقدسبق ان

الامانة لها وجهان . باحدهما فقدان بالاضافة الى نشأة ، وبالأخر
وجدان و دخول في نشأة اخرى .

وروى عن مولانا ثامن الحجج علي بن موسى الرضا عليه
السلام عن آبائه عن اميرالمؤمنين عليه السلام في قوله
تعالى : لمن الملك انه قال عليه السلام ويقول الله عزوجل :
لمن الملك ؟ ثم تنطق ارواح انبياءه ورسله وحججه فيقولون :
لله الواحد القهار .^١

والحاصل ان الكتاب والسنة متوافقان في ان الصيحة
والنفخة الاولى لاتعدم الاشياء ، وماورد من لفظ البطلان والفاء
كما في خبر زنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل الى
ان قال : ايتلاشى الروح بعد خروجه عن قلبه ام هو باق ؟ قال
عليه السلام بل هو باق الى وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل
الاشياء وتفنى فلاحس ولامحسوس ثم اعيدت الاشياء كما بدء ها
مدبرها وذلك اربعمأة سنة يسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين .^٢
وكذا غيره من الاخبار ، فليس معنى هذا الفناء والبطلان

١ - نور الثقلين ج ٤ ص ٥١٤

٢ - البحار ج ٦ ص ٣٣٥

المعدوميّة الصّرفة الاتري انه عليه السلام بعدما اخبر عن بطلان الاشياء
وفنائها بالنفخة: الاولى بقوله: عند ذلك تبطل الاشياء وتفنى اعقب
ذلك بقوله: يسبت فيها الخق وذلك بين النفختين، فانه كالصريح
بل صريح في كونهم موجودين في تلك المدة على حالة السبات.
ثم انه تعالى قد استثنى في آية الفزع الظاهرة في النفخة
الثانية وفي الفقرة الاولى من آية الصعقة الصريحة في النفخة
الاولى طائفة من عباده بقوله:

"الامن شاء الله" فصريح الآيتين ان هناك طائفة من
عباده قدمن الله عليهم واكرمهم بالامن من الفزع والصعقة ثم
وصفهم بعد آية الفزع بقوله عزوجل: من جاء بالحسنة فله خير
منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم
في النار^١.

فالذي يمكن ان يستظهر من هذا التوصيف اى مجيئه بالحسنة
بقريئة مقابلتها بالسيئة المطلقة المستلزمة للكب والصرع على
وجوههم في النار ان هذه الحسنة هي الحسنه المطلقه
اى من جاء بالحسنه فقط ولم يجبي بشيء من السيئات وخبائث

الاعمال والعقائد والاخلاق فهو آمن من الفزع الاكبر ومن جاء
بالسيئة المحضة ولم يخلطها بشيء من الصالحات فهو مكبوب
ومصروع على وجهه في النار.

وبين الطائفتين فرقة اخرى هم الذين خلطوا عملا " صالحا
و آخر سيئا " فاولئك مرجون لامر الله وبالتدبير فيما ذكر نظير
ان المحسن المحض هو الذي لم يلبس ايمانه بظلم وشرك وضلال كما
يفصح عنه قوله عز وجل: الذي آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
اولئك لهم الا من و هم مهتدون^١

فيستنتج من ذلك ان هولاء الآمنين من الفزع هم الذين
لم يكن لابليس لعنه الله سلطان عليهم ولم يصل اغوائه اليهم
فينطبقون على المخلصين في قوله تبارك وتعالى: فبِعزتك لا غوينهم
اجمعين الاعبادك منهم المخلصين.^٢

فالمخلصون هم المستثنون عن الفزع والصعقة بل عن الاحضار
ايضا " كما ينص عليه قوله سبحانه: فانهم لمحضرون الاعباد الله
المخلصين.^٣

فهؤلاء الآمنون سلام الله عليهم كانوا في امن من اغواء ابليس ودعوته فان اغواه انما يكون بالدعوة كما في قوله: وقال الشيطان لما قاضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم ومالي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي الى قوله - اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم^١.

ويظهر من قوله: - اشركتمون - ان اصل العصيان ومحتده هو نوع شرك فالمخلصون قد اخلصهم الله عز وجل عن مطلق الشرك فلا يرون لغير الله تعالى فعلا " ولا صفةً ولا ذاتا " وهذا هو مقام الولاية المشار اليها في الحديث القدسي المروى في الكافي: وانه ليقرب الي بالتوافل كما سبق ذكره في بعض الابحاث السالفة فتذكر.

روى في نور الثقلين عن يونس بن ظبيان قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: ان الناس يعبدون الله على ثلاثة اوجه فطبقة يعبدونه رغبةً في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهو الطمع وآخرون يعبدونه فرقا " من النار فتلك عبادة العبيد وهي الرهبة ولكني اعبدته حبا له فتلك عبادة الكرام وهو الامن لقوله تعالى:

وهم من فزع يومئذ آمنون^١، ولقوله تعالى: قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم من ذنوبكم^٢، فمن احب الله احبه الله ومن احبه الله كان من المؤمنين في بعض النسخ من الآمنين - وهذا مقام مكنون لا يمسه الا المطهرون.

تأمل في قوله عليه السلام: وهذا مقام مكنون لا يمسه الا المطهرون، فاستنطق كتاب الله تعالى عن هولاء المطهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وفي تفسير القمي والبرهان ونور الثقلين في ذيل الآية عند تفسير الحسنة بالولاية روايات اخرى لا يسعنا ذكرها، والحاصل ان بعد طي السماوات والارض وبلوغهما الى اجلهما وغشيان الفرع والصعقة بمن فيهما كان المخلصون المطهرون في امن منها لا يحزنهم الفرع الاكبر^٣ فياله من مقام ما اعظمه واكرمه؟!!

وقد ورد في روايات كثيرة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ان هولاء الآمنين هم علي وعشيعته فمنها ما في صحيح علي بن ابراهيم في تفسيره عن ابيه عن ابن ابي عمير عن منصور بن يونس

٢- آل عمران ٣١

١- النحل ٨٩

٣- الانبياء ١٥٣

عن عمرو بن شيبة قال قلت لابي جعفر ع: جعلني الله فداك اذا كان يوم القيامة اين يكون رسول الله وامير المؤمنين وشيعته فقال ابو جعفر عليه السلام: رسول الله وعلى وشيعته على كئيبان من المسك الاذفر على منابر من نور يحزن الناس ولا يحزنون و يفرح الناس ولا يفرحون ثم تلا هذه الآية: من جاء بالحسنة فله خير منها و هم من فزع يومئذ آمنون بالحسنة والله ولاية على ثم قال: لا يخرونهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون^١ . ويقرب منها اخبار ارقام ٥ - ١٥ - ١٦ - ١٨ - ٢٠ - ٧٣ من باب احوال المتقين والمجرمين يوم القيامة من المجلد ٧ من البحار.

اقول: لعل المراد من شيعة علي عليه السلام هم الائمة المعصومون عليهم السلام ولكن الظاهر من الاخبار بعد التأمل فيها وفيما يضا هيها ان المقصود منها هو الشيعة بمعناها المتعارف المعهود فيكون دخول الشيعة في الآمنين من باب اللحوق المشار اليه في قوله تعالى: الذين آمنوا و ابتغتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم^٢.

وتوضيح ذلك اجمالاً: " ان كل رسول يدعو أمته الى موقفه الانساني الذي تمكن هو فيه، ولا ريب في ان موقف سيدنا رسول الله اشرف المواقف وارفعتها فان مقامه هو المقام المحمود الموعود في كتاب الله تعالى بقوله: عسى ان يبعثك ربك مقاما محموداً" ١، فمن اتبعه على ذلك وشايعه يلحق به و يتمكن في مقامه وهو قول الله عز اسمه: قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا و من اتبعني ٢ حيث اسند الدعوة الى الله الى نفسه والى من اتبعه فجعلهم شركاء الدعوة الى الله تعالى فافهم .
ومنه يظهر سراً ورد في الاخبار من ان الشيعة يغبطهم النبيون عليهم السلام ، فمنها ما عن مولانا ابي جعفر ع قال: قال رسول الله: ان عن يمين العرش قوما " وجوههم من نور على منابر من نور يغبطهم النبيون ليسوا بانبياء ولا شهداء ، فقالوا يانبي الله وما زادوا هولاء في الله اذالم يكونوا انبياء ولا شهداء الاقرباً " من الله قال: اولئك شيعة عليّ وعليّ امامهم ٣ .
واعلم انه ورد في الروايات في كيفية نفخ الصور امور، فمن

٢ - يوسف ١٠٨

١ - الاسراء ٧٩

٣ - البحار ج ٧ ص ١٨٥

الروايات مارواه القمي في تفسير قوله تعالى: و نفخ في الصور فصعق، بسنده الصحيح عن مولانا علي بن الحسين عليهما السلام انه سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال عليه السلام: ماشاء الله فقيل له فاخبرني يا بن رسول الله كيف ينفخ فيه فقال عليه السلام: اما النفخة الاولى فان الله يامر اسرافيل فيهبط الى الدنيا ومعه صور وللصور راء سواحد و طرفان، وبين طرف كل راس منهما ما بين السماء والارض قال: فاذا رأت الملائكة اسرافيل وقد هبط الى الدنيا ومعه الصور قالوا: قد اذن الله في موت اهل الارض وفي موت اهل السماء قال: فيهبط اسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فاذا راءوا اهل الارض قالوا اذن الله في موت اهل الارض قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الارض فلا يبقى في الارض ذوروح الاصعق ومات ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات ذوروح الاصعق ومات الا اسرافيل قال فيقول الله: لاسرافيل مت فيموت اسرافيل فيمكثون في ذلك ماشاء الله، ثم يامر الله السماوات فتمور و يامر الجبال فتسير وهو قوله: يوم تمور السماء

مورا " فتسير الجبال سيرا " ، يعني تبسط وتبذل الارض غير الارض
يعنى بارض لم يكتسب عليها الذنوب ، بارزة عليها الجبال
ولانبات كما دحاها اول مرة و يعيد عرشه على الماء كما كان اول مرة
مستقلا " بعظمته وقدرته قال فعند ذلك ينادى الجبار جل جلاله
بصوت جهوري يسمع اقطار السماوات والارضين : لمن الملك اليوم
وانا قهرت الخلائق كلهم وامتهم ، انى انا الله لاله الا انا وحدى
لا شريك لى ولا وزير وانا خلقت خلقى بيدي وانا امتهم بمشييتي
وانا احبيهم بقدرتي ، قال فنفخ الجبار نفحة فى الصور يخرج
الصوت من احد الطرفين الذى يلى السماوات فلا يبقى فى السماوات
احد الا حتى وقام كما كان ويعود حملة العرش و يحضر الجنة والنار
ويحشر الخلائق للحساب قال - اى الراوى - فراءيت على بن الحسين
عليهما السلام يبكى عند ذلك بكاء شديدا .

ثم يجب عليك ان لا تضرب من اختلاف المجيب لقوله عز اسمه
" لمن الملك اليوم " حيث ورد في الخبر المروى عن مولانا
امير المؤمنين عليه السلام : انه ارواح الانبياء والرسل والحجج
عليهم السلام ، وفي هذا الخبر انه تعالى نفسه وقد سبق بعض
ما يتعلق بهذا المقام في مبحث اختلاف اسناد التوفى تارة الى
الله تعالى وتارة اخرى الى ملك الموت وثالثة الى غيره فتنبه

الفصل الثاني :

سقوط العلة و الاسباب الظاهرية

سقوط العُلل والأسباب الظاهرية

و من مبادئ قيام السّاعة سقوط العُلل والأسباب الظاهرية
مثل انتشار الكواكب بطنى بساط السّماوات والارض وبينهما وشأن الآيات
القرآنية في ذلك عجيب ، ونحن نذكر شطرا " منها و نقتصر عليه
لأنّ بيانها خارج عن طوق مثل هذا العبد المبتلى باوهام الدنيا و
باطيلها فدونك هذا الشطر من الآيات :

فمنها قوله تعالى : يوم تبدّل الارض غير الارض والسّماوات
وبرزواللّه الواحد القهار^١ ، ومنها : يسئلونك عن الجبال فقل
ينسفها ربّي نسفا " فيذرها قاعا " صفصفا " لاترى فيها عوجا " و
لامتا^٢ " منها : و اشرفت الارض بنور ربّها^٣ ، و منها : اذا رجّت
الارض رجّا " و بسّت الجبال بسّا " فكانت هباء منبثا^٤ ، ومنها

٢- طه ١٥٧

١- ابراهيم ٤٨

٤- الوافقه ٤ - ٦

٣- الزمر ٦٩

وحملت الارض والجبال فدكتنا دكة واحدة^١ و منها : يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا " مهيلا " ^٢ . و منها : و سيرت الجبال فكانت سرابا " ^٣ و منها : يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده و عدا " علينا انا كنافا علينا ^٤ ، و منها : يوم تمور السماء مورا " ^٥ ، و منها : فاذا نشقت السماء فكانت وردة كالدهان ^٦ ، و منها : و فتحت السماء فكانت ابوابا ^٧ ، و منها : اذا السماء انشقت الى قوله و اذا الارض مدت ^٨ الى غيرها من الآيات الشريفة الناطقة بطى الاسباب الظاهرة .

ومن الروايات العجيبة الواردة من الفريقين في تفسير قوله : يوم تبدل الارض غير الارض : ما روى عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في تفسير القرطبي وعلى بن ابراهيم القمي من انها تبدل خبزة ياكل الناس منها . ففي تفسير القرطبي قال جابر : ساءلت ابا جعفر محمد بن علي عن قول الله عز وجل : يوم تبدل الارض

١ - الحاقه ١٤

٢ - المزمّل ١٤

٣ - المبناء ٢٥

٤ - الانبياء ١٥٤

٥ - الطور ٩

٦ - الرحمن ٣٧

٧ - النبأ ١٩

٨ - الانشقاق ١

غير الارض قال: تبدل خبزة ياكل منها الخلق يوم القيامة ثم قرء
وما جعلناهم جسداً " لا ياكلون الطعام .

وفي تفسير القمي بسند صحيح وكذا في روضة الكافي والاحتجاج
ان نافعاً مولا عمر سئل ابا جعفر عن قول الله تبارك و تعالي:
يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات ، اى ارض تبدل فقال
ابو جعفر عليه السلام : بخبزة بيضاء ياكلون منها حتى يفرغ الله
من حساب الخلائق فقال نافع : انهم عن الاكل لمشغولون؟ فقال
ابو جعفر عليه السلام : اهم حينئذ اشغل ام وهم في النار فقال
نافع : وهم في النار قال فقد قال الله : ونادى اصحاب النار اصحاب
الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ، ما شغلهم اليم عذاب
النار عن ان يدعوا بالطعام فاطعموا الزقوم ودعوا بالشراب فسقوا
الحميم فقال صدقت يابن رسول الله^١ .

ويقرب منه اخبار ٦ - ٢١ - ٣٦ - ٣٧ - من باب صفة

المحشر في المجلد ٧ من البحار الطبعة الحديثة .

اخرج البخارى ومسلم في الصحيحين عن ابي سعيد الخدرى
عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : تكون الارض يوم القيامة

خبزة واحدة يكفوءها الجبار بيده كما يكفوء احدكم خبزته في السفر
 اوفى السفره - نزلا " لاهل الجنة قال : فاتي رجل من اليهود فقال
 بارك الرحمن عليك يا بالقاسم الاخبرك بنزل اهل الجنة يوم
 القيامة قال : بلى قال : تكون الارض خبزة واحدة كما قال رسول الله
 ص قال فنظر النبي رسول الله ثم ضحك حتى بدت نواجذه قال
 الاخبرك بادامهم قال بلى : قال ادامهم بالام^١ ونون قالوا و ما
 هذا قال ثورونون ياكل من زائدة كدهما سبعون الفا^٣ . وهناك
 روايات اخرى للفريقين نقلها في البحار والدر المنثور و تفسير الطبري
 والفتن والملاحم وغيرها .

١ - في هامش صحيح مسلم : اما النون فالحوت باتفاق ، وجواب اليهود
 يدل ان بالام اسم للثور بالعبرانية ، زيادة الكبد القطعة المنفردة
 المتعلقة وهي اطيه ولذا خص بها السبعون الفا^٣ ولعلمهم السبعون
 الذين يدخلون الجنة بغير حساب فافهم .

الفصل الثالث :

في ان عند الله علم الساعة

في ان عند الله علم الساعة

قد تكرر في كتاب الله العزيز، ان عند الله علم الساعة وانه اليه يرد علمها فيستفاد منه ان علمها مختص بالله تعالى وليس لغيره مطمع فيه.

فمن الآيات الدالة عليه قوله تعالى: اليه يرد علم الساعة و ما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه^١. منها: يستلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله^٢ ومنها: ان الله عنده علم الساعة^٣. منها: يستلونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربّي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السماوات والارض لاتاتيكم الا بغته يساء لوك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون^٤.

١- حم السجده ٤٧ ٢- الاحزاب ٦٣
٣- لقمان ٣٤ ٤- الالمراف ١٨٧

قال شيخنا العلامة: قوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو، اي لا يظهرها ولا يكشف عنها في وقتها وعند وقوعها الا الله سبحانه، ويدل ذلك على ان ثبوتها ووجودها والعلم بها واحد - لمكان يستلوك عن الساعة - اي انها محفوظة في مكن الغيب عند الله تعالى يكشف عنها و يظهرها متى شاء من غير ان يحيط بها غيره سبحانه وان يظهر شيئ من الاشياء وكيف يمكن ان يحيط بها شيء من الاشياء او تنكشف عنده، وتحققها وظهورها يلزم فناء الاشياء ولا شيء منها يسعه ان يحيط لفناء نفسه ويظهر له فناء ذاته، و النظام السببي الحاكم في الكون يتبدل عند وقوعها وهذا العلم الذي يصحبها من هذا النظام، ومن هنا يظهر ان المراد بقوله: ثقلت في السماوات والارض، ثقل علمها و هو بعينه ثقل وجودها او ثقل صفتها على اهل السماوات والارض لما فيها من الشدائد او ثقل وقوعها عليهم لما فيها من انطواء السماوات وانتثار الكواكب واجتماع الشمس والقمر و تسير الجبال ومن ذلك يظهر ايضا " وجه قوله: لاتاتيكم الابغثة فان البغثة والفجاء ظهور الشيء من غير ان يعلم به قبل ظهوره، والساعة لتقلها لا يظهر وصف من اوصافها ولا جزء من اجزائها قبل ظهورها التام ولذلك كان ظهورها لجميع الاشياء

بغثة.

وقال روجي فداه: في تفسير قوله تعالى: وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو^١: انّ قوله تعالى: لا يعلمها الا هو مسوق لبيان انحصار العلم بالغيب فيه تعالى، لانّ خزائن الغيب لا يمكن لغيره تعالى العلم بها، فصدر الآية يتعرّض للغيوب التي هي واقعة في خزائن الغيب تحت استار الخفاء واقفال الابهام وقد ذكر الله سبحانه في قوله: وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم^٢: انّ التي في خزائن الغيب عنده من الاشياء امور لا يحيط بها الحدود المشهودة في الاشياء ولا يحصرها الاقدار المعهودة، ولاشكاتها انما صارت غيوباً "مخزونة لما فيها من صفة الخروج عن حكم الحد والقدر، فاننا لانحيط علماً" الا بما هو مقدر محدود واما التي في خزائن الغيب من الاشياء فهي قبل النزول في منزل الشهود والهبوط الى مهبط الحد والقدر غير محدودة مقدرة ولعلّ هناك اشياء آخر مذكورة مخزونه لاتساخما عندنا من الامور الزمانية المشهودة ولنسم هذا النوع من الغيب بالغيب المطلق^٣ والغرض من نقل كلامه مدّ ظله هو الايماء الى لمية اختصاص

٢- الحجر ٢١

١- الانعام ٥٩

٣- الميزان ج ٧ ص ١٢٧

علم السّاعة باللّه تعالى وان المحبوسين في سبّحن الاقدار والحدود
 والهابطين الى ارض النّزول والشهود لايتأتى لهم العلم بالسّاعة
 الاّ كعلم الملائكة بالالوان فكما انّ مدركات البصر غيب على
 حاسة السّم مثلا " ، والبديّهيات الاوليّة العقلية غيب على الحواسّ
 كلّها فذلك امر السّاعة غيب على العقول البشريّة فلا يتصوّر ان
 يحيط بها احد مادام في هذا السّجن ولم يتخلّص بعد عن حبال
 الاوهام واغلال الخيال .

واما قول الجاحدين " ايّان مرساها ، ونحو ذلك فهو نظير
 سؤال الملائكة - اذا وصفت له المبصر - انه كيف يشم او كيف
 يسمع ؟ ومنه تعلم انّ من رجع الى اللّه و تمكّن عنده سبحانه و
 تعالى يمكنه العلم بالسّاعة ، ولكنه مادام في الدّنيا ولما ينتثر الكواكب
 و تتكور الشّمس و يطوبس اط الحجب والاسباب الظاهرة فلا يمكنه
 العلم بها فبعد طي هذه الامور يصير الغيب شهودا " و تبرز الجحيم
 وهو قوله تعالى : فاذا جاءت الطّامة الكبرى - الى قوله - و برزت
 الجحيم لمن يرى ^١ ، في سورة النّازعات وغيره من الايات الشريفة
 التي تبين انّ بروز الجحيم وبالجملة النشأة الآخرة مشروطة

باند كاك الارض وانشقاق السماء و نسف الجبال وانتثار الكواكب
و غيرها من اشراط الساعة و مع ذلك كله فقد صرح القرآن
الكريم في سورة التكاثر بأن من اوتى علم اليقين فإنه ليرى
الجحيم : كلاً لوتعلمون علم اليقين لتروّن الجحيم ثم لترونها
عين اليقين فإنّ ظاهره أنّ من يعلم علم اليقين يرى الجحيم
في هذه النشأة لانه قد تخلّص عن الحجب الظاهرة و انكشف
لهم الملكوت كما في قوله تعالى : و كذلك نرى ابراهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين.^١

وماورد من روايات المعراج من شهوده صلوات الله عليه وآله
الجنة والنار وغيرهما من امور النشأة الآخر ، يوّيد بل يدّل عليه
وكذا يوّيد ذلك ماورد في مقامات آل البيت عليهم السلام من
الاخبار البالغة فوق التواتر في تفسير الآيات وغيرها .

فمنها ما تكرر من ان حساب الخلايق يوم القيامة بايديهم
كما في امالي الشيخ باسناده الى عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله
عليه السلام قال : اذا كان يوم القيامة وكلنا لله بحساب شيعتنا
فما كان لله سألنا الله ان يهبه فهولهم ، وما كان لنا فهولهم ثم

قرأ أبو عبد الله: أن لنا إياهم ثم أن علينا حسابهم^١
وعن روضة الكافي عن سماعة: قال كنت قاعداً " مع أبي
الحسن الأول عليه السلام والناس في الطواف في جوف الليل
فقال لي: يا سماعة أين أياك هذا الخلق وعلينا حسابهم ، ومثلهما
أخبار ١ - ٣ - ٤ - ٥ - ٧ - ٨ المروية في ج ٢ من تفسير
البرهان ص ٢٥٥ و أخبار ٢٧ و ٢٨ في ج ٧ من البحار ص ٢٧٢
والخبر ١٩ ج ٧ ص ٢٦٢ والخبر ٥٢ ص ٥٠ من ج ٨ من البحار
من الطبع الحديث:

ويصح عن ذلك كله قوله ٢ في الجامعة الكبيره: وإياك
الخلق اليكم وقد اسلفنا بعض الكلام عند البحث عن كونهم
عليهم السلام هم الشهداء على الناس واز يدك هنا ببيان بعض
الآيات المربوطة بالمقام فنقول:

منها قوله تعالى: واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض
خليفة قالوا جعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لاتعلمون وعلم آدم الاسماء
كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم

صادقين قالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون .^١

ان بالتأمل الصادق في تلك الآيات الاربعة تظمن النفس الى ان الغرض منها ابانة منزلة الخلافة الالهية وما يلزمها من العلم الشهودي بالاسماء كلها وان هذا العلم هي الحيثية التقييدية في صدق الخلافة الالهية وان تلك الاسماء هي غيب السماوات والارض فيكون غيب السماوات والارض مشهودا " للخليفة و معلوما " له لبالعلم الصوري الارتسامي كما في علمنا بالمسميات من طرق اسماءها الموضوعة وتوضيح ذلك:

ان قوله تعالى : ا نى جاعل في الارض خليفة يدل دلالة واضحة على ان المستخلف هو الله تعالى فالمجعل هو خليفة الله عزوجل ، ثم المراد من الخليفة ليس خصوص آدم عليه السلام لمكان قوله : من يفسد فيها و يسفك الدماء ، فان آدم عليه السلام لم يكن من شأنه الافساد في الارض وسفك الدماء فيها ، والافساد وسفك

الدِّمَاءِ مِنْ لَوَازِمِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَ شَتُونَ الْمَدِينِيَّةِ فَيَسْتَظْهَرُ مِنْهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلِمُوا مِنْ قَوْلِهِ: فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ مَجْعُولِيَّةٌ النَّوْعِ الْإِنْسَانِي فِي الْأَرْضِ، الْقَائِمُ حَيَاتِهِمْ عَلَى التَّعَاوُنِ وَالتَّنَازُعِ الْمُسْتَلْزَمِينَ لِلْإِفْسَادِ وَالسَّفْكِ فَابْدُوا مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْ لَازِمَ جَعْلِ الْخَلِيفَةِ فِي الْأَرْضِ هُوَ الْإِفْسَادُ وَالسَّفْكَ، وَأَنْهُمْ يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ مَظَاهِرَ لِلسُّبُوحِيَّةِ وَالحَمْدِ وَ التَّقْدِيسِ لَهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ لَزُومِ شَيْءٍ مِنَ الْإِفْسَادِ وَ السَّفْكِ فَجَابَهُمُ اللَّهُ عَزَّاسَمَهُ بِقَوْلِهِ: أَنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَيَّ أَنْ هُنَا مَرَا " مَغِيْبًا " عَنْهُمْ وَسَّرًا " مُسْتَتْرًا " وَهُوَ مَشْهُودٌ لَهُ تَعَالَى سَيَخْصُ بِهِ خَلِيفَتَهُ وَ لَيْسَ فِي مَكْنَةِ الْمَلَائِكَةِ تَحْمَلُهُ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: " عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا " نَصٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ آدَمَ - وَ هُوَ نَمُودَجُ الْخَلِيفَةِ - مَعْلَمٌ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ بِتَعْلِيمِ مِنْهُ تَعَالَى وَأَنَّ عِلْمَهُ بِهِ الْمِ يَكُنْ مِنْ سَنَخِ الْعُلُومِ الْحَصُولِيَّةِ وَالْأَلَمِ يَكُنْ لَهُ مَزِيَّةٌ عَلَى الْمَلَائِكَةِ لِأَنََّّهُمْ بَعْدَ التَّنْبِئِ بِالْأَسْمَاءِ مِنْ قَبْلِ آدَمَ كَانُوا مَعَهُ سَوَاسِيَةً لَوْ كَانَ الْعِلْمُ حَصُولِيًّا " مَعَ أَنَّ الْآيَةَ تَصْرَحُ بِأَنََّّهُمْ بَعْدَ الْإِنْبَاءِ عَلِمُوا بِرَفْعَةِ شَأْنِ الْخَلِيفَةِ وَقُصُورِ أَنْفُسِهِمْ وَ أَنَّ تَحْمَلَ هَذَا الْعِلْمَ لَمْ يَكُنْ فِي طَوْقِهِمْ وَأَنَّ مَا كَانَ فِي مَقْدَرَتِهِمْ تَحْمَلُ الْإِنْبَاءِ بِالْأَسْمَاءِ لِاتِّعْلَمُهَا فَقَوْلُهُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أَنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَفْصِيلٌ مَا أَجْمَلَ فِي قَوْلِهِ: أَنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

و تفسير له وهو ينطبق على الاسماء لانها هي التي لاتعلمها الملائكة
ثم ان قوله سبحانه: ثم عرضهم على الملائكة - الى قوله - ان
كنتم صادقين يدل على انهم ادعوا بقولهم: نحن نسبح، خلافة
الله المطلقه مع ان هذه الدعوى منهم غير صادقة لان من لوازم
صدقها هو علم المدعى لها بالاسماء كلها.

فمخلص الكلام ان خليفة الله هو المتحقق بهذا الغيب المعبر عنه
بالاسماء وقوله سبحانه: باسماء هولاء يدل على كون تلك الاسماء
احياء عقلاء وهنا روايات نشير الى بعض ما استفدناه من الآيات.
فمنها ما رواه صدوق الطائفة في اكمال الدين مسندا " الى
الصادق عليه السلام: ان الله تبارك وتعالى علم آدم ع اسماء
حجج الله كلها ثم عرضهم - و هو ارواح - على الملائكة فقال:
انبتوني باسماء هولاء ان كنتم صادقين بانكم احق بالخلافة
في الارض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم. قالوا سبحانك لا علم لنا
الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم، قال الله تعالى يا آدم
انبتهم باسمائهم فلما انبأهم، بها وقفوا على عظيم منزلتهم
عند الله تعالى ذكره فعلموا انهم احق بان يكونوا خلفاء الله في
ارضه و حججه على بريته ثم غيبهم عن ابصارهم.

اقول: قد علمت ان نفس الآية دلت على ان تلك الاسماء

كانوا احياء اولي العلم لمكان قوله " عرضهم " و قوله : " هولاء " وخبر الصدوق هذا كما تراه بصدد تفسير تلك الاسماء وانها هي ارواح حجج الله كلها .

وما ورد في الروايات من تفسير الاسماء بالارضين والجبال و الاودية والفجاج لا ينافي لهذا الخبر لان ظاهر الخبر هو كون الحجج اصلا " وعمادا " للاشياء وان العلم بها اي باسماء الحجج هو العلم بتلك الاشياء على الوجه الملكوتي الذي تكون به احياء ذوى العقول ، ويفسر ذلك بعض التفسير ماورد من الروايات في خلقة انوارهم عليهم السلام وانها اول ما خلق الله وان من انوارهم خلق كل خير وهي كثيرة جدا " نذكر بعضها تيمنا " و نشير الى ارقام بعضها الآخر لضيق المجال .

فمنها ما في خبر انس عن رسول الله في خبر طويل قال فيه : خلقنا الله نحن حيث لاسماء مبنية ولا ارض مدحية و لا عرش و لا جنة ولا نار كنا نسبحه ونقدسّه حين لاتقديس فلما اراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش فنور العرش من نوري و نوري من نور الله و انا افضل من العرش .

ثم فتق نور ابن ابيطالب فخلق منه الملائكة فنور الملائكة من نور ابن ابيطالب و نور ابن ابيطالب من نور الله ونور ابن

ابيطالب افضل من الملائكة، و فتق نور ابنتي فاطمة منه فخلق
 منه السماوات والارض وفاطمه الضل من السماوات والارض، ثم فتق نور -
 الحسن فخلق منه الشمس والقمر فنور الشمس والقمر من نور الحسن ونور -
 الحسن من نور الله والحسن افضل من الشمس والقمر فتق نور الحسين
 فخلق منه الجنة والحدور العين فنور الجنة والحدور العين من نور الحسين
 ونور الحسين من نور الله والحسين افضل من الجنة والحدور العين الى
 آخر الرواية وهي طويلة^١.

ومنها خبر جابر بن عبد الله: قلت لرسول الله: أول شيء
 خلقه الله ما هو؟ فقال نور نبيك يا جابر، خلقه الله وخلق منه كل
 خير ثم اقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ثم جعله اقساما "
 فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي
 من قسم، واقامه القسم الرابع في مقام الحب الى ان قال ص
 فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة الف واربعة وعشرون الف قطرة،
 فخلق الله من كل قطرة روح نبي و رسول.^٢
 وقريب منه الخبر ٣٨ وفيه " فنحن الاول و نحن الآخرون "
 و مثله الخبر ٣٩ - ٤٥ الى ٤٥ قال المجلسي في ذيل الخبر

٤٥ : الاختلافات الواردة في ازمنة سبق الانوار يمكن حملها على اختلاف معانى الخلق ومراتب ظهوراتهم في العوالم المختلفة معانته قديطلق العدد ويراد به الكثرة لخصوص العدد .

ويقرب من خبر الجابر الخبر المروى عن مولانا الرضاع في العيون عن آباءه عن مولانا اميرالمؤمنين عليهم السلام وهو طويل ايضا " قال ص : يا على لولانحن ما خلق آدم ولاحواء ولا الجنة ولا النار ، وهذا الخبر هو الذى شرحه الآيه العظمى والحجة الكبرى الخشن في الله خليل الرحمن في عصره وروح الله في دهره سيدنا العلامة الامام الخميني في كتابه مصباح الهداية الى الخلافة والولاية بلسان اهل المعرفة فقرر الولاية التكوينية احسن تقرير فلله دره وعلى مواليه اجره ، و نظير تلك الاخبار ارقام ١ - ٢ - الى ١٤ و ١٩ و ٢٨ - ٢٩ - ٣٩ - الى ٤٨ في ج ١٥ ص ٤ الى ص ٢٥ من كتاب البحار من الطبعة الحديثة جزاء الله تعالى مصنفه وجميع علما ثنائين آل البيت احسن الجزاء .

ان قلت : لم لم يستنبأ " الله سبحانه الملائكة عن الاسماء قبل تعليمه الآدم اياها فلم آخر الاستنباء بعد التعليم وما السرفى ذلك ؟

قلت : ولعل الوجه في ذلك ان انباء الملائكة للاسماء من

شأن الخليفة وتنبأهم بها لا يكاد يتحقق إلا بواسطة خليفة الله، فالاستنباء قبل واسطة الفيض لم يكن في محله، فللخليفة بالنسبة إلى الملائكة مقام انباء ونبوة وبظني أنه إلى هذا المقام اشير في اخبار ائمة أهل البيت عليهم السلام: سبحنا لتعلم الملائكة ان خلق مخلوقون وأنه منزه عن صفاتنا فسبحت الملائكة بعد قوله ص: فكيف لا تكون افضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسيحه و تقديسه و تهليله كما في الخبر المروي عن الرضا عليه السلام فراجع إلى الخبر وتدبر فيه.

ان قلت اليس من المبرهن عليه في محله أن الموجود التام الفعلية ليس له حالة منتظره في تلقى الكمال وأن المجردات موجودات نورية لا يتخلل الجعل بين وجوداتها وكمالاتها، بل كل ما يمكن لها بالامكان العام يكون لها واجب التحقق، والحصول من الجواد المطلق وإنما الاستكمال التدريجي والجهل التركيبي في عالم القوة والاستعداد، وقد قرر ان الملائكة من المجردات و ذلك ينافي حديث الانباء لأنه لا ريب في أنهم بعد ما نبأهم آدم بالاسماء صاروا اكمل مما كانوا عليه من قبل ومنه ينقدح حال روايات سبق الانوار القائلة بأنهم عليهم السلام علموا الملائكة؟ قلت: ان سبق آدم ع إلى معرفة هؤلاء الاسماء وتعلمها لم

يكن بالسبق الزماني بل هذاسبق آخر فلنسم سبقا وجوديا فان ذلك العالم كان قبل الهبوط والنزول وهو منزه عن الزمان الملازم للقوة والحركة، كما ان سبق تلك الانوار كان كذلك ايضا " فما يترائى في الآيه والروايات من التعاقب والترتيب فانما هو بيان للتعاقب المناسب لذلك العالم وقد ابى الله تعالى ان يجرى الامور الاباسابها، فالفيض منه سبحانه لا ينصبغ صبغا " تفصيليا " الأبعد مروره على الوسائط الغيبية وعبوره من ابوابه وقد قال ص انامدينة العلم وعلّى بابها فافهم .

ومن الآيات المناسبة للمقام قوله تعالى : في آخر سورة الرعد : ويقول الذين كفروا لست مرسلا " قل كفى بالله شهيدا " بينى و بينكم ومن عنده علم الكتاب .

هذه السورة المكية شأنها شأن سائر السور المكية من نقل شبهات اهل الجحود والعدا وتعاميهم عن الآيات الواضحة والحجج الساطعة واقتراحهم على رسول الله حجة اخرى وقد لقن الله تعالى نبيه الاكرم ص الجواب عن مثل هذا التعامى العنيد والا قتراح اللديد، تارة على سبيل التبكيت بالتحدى والتعجيز مثل قوله تعالى : قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن^١، واخرى على طريق التسلية للنبي ص و الاعداد

والتحقير للحضم مثل مانحن فيه من الآية: قل كفى بالله يعني ان اجهاركم بالتكذيب والجحد لاقيمه له في سوق الحقيقة ولاوزن له في القسطاس المستقيم لان الله الذي هو اكبر الشهود وكفى به وحده شهيدا " قد شهد على رسالتي بمثل قوله: انك لمن المرسلين قتلك شهادة لا يضر معها جحود هؤلاء الكفار بل من في الارض جميعا " وكذا تبعت شهادة الله شهادة من عنده علم الكتاب على رسالتي فكفى بهما شهودا " .

اقول: اذا تدبرت فيه حق التدبير يتبين لك رفعة شأن من عنده علم الكتاب - حيث انه تعالى وصف شهادة هذا الذي عنده علم الكتاب بالكفاية على حد ما وصف شهادة نفسه بها ، و قرن شهادته هذا بشهادته تعالى ، فكفى بمثل هذا الوصف والاقتران فضلا " وكرامة ومن المعلوم منشاء هذا الكرامة والجلالة هو التحقق بعلم الكتاب ، فكون هذا العلم عنده هو السبب الوحيد لمثل هذا التجليل المغبوط والفضل المحسود عليه فما اجل هذا العلم و ما ارفع هو قد فسره سبحانه وتعالى وكشف بعض القناع بقوله ، قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ٢

١ - اقول : هذا الولي هو آصف بن برخيا وصي سليمان بن داود

حيث اسند مثل هذا الخرق العجيب اي اتيلن عرش بلقيس من
سبا قبل رد الطرف الى من عنده لمعة من هذا العلم فاذا كان

دنباله پاورقى از صفحه قبل

كما في بعض الآثار ، حكى شيخنا لعلامة الاميني قدس سره في الغدير
ج ٥ ص ١٤ ان الخليفة المستنصر العباسي خرج يوما " الى زيارة قبر
سلمان الفارسي و مع السيد عز الدين الاقساسي فقال له الخليفة
في الطريق . ان من الاكاذيب ما يرويه غلاة الشيعة من مجيى على
عليه السلام من المدينة الى المدائن لما توفي سلمان و تغسيله اياه
ومراجعتة في ليلته الى المدينة فاجابه ابن الاقساسي بالبديية :

انكرت ليلة اذا صار الوصى الى	ارض المدائن لما ن لها طلبا
وغسل الطهر سلمانا و عاد الى	عراص يثرب والاصباح ما و جبا
و قلت ذلك من قول الغلاة و ما	ذنب الغلاة اذالم يوردوا كذبا
فاصف قبل رد الطرف من سباء	بعرش بلقيس وافي يخرق الحجا
فانت في آصف لم تقل فيه بلى	في حيدرانا غال ان ذاعجا
ان كان احمد خير المرسلين فذا	خير الوصيين او كل الحديث هبا

هذا شأن من عنده حظ من علم الكتاب، فما ظنك بمن عنده علم الكتاب كله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم. ومن هنا يتضح أن هذا الشاهد لمكان اتصاف شهادته بالكفاية واقترانها بشهادة الله عز وجل، واتسامه بمثل هذا العلم يابى نفسه ان ينطبق على قوله تعالى: وشهد شاهد من بنى اسرائيل^١ اوعلى مثل قوله: اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل^٢ المفسر في بعض الآثار بعلماء اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واضرابه وما ذكرنا يندفع ما في بعض الآثار الموقوفة للقوم من الخلط بين علماء اهل الكتاب وبين من عنده علم الكتاب زعما^٣ منهم اتحاد هاتم التطبيق على ابن سلام ونحوه وهذه المغالطة نشأت من التشابه في اللفظ ولعلمهم كادوا يفعلون ذلك ايضا في قوله تعالى: وقال الذي عنده علم من الكتاب، لولا وقوع هذه الآية في سياق قصة سيدنا سليمان وقدور دفي تفسير^٤ من عنده علم الكتاب " باميرالمؤمنين عليه السلام في الفزيقين روايات كثيره جدا " جمعها في غاية المرام و نحن نذكرها رواية واحدة مروية في اصول الكافي ومن اراد البسط فليراجع الى غاية المرام.

ففي الكافي الشريف عن سدير قال: كنت انا وابو بصير ويحيى
البرّاز و داود بن كثير في مجلس ابي عبدالله عليه السلام اذ
خرج علينا وهو مغضب فلما اخذ مجلسه قال يا عجا " للاقوام
يزعمون انا نعلم الغيب وما يعلم الغيب الا الله عزوجل، لقد
هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في اي بيوت
الدارهي؟ قال سدير فلما ان قام من مجلسه وصار في منزله خلت
انا و ابو بصير و ميسر و قلنا له: جعلنا فداك سمعناك وانت تقول
كذا و كذا في امرجا ريتك ونحن نعلم انك تعلم علما " كثيرا "
ولا ننسبك الى علم الغيب قال: فقال يا سدير االم تقرأ القرآن؟
قلت بلى قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزوجل:
قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد طرفك
قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل
علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال قلت اخبرني به قال:
قد قرطرة من الماء في البحر الاخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب
قال قلت جعلت فداك ما اقل هذا قال يا سدير ما اكثر هذا ان
ينسبه الله عزوجل الى العلم الذي اخبرك به يا سدير فهل وجدت
فيما قرأت من كتاب الله عزوجل ايضا: " قل كفي بالله شهيدا "
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال: قلت: قد قرأته جعلت

فداك، قال افمن عنده علم الكتاب كلّه افهم ام من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت لا بل من عنده علم الكتاب كلّه قال فاومي بيده الى صدره وقال: علم الكتاب واللّه كلّه عندنا، علم الكتاب واللّه كلّه عندنا. ١

وفيه ايضا " بسند صحيح عن يزيد بن معاوية قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: قل كفى باللّه شهيدا " الى قوله: ومن عنده علم الكتاب قال عليه السلام: ايا ناعني وعلّي اولنا وفضلنا وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله. ٢

ومثله صحيح على بن ابراهيم في تفسيره عن الصادق قال: الذي عنده علم الكتاب اميرالمؤمنين عليه السلام وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب اعلم ام الذي عنده علم الكتاب فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب الا بقدر ما تاءخذ البعوضة بجناحيها من ماء البحر وقال اميرالمؤمنين صلوات اله عليه: الا انّ العلم الذي هبط به آدم من السماء الى الارض وجميع ما فضلت به النبيون الى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين. ٣

اقول: خبرسدير هذامن غزر الاخبار و مفتاح يفتح به ما
اغلق من الروايات النافية عنهم العلم بالمغيبات وبمثل هذا الخبر
يمكن الجمع فيما يترأى من التنافى بين الروايات فى هذا الموضوع .
ان قلت : ان الناظر فى تلك الاخبار الكثيرة المتكاثرة بل
البالغة فوق التواتر الواردة فى علوم ائمة اهل البيت وانهم
عليهم السلام يعلمون كل شئى ، لوخلى ونفسه يستيقن منها انهم
عليهم السلام يعلمون ماكان وسيكون بل كل ماكان من وراء الحجب
والاستار ، ولا يجد فى شئى من البراهين العقلية ما يمنع ذلك ويلحقه
بالممنوعات ، بل اماكن الاطلاع على الغيب مما قد برهن عليه الشيخ
فى اواخر الاشارات ، وماورد فى القرآن المجيد من نفي العلم
بالغيب عن رسول الله ص بمثل قوله : ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير (٢) وقوله : وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم (٣) فمعناه
انه ص لا يعلمه من قبل نفسه بغير تعليمه تعالى اياه بوحى او الهام ،
كما ان اتيانه صلوات الله عليه بالمعجزات الباهرات لم يكن عن
قدرة ذاتية له بل كل ذلك مما اتاه الله تعالى واقدره ، والقرآن
قد صرح فى غير موضع بانكشاف انباء الغيب بالوحى كقوله تعالى :

ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ^١ ، وبإظهار الغيب علي من ارتضى من رسول هو قول الله عزوجل: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا " ، الامن ارتضى من رسول ^٢ و هذا كله مما لا اشكال فيه .

انما الاشكال في ان المحكى الثابت من سيرتهم انهم كانوا يعيشون في طول اعمارهم على مستوى عيشة ساير الناس وكانت لهم علاقات بمن حولهم ، فيستمدون من الناس فى معاشهم فيستعلمونهم الاخبار ويشاورونهم فى الامور ويعتمدون على الاسباب الظاهرية والطرق العادية التى ربما اخطات فخاب مساعهم ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله قد تواترت الآثار على انه كان يعتبر الاسباب العادية فقد كان يجمع الاصحاب ويساءلهم عن احسن وجه يعأبه الجيش فيتحرى آرائهم ثم يتبع احسنها ، وقد كان يهيئ كتابه على وجه فىأتى بعض الاصحاب فيقول له: اوحى هذا ام رأى فاذا قال رأى كان يقول الصحابى غير هذا الوجه اولى ، فيتبع رأيه الا صوب واستصواب رأى سلمان الفارسى فى حفر الخندق مشهور ، .

وقد سمَّ صل الله عليه وآله في خيبر بتناول ذراع الشاة المصلية المسمومة التي اهدت له زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم اليهودي حتى قال في مرضه: الذي توفي فيه: ان هذا الاوان وجدت فيه انقطاع ابهرى^(١) من الاكلة التي اكلت بخيبر.

وهكذا الائمة الطاهرة من عترته ص فانهم قد اصابوا بمصائب لوعلموبها قبل وقوعها ، لكانوا من الذين يلقون انفسهم بايديهم الى التهلكة، ايطن بعاقل انه يعلم ان سوق جيشه الى عدوه في صفين مثلاً " ينتج خيبة مولمة وان عدوه العنيد سيبقى ملكه العضوض وهو مع ذلك يبذل غاية جهده في حربه ويضحى في ذلك اخلص اصحابه وبراھلبيته من ولده واخوانه وبنى اخوانه واعمامه فضلا " عن سيد العقلاء الموحدين امير المؤمنين عليه السلام واولاده المعصومين عليهم السلام ، افيظن به عليه السلام انه كان يعلم بانه سيفتك به المرادى لعنه الله ومع ذلك يوقظه عن منامه ويقول له كيت وكيت كما في بعض الآثار وهو الذي كان يفر من الاستغلال بجدار يريدان ينقض كما في غير واحد من الاخبار.

١ - الابهر . عرق اذا انقطع مات صاحبه

قلت: أن انحلال هذه المشكلة وانفكاك هذه المعقدة يبتنى على تذكّر اصول مبرهن عليها في موضعه.

منها أن نظام كيان الامكان بما أنه ليس للممكن اقتضاء ذاتي فمالم يجب لم يوجد بقضه وقضيضه لا بدوان ينتهي الى الواجب بالذات على الترتيب العلي والمعلولي وان اول ما خلقه الله تعالى حسب ما يوردى اليه البرهان وصريح الروايات واطارة القرآن (١) حقيقة بسيطة روحانية المعبر في بعض الروايات بنور نبينا صلى الله عليه وآله تارة كما سبق في رواية جابر وبالعقل تارة اخرى وبالقلم تالفة فهي ظهور مشية اليه التي بها خلق الاشياء وخلقها بلا واسطة كما في الخبر قال ابو عبد الله عليه السلام: خلق الله المشية قبل الاشياء ثم خلق الاشياء بالمشية، وفي خبر آخر: خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الاشياء بالمشية ٢.

وعليه فتلك الحقيقة بوحدتها جامعة لكل كمال وجمال وبها تم القضاء الالهي فجميع الموجودات الواقعة دونها فهي حاضرة بهوياتها واعيانها عند تلك الحقيقة التي هي عين الربط بالواجب القيوم

١ - قوله سبحانه . وان من شيخي الاعندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وقوله تعالى . وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو فافهم واستقم .

٢ - البحار ج ٤ ص ١٤٥

وما يترأى من احتجاب بعض الموجودات عن بعض وتجددها و تغييرها وتعاقبها ونحوها فانما هو بالقياس الى الالوية السافلة و اما بالقياس الى المبادئ العالوية فضلا " عن المبدأ الواجب تعالى فالكل حاضر على سبيل الضرورة والبت وجف القلم فمع تامة القضاء وجفاف القلم فهو تعالى كل يوم فى شأن جديد فتدبر . ومنها : ان ذاك النظام الكيانى والترتيب الربانى واقع على احسن وجه يمكن ان يقع عليه فما سفله كل حلقه من حلقات السلسلة الامكانية من مراتب الوجود فهو على جهة الضرورة والوجوب فيمتنع ان يتغير و يتبدل الى غيره وكل ذلك مقيسا " الى نظام الكل منتظم على اجمل الانتظام .

ومنها : ان المبين ان استكمال الانسان - بما هو موجود علمي - يتوقف على افعاله الارادية ، والارادة انما تتكون عن تصورات وتصديقات وهمية اعتبارية لامطابق لها فى الخارج ، فانا لانجد فى مورد مملوكية الدار لزيد مثلا " الا وجود الدار و وجود زيد ، واما الملكية فانما هى امر دعت الى اعتبارها هاضرة الحياة المدنية ، فتلك الاداعات الوهمية والعلوم الاعتبارية هى البنيان والحجر الاساسي للافعال الارادية المستكمل بها الانسان فهذه الطائفة من العلوم الارتسامية مع قسيمها اى العلوم الحقيقة

التي لها مطابق في الخارج - لكونها ممكنة - تتقوم بمبادئها الى ان ينتهي الاموالى العقل المجرد المنتهى الى الواجب القيوم تبارك وتعالى وان الى ربك المنتهى .

اذ تدبرت حق التدبر في تلك الاصول البرهانية القرآنية، ينكشف لك ان علمهم عليهم السلام بكل شىء انما كان بلحاظ حقيقتهم النورانية المعبر عنها بالعقل والقلم ، لابلحاط رقيقتهم الملكية الجسمانية وتلك الحقيقة البسيطة الروحانية كما علمت منشأ للنظام الكوني الذي منه تلك العلوم الوهمية التي تتحقق منها الافعال الارادية وعليه فافعالهم الارادية مع ما يسبقها من المبادئ وما يتبعها من الغايات كلها ناشئة من تلك الحقيقة الروحانية فلا يعقل التناقى بين ذاك العلم الاحاطى الشهودى وبين تلك العلوم الوهمية الناشئة منه .

ويمكن ان يقرر ذلك على سبيل التقريب بما قرره الشيخ فى الفصل السادس من المقالة الخامسة من الفن السادس من علم النفس من كتاب الشفاء بقوله:

ان تصور المعقولات على وجوه ثلاثة: احدها التصور الذى يكون فى العقل مفصلا " منظما " ، والثانى قد حصل التصور لكن النفس معرضة عنه الى معقول آخر ، والثالث مثل ما يكون عندك

في مسألة تسئل عنها ممّا علمية وحضرك جوابها في الوقت اذا شئت علمت ذات متيقن من غير ان يكون هناك تفصيل بل انما تاخذ في التفصيل والترتيب في نفسك مع اخذك في الجواب الصادر عن العلم به قبل التفصيل فهو مبداء للتفصيل فالمعلوم عنده مخزون بهذا النوع البسيط ثم يريد ان يجعله معلوما " بنوع آخر ، ومن العجايب ان هذا المجيب حين ياخذ في تعليم غيره تفصيل ما يحق في نفسه دفعة يكون مع ما تعلمه يتعلم العلم ، بوجه الثاني - يعني النوع الآخر - فيرتب تلك الصورة فيه مع ترتب الفاظه فاحد هذين هو العلم الفكري والثاني هو العلم البسيط ، فذلك علم فاعل للشئ الذي نسميه علما " فكريا ومبداء له وعلى هذا ينبغي ان يعتد الحال في المفارقات المحضة في - عقلها للاشياء فان عقلها هو العقل الفعّال للصور والخلق لها والى هذا الوجه يشير ماورد عن الصادق عليه السلام : ان الامام اذا شاء ان يعلم علم كفاي اصول الكافي .

ومما ذكرنا تعلم ان الاشكال المذكور ليس الا مغالطة ، من باب الخلط بين العلم الشهودي العنائي وبين العلوم الوهمية

حيث زعم أن ذاك العلم العنائي في عرض تلك العلوم الوهمية التي تنشأ عنها الإرادة للفعل أو الترك، فاستعصى عليه الأمر واستشكل بقوله: "أيظن بعاقل أنه يعلم أن كذا و كذا" غفلة منه أن ما ذكره من الأقدام والاحجام إنما هو من خواص العلوم الوهمية الاعتبارية دون العلم العنائي.

و بتقرير آخر: أن هذا الوهم من باب المغالطة باشتراك لفظ العلم بين المعنيين: أحدهما العلم الشهودي وهو حضور الشيء بوجوده العيني للعالم وبهذا النحو من العلم يكون علم الواجب تعالى بالموجودات فإنها بأعيانها حاضرة عنده سبحانه ولا يغزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وقد سبق عند البحث عن الآيات أن الاستفادة منها أن للنبي وعترته عليهم السلام هذا النحو من العلم بالموجودات ونظامها الأحسن، إلا ذلك له تعالى بالذات ولهم عليهم السلام بالتعليم الإيجادي منه تعالى فهم عليهم السلام بحقائقهم الروحانية المعبر عنها بالعقل في بعض الآثار ينكشف لهم الأشياء كما هي، ثانيهما هو العلم الوهمي الاعتباري الذي يتكون عنه الإرادة، وتوضيح ذلك أجمالاً "أن من المبتين في محلّه أن الإنسان بما هو موجود علمي يتوقف استكمالهما على أفعاله الإرادية والإرادته انما تتكون عن تصورات

و تصديقات و همّية اعتبارية دعت الى اعتبارها ضرورة الحياة وليس لها مطابق في الخارج و انما شأنها الوساطة لانتشاء الارادة مثلا " اذا فرضنا ان هناك فاعلا " مختارا " من نوع الانسان قد تنبّه لفعل ما فانه يتصوره اولا " تمام التصور ثم يتروى في صلاحه وفساده ، ثانيا " فان اذعن بصلاحه مثلا " ، ثالثا " حصل منه الشوق اليه ، رابعا " فيتكون منه الارادة فيقصد نحو العمل فاذا حللنا المثال وجدنا الفعل بما انه حادث مستندا " الى العلة المحدثة و هي الارادة ، و الارادة الى العلم والاذعان وهذا الاذعان لا يتم تاثيره الا بالجزم بوجود الفعل بحيث يصير مقابله ممتنعا " في هذا الظرف فهذا العلم منشاء للاقدام عند تحرّي المصلحة والاجرام دون القسم الاول ، وما اثبتنا من العلم حسب الآيات والروايات لهم عليهم السلام كان من القسم الاول وما اعترض الخصم به علينا كان من القسم الثاني الذي في طول ذلك العلم الشهودي فالعلم الشهودي مهيم على القسم الثاني وقيوم له فانه مقتضى بسطه وحيطته على مجموع النظام الضروري فهم عليهم السلام بجا نبهم البشرى كانوا على مستوى اشخاص هذا النوع في توسيط العلوم الاعتبارية في جلب المنافع و دفع المضار ولهم بالناس وعليهم ما عليهم في ناحية تلك العلوم .

ومع ذلك قد كان في مقدرتهم في هذا الجلباب أيضا "التطلع على مغيبات الخيرات والمضار ومبادئها العلمية في سطح العيشة الاجتماعية باذن الله تعالى بان يستمدوا بما آتاهم الله تعالى من المبادئ النورية والحقائق الاسمائية وهذا هو المعنى مما استفاض عنهم من قولهم: " لو شئنا علمنا " .

ويمكن تقريب ذلك بمثال رجل فداكتسب ملكة علم الحساب واتي علم كان اذا لقي اليه مسائل من سنخ علمه ارتجالا " فانه لو شاء علم جوابها فاذا استصلح وشاء ثم التفت الى تلك الملكة البسيطة واستمد منها طفق في التفصيل والترتيب و بين الجواب وكذلك النبي وعترته المطهرون يعلمون بهذا النهج ايضا " المنايا والقضايا والبلايا ، ولكن التفصيل والاقدام منوط باذن الله عزوجل وترخيصه ، فان الكرامة كما تكون من المزايا المغبوط فيها وامارة الوجاهة عند الله كذلك قد تكون فتنة لبعض الناس مثل ما وقعت النصرارى فيه من القول بالوهية عيسى عليه السلام واليهود ببنة عزيز عليه السلام و ما وقع لاميرالمؤمنين عليه السلام من الاخبار بالغيب بمثل قوله: سلوني قبل ان تفقدوني فوالذي نفسى بيده لاتساءلوننى عن شىء فيما بينكم وبين الساعة انبأتكم وغيره من الكرامات فابتلى بنسبة الالوهية اليه عليه السلام نعوذ بالله .

وأما قول القائل "أفيظن بعاقل" فإنه برهنه على جهله و
قياس للولياء على نفسه حيث جعل فهمه الضئيل ميزانا " لدرك
الحقايق فزعم محدودية الوجود في ظاهره المشهود ولم يوقن
بالآخرة فنبدكتاب اليه وراءه ظهريا " وقد أعلن القرآن العزيز في
محكم آياته باوسعية الوجود بكثير من ظاهره المحسوس وأنه وسع
الدنيا والآخرة والشهادة والغيب ، وأن الانسان كادح الى ربه في
مستوى هذا الصراط الطويل وأن الموت ليس نهاية الرحلة الانسانية
بل قنطرة ومرحلة من مراحل هذا الطريق المتطاوّل وأن الى ربك
المنتهى و هو ينهى صريحا " ان يحسب الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الى قوله وأن الله لا يضيع اجر
المؤمنين ، وقد اخبر اصدق القائلين عزاسمه عن المؤمن من الشهيد
من آل يس بقوله: قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون
يما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين الى غيرها من الآيات الكريمة
الكاشفة عن شئون اولياء الله وانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ولقد صدق ولي الله ابوالاثمة عليه وعليهم السلام حيث يصفهم
بقوله: ولولا الاجل الذي كتب لهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم .
نعم من لم يجعل الله نورا " فماله من نور ومن اخلد الى
الارض وهو يمشى مكبا " على وجهه فمبلغ علمه بالوجود قليل كما ان

صدره عن لقاء الله والجهاد في سبيله ضيق حرج ايثارا " للحياة الدنيا الدائرة على الحياة الآخرة الباقية ولعل الخنافس تزعم ان لما تدرجه من القاذورات ارجاء ماله من نظير !! صدق الله العلي العظيم ومن اصدق من الله قيلا " حيث قال: قل كل يعمل على شاكلته .

والحاصل ان لاولياء الله تعالى عليهم السلام شئونا " لاتقاس بشئون الناس فانهم المتيمنون في حب الله عزاسمه فمنطقهم هذا المنطق لا ينطبق على منطق اهل الاثره الذين لا يبعثهم على العمل الاحب للنفس والانانية حتى في العمل العبادي ، فانهم انما يطلبون بالعبادة اما الراحة والتخلص من العذاب فغايتهم حتى في العبادة هي حصول مشتهي النفس وقد جعل التوجه الى الحق وسطا " لاستحصال هذا المشتهي والوسط بما وسط غير مقصود بالذات ثم اذا فرصنا ان مثل هولاء العباد وقد دخلوا عملا " صالحا " و آخر شيئا " هل ترى انهم يتمنون الموت ويشتاقون اليه ! كلا وحاشا واذ كان حالهم فما ظنك بالذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ومن هنا يتبين مغزى قوله تعالى " قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله فتمنوا الموت . . تا مل فيه كيف جعل ميزان صحة دعوى ولاية الله تمنى الموت وحب لقاءه تعالى ، و لعمرك يا اخي

ان ذينك المنطقين ' منطق حبّ الله تعالى ومنطق الاثرية يتجليان
 فيما جرى بين الحسين ع وبين من كان ينصحه كابن عباس وابني
 الحنفية والزبير حين مسيره الى العراق فانهم كانوا يخوفونه
 بالموت والقتل وكان الحقّ معهم حسب منطق الاثرية، ولكن ذلك
 لا ينطبق على منطق الحبّ وقال ع في جوابهم: وايم الله لو كنت
 في حجرها مة من هذا الهوام لاستخرجوني حتى يقضوني حاجتهم^١
 لست اقول ان اولياء الله يستقبلون القتل كيف اتفق كلابل
 ربما يطلبون طول العمر فان الدنيا متجرا وولياء الله والعمر راس المال
 وانما استقبلهم للموت والقتل مقيدكته في سبيل الله المعبر عنه
 بالشهادة، والشهادة برّ ليس فوقها بر كما روى عن النبي ص: فوق
 كل ذي برّ برّ حتى يقتل في سبيل الله واذا قتل في سبيل الله فليس
 فوقه برّ وفوق كلّ ذي عقوق حتى يقتل احد والديه فاذا
 قتل احد والديه فليس فوقه عقوق^٢.

ولعمرك ان امرهم عليهم السلام صعب مستصعب لا يحتمله الا
 ملك مقرب او نبي مرسل او مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى كما ورد
 ذلك في الاخبار المستفيضة بل في بعضها انه لا يحتمله ملك وزملائه
 كما في الخبر المروي في البصائر عن المفضل قال: قال ابو جعفر

عليه السلام : انّ حديثنا صعب مستصعب ذكوان اجرد ولايحتمله ملك مقرّب ولانبيّ مرسل ولاعبد موءمن امتحن الله قلبه للايمان ، اماالصعب فهوالذي لم يركب بعد ، واماالمستصعب فهوالذي يهرب منه اذا رأى ، واما الذكوان فهوذ كاءالمؤمنين واما الاجرد فهوالذي لايتعلق به شيى من بين يديه ولامن خلفه وهو قول الله : الله الذى نزل احسن الحديث ، فاحسن الحديث حديثنا لايحتمل احد من الخلايق امره بكماله حتى يحده لانه من حدّ شيئا " فهو اكبر منه والحمد لله على التوفيق والانكار كفر .

واعلم ان علم باطن الشريعة من الاسرار الالهية وقد نهى في الروايات عن اذاعته الى غيراهله لكونه بعيد الغور عن جليل افكار هم بل عن دقيقتها بل لا يحتمله ذالك او ذاك كما في الخبر فاياك اياك ان تكشف عن امثال هذا العلم لغيراهله فتصير سببا " للفتنة والضلّال وانما تصدينا في هذه الرسالة للبحث عنه على طريق الاقتصار معتمدين على الكتاب والسنة لمارا " ينافي هذه الاوانة الاخيره بعض المنتسبين الى العلم المفتونين ببعض المسطورات الحديثة في مقام انكار تلك الروايات و مقامات النبي وعترته الاطيبين ، فطفقوا يطعنون على حفاظ الشريعة والمحدثين وفقها ثنائالمكرمين فسبحان الله العظيم ان هولاء المفترين قد جعلوا

ميزان الحقائق ومقياس المطالب افها مهم المئوفة فماوافق افها مهم العليلة ولائم اهوائهم الضئيله من الحقائق والمطالب فيحكمون بصحتها فمالم يوافقها فيستمعون وهم يلعبون ولم يعلموا انه لواتبع الحق اهوائهم لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد اعاذنا الله سبحانه وتعالى عن نزعات الشيطان الرجيم .

وقد اجيب عن الاشكال بوجه اخرى: منها ما ذكره في مرات العقول بقوله: ان من لا يعلم اسباب التقديرات الواقعية يمكنه الفرار عن المخذورات ويكلف به ، واما من كان عالما " بجميع الحوادث فكيف كلف الفرار والايلازم عدم وقوع شئ من التقديرات فيه . ومنها قوله في ذيل الجواب الاول: بل هم عليهم السلام غيرمكفين بالعمل بهذا العلم في اكثر التكليف فان النبي و اميرالمؤمنين كانا يعرفان المنافقين ويعلمان سوء عقائدهم ولم يكونوا مكلفين بالاجتناب عنهم وترك معاشرتهم ومناكحتهم او قتلهم وطردهم مالم يظهر منهم شئ يوجب ذلك .

ومنها ما نقله عن العلامة الحلبي وحاصله: ان تكليفهم عليهم السلام مغاير لتكليفنا فجاز ان يكون بذل مهجهم الشريفة صلوات الله عليهم في ذات الله كما يجب على المجاهد الثبات وان كان ثباته يفضي الى القتل .^١

المقصد الثالث في المعاد وما يلحقه وفيه فصول
الفصل الأول : في المعاد الجسماني

في المعاد الجسماني

اعلم انّ من راجع الى كتاب الله تعالى وطالع الاخبار
الصادرة عن النبي وعترته المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين ،
يستيقن انّ المعاد الجسماني من ضروريات دين الاسلام ولولم يكن
ممن ينتحل بالاسلام فانّ مثل قوله تعالى: بلى قادرين على ان
ننسى بنانه^١ وقوله: من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها
الذي^٢، ضريح في المعاد الجسماني، والاخبار الدالة عليه فوق
حد التواتر وللمليين وطائفة من الفلاسفة في امر المعاد اقوال وآراء
مذكورة في محالها ولا يهمننا التعرّض لها .

قال شيخ الفقهاء العظام الاستاذ الاكبر رضوان الله عليه
في المبحث الثالث من الفن الاول من كتاب كشف الغطاء^{*} يجب
العلم بانه تعالى يعيد الابدان بعد الخراب ، ويرجع هيئتها الاولى

بعد ان صارت الى التراب ويحلّ بها الارواح على نحو ما كانت
ويضمّها اليها بعدما انفصلت وبانت ، فكان النَّاس نيام انتبهوا فاذا هم
قيام ينظرون الى عالم جديد الى ان قال : والمقدار الواجب
بعد ، معرفة اصل المعاد ومعرفة الحساب وترتب الثواب والعقاب ، و
لا يجب المعرفة على التحقيق التي لا يصلها الا صاحب النظر الدقيق
كالعلم بأنّ الابدان هل تعود بذواتها او انما يعود ما يماثلها
بهيتها ، وانّ الارواح هل تعدم كالاجساد او تبقى مستمرة حتى
تتصل بالا بدان عند المعاد ، وانّ المعاد هل يختص بالانسان او
يجرى على كافة ضروب الحيوان وانّ عودها بحكم الله دفعي او
تدرجي ، وحيث لزمه معرفة الجنان وتصوّر الميزان لا يلزم معرفة
وجودهما الآن ولا العلم بانهما في السماء اوفى الارض او يختلفان ، و
كذا حيث يجب معرفة الميزان لا يجب عليه معرفة انها ميزان معنوية
اولها كفتان ، ولا يلزم معرفة ان الصراط جسم دقيق او هو عبارة
عن الاستقامة المعنوية على خلاف التحقيق ، والغرض انه لا يشترط
في تحقّق الاسلام معرفة أنّهما من الاجسام وان كانت الجسميّة
هي الاوفق بالاعتبار ، و بما وجب القول بها عملاً " بظاهر الاخبار
ولا يجب معرفة أنّ الاعمال هل تغود الى الاجرام وهل ترجع
بعد المعنوية الى صور الاجسام ، ولا يلزم معرفة عدد الجنان و

النيران وادراك كنه حقيقة الحور والولدان، وحيث لزم العلم بشفاعه خاتم الانبياء صل الله عليه وآله لا يلزم معرفة مقدار تأثيرها في حق الاشقياء وحيث لزم معرفة الحوض لا يجب عليه توصيفه و تحديده وتعريفه ولا يلزم معرفة ضروب العذاب وكيفية ما يلقاه العصاة من انواع النكال والعقاب.

حكى في البحار عن شرح المقاصد : انه بالغ الامام الغزالي في تحقيق المعاد الروحاني وبيان انواع الثواب والعقاب بالنسبة الى الروح حتى سبق الى كثير من الاوهام ووقع في السنة بعض العوام انه ينكر حشر الاجساد افتراء عليه كيف وقد صرح به في مواضع من كتاب الاحياء وغيره، نعم ربما يميل كلامه وكلام كثير من القائلين بالمعادين الى ان معنى ذلك ان يخلق الله تعالى من الاجزاء المتفرقة لذلك البدن بدنا " فيعيد اليه نفسه المجردة الباقية بعد خراب البدن، ولا يضرنا كونه غير البدن الاول بحسب الشخص، وما شهد به النصوص من كون اهل الجنة جردا " مردا " و كون ضرر الكافر مثل جيل احد يعضد ذلك وكذا قوله تعالى : كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا " غيرها " ولا يبعد ان يكون

قوله تعالى: "اوليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ۗ" ، اشارة الى اهذا .

فان قيل فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب باللذات والالام الجسمانية غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية ؟ قلنا البعرة في ذلك بالادراك وانما هول الروح ولو بواسطة الآلات وهو باق بعينه وكذا الاجزاء الاصلية من البدن ، ولذا يقال للشخص من الصباء الى الشيخوخة انه هو بعينه وان تبدلت الصور والهيئات بل كثير من الاعضاء والآلات ولا يقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب انها عقوبة لغير الجاني انتهى المحكي من شرح المقاصد ٢ .

وبقر من ماذكر سيد الاعلام السيد عبدالله الشير بل عبارته بعينها تلك العبارة بالفاظها فراجع الى ج امن مصابيح الانوار في حل مشكلات الاخبار ص ٢٣ - ٢٢

قال قدوة الفقهاء العظام جمال الدين ومصباح المتكلمين في شرح التجريد: الواجب في المعاد هو اعادة الاجزاء الاصلية - التي لا يتطرق اليها الزيادة والنقصان ، او النفس المجردة مع الاجزاء الاصلية ، اما الاجسام المتصلة بتلك الاجزاء فلا يجب اعادتها بعينها

ويقرب منه عبارة الشارح القوشجي .

قال في شرح المواقف: أنّ المعاد إنّما هو الاجزاء الاصلية وهي الباقية من أول العمرالى آخره لاجميع الاجزاء على الاطلاق .
قال في گوهر مراد: اقرب آن است كه آنچه از ضروريات دين است معادى است كه شخص معاد همان شخص مكلف باشد و

بنحوى باشد كه مورد لذات وآلام جسمانيين تواند شد .

قال شيخنا الشهيد الثاني في المقاصد العلية: القدر الذى يجب التصديق به، مما جاء به النبي ما علم مجيئه به تواترا من احوال المبدأ والمعاد كالتكليف بالعبادات والسؤال في القبر وعذابه والمعاد الجسماني والحساب والصراط والميزان والجنة والنار ولا يجب العلم بكيفية ذلك وتفصيله فإنه مما يخفى على الخواص .

اقول: غرضنا من نقل اقوال الاساطين هو استبانة أنّ اصل المعاد الجسماني من ضروريات دين الاسلام فمن انكره فهو محكوم بالكفر من جهة استلزام انكاره لانكار النبي، لكونه ضروري الثبوت من دين نبي الاسلام، وأن المنكر يعلم ذلك ومع ذلك ينكره .
وأما إذا لم يعلم أنه من دين النبي فلا يحكم بكفره كما قرّر في محلّه من أنّ انكار الضروري من الدين تارة يرجع الى الاصول بالذات، واخرى الى انكار ما يستلزم انكاره، انكار ما اخبر به

النبي ص ضرورة، والنوع الأول مع التقصير مستلزم للكفر في الدنيا والعذاب في الآخرة، وبدون التقصير مستلزم للأول دون الثاني، وأما النوع الثاني من الإنكار فمع عدم التقصير لا كفروا لعذاب ومع التقصير في الفهم والاستنباط من دون لجاج وعناد لا يستلزم الكفر، ولكنه يستحق المواخذة والعقاب هذا كله فيما علم أنه من الدين ضرورة، وأما ما لا يعلم أنه من الدين ضرورة مثل كيفية الجسم المعاد وكميته وأنه مع المادة القابلة الدنيوية اوبدونها فليس لاحدان يكلف احدا " بالاعتناق والاعتقاده .

فمن اعتقد باصل المعاد الجسماني ثم ادّى نظره بالبحث والتحقيق الى الاعتقاد ببعض الخصوصيات في الجسم المعاد حسب الأدلة الدالة عليه عنده وان كان نظره مخالفا " لاحاد الاخبار، فلا يحلّ لاحد ارزاهه فضلا " عن تكفيره، فانّ من افحش القول تكفير اهل القبلة الابما فيه نفي للصابع تعالى واشرك به او انكار للنبوّة او ما علم أنه من دين النبي ضرورة مع علم المنكر بكونه من دين النبي ص .

وفي غير ما ذكر فالتكفير تقول على الله بغير علم وافتراء عليه عزّاسمه، ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا "، والمكفر داخل في قوله تعالى: انّ الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله

في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً " مهيناً " والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات .^١

وروى عنه ص أنه قال: اذا قال المسلم لاخير يا كافر فقد
باء بهاء احدهما ، فانّ من الاصول الثابتة في شريعة الاسلام : انّ
دماء المسلمين واموالهم واعراضهم محرّمة من بعضهم على بعض ولا تحلّ
الآباذن الله تعالى ورسوله .

ولنعم ما قال شيخنا العلامة الانصاري قدس سرّه في الفرائد ،
بعد الاذعان بأنّ الاشتغال بالعلم المتكفل لمعرفة الله ومعرفته الولياء
صلوات الله عليهم اهمّ من الاشتغال بعلم المسائل العمليّة بل
هو المتعلّمين لأنّ العمل يصحّ عن تقليد فلا يكون الاشتغال بعلمه
الأكفائيا " بخلاف المعرفة :

فلاتفتر بمن قصر استعداده او همته عن تحصيل مقدمات
استنباط المطالب الاعتقادية الاصوليّة والعمليّة عن الأدلة العقليّة
والنقليّة فيتركها بغضا " لها لانّ الناس اعداء ما جهلوا ، ويشغل
بمعرفة صفات الربّ جلّ ذكره واوصاف حججه صلوات الله عليهم
بنظر في الاخبار لا يعرف من الفاظها الفاعل من المفعول فضلا " عن

معرفة الخاص من العام وينظر في المطالب العقليه لايعرف به
البديهيات فيها و يشتغل في خلال ذلك بالتشنيع على حملة
الشريعة العملية والاستهزاء بهم بقصور الفهم وسوء النية فسياتيهم
انباء ما كانوا به يستهزون انتهى كلامه.

فادب اللهم نزع الخرق منى بازمة القنوع والبسني زينة
المتقين في سترة العائبة و لين العريكة وترك التعبير ، واجعل
اللهم ما يلقي الشيطان في روعي من التمني والتظني والحسد
ذكر لعظمتك وما جرى على لسانى من لفظه فخش او هجرا و شتم
عرض او شهادة باطل او اغتيا ب موء من اوسب حاضر وما اشبه ذلك
نطقا " بالحمد لك واغراقا " في الثناء عليك واحصاء لمنك آمين
آمين .

وصل : وحيث تبين لك في تضاعيف الكتاب ان المعاد هو رجوع
الموجودات بتمام ذواتها الى الله تعالى ، فلحوق بدن الانسان
بنفسه ضرورى حسب ما يقتضيه عنايته تعالى نعم حيث كانت النشأة
الاولى عند قيام الساعة متبدلة الى الكمال النهائى الممكن فى حقها
وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات ١ ، و قوله

واشرفت الارض بنور ربّها^١ ، كانت الابدان الارضية والاجساد الترابية كالانفس حية مشرقة حينئذ ، فانّ الدار الآخرة ليهي الحيوان لو كانوا يعلمون .^٢

فالاجزاء البالية من الانسان في الاجداث كنفس الاجداث مسوقة الى الكمال الغائي الممكن في حقّها الى حيث تستعدان تتبدّل فتشرق عند قيام الساعة فتخرج ازهارها في اكما مهافي ربيع القيامة . وفي رواية الاحتجاج : قال الزنديق للصادق عليه السلام : انّي للروح بالبعث والبدن قدبلي والاعضاء قدتفرقت ، فعضوفي بلدة تاكلها سباعها وعضو باخرى تمزقه هوامها و عضو قد صار ترابا " بنى به مع الطين حائط؟!

قال عليه السلام : انّ الذي انشاء من غير شئ وصوره على غير مثال كان سبق ، قادران يعيده كما بدئه قال اوضح ذلك قال انّ الروح مقيمة في مكانها روح المحسنين في ضياء وفسحة وروح المسيئي في ضيق وظلمة والبدن تصيرت اباكامانه خلق ، وما تقذف به السباع والهوام من اجوافها فما اكلته ومزقته كلّ ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في ظلمات الارض و

يعلم عدد الاشياء ووزنها وأن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب، فاذا كان حين البعث مطرت الارض مطرالنشور فتربوا الارض ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب اذا غسل بالماء والزبد من اللبن اذا مخض، فيجتمع تراب كل قالب فينقل باذن الله الى حيث الروح، فتعود الصور باذن المصور كهيتها وتلج الروح فيها. ١

وفي غيره احد من الاخبار وقع التعبير عما يبقى من الاجزاء بالطينة وانها لاتبلى بل تبقى، ففي الكافي الشريف عن الصادق ع: انه سئل عن الميت يبلى جسده، قال نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم الاطينته التي خلق منها فانها لاتبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق اول مرة. ٢

وعنه في خبر آخر: وقوع التعبير عن هذه الطينة بعجب الذنب قال عليه السلام في سياق قصة ذبح بقرة بني اسرائيل: فاخذوا قطعوهي عجب الذنب الذي منه خلق ابن آدم وعليه يركب اذا اريد خلقا "جديدا" فضرّبوه بها. ٣

١ - البحار ج ٧ ص ٣٨ - ٣٧ ٢ - الفروع ج ١ ص ٢٥١

٣ - البحار ج ٧ ص ٤٣

وقد روى القوم بقاء عجب الذنب عن النبي ص بالاسناد الصحيح
كل ابن آدم يأكله التراب الأعجب الذنب منه خلق وفيه يركب^١ .
وبذكرى اني رأيت هذا الخبر في بعض صحاح القوم ، وعن نهاية ابن
اثير العجب السكون العظم الذي في اسفل الصلب عند العجز وهو
العسيب من الدواب وفي المنجد : العجب : مؤخر كل شيء اصل
الذنب عند راس العصص .

الفصل الثاني

في الجواب عن شبهة عيشة المعاد

في الجواب عن شبهة عبثية المعاد

ربما يتشكك في امر المعاد بامور نذكر اهمها على سبيل الاجمال والتلخيص ثم نتلوها بالجواب حسب ما يقتضيه الاصول والقواعد .
فمنها : ان الحشر والاعادة فاما للغرض وهو عبث وجزاف لا يلبقان بالله تعالى واما لغرض ، فهذا الغرض اما عائد الى الله عز وجل و ذلك مستحيل على الله سبحانه لاستلزامه النقصان في ذاته تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، واما عائد الى العبد المعاد وهو ما يلام العبد فهذا ايضا " ممتنع عليه تعالى ، واما الذاهد وهو باطل ايضا " لان اللذة هودفع الالم فالعبد لو ترك بحاله ولم يعد لم يكن له الم فهذا الغرض حاصل بدون الاعادة فلا فائده فيها ، واما الايلام اولاً " ثم دفعه ثانيا " كي يلتذ فهو كما ترى لا يصلح اسناده الى عاقل فضلا " عن الله خالق العقول سبحانه وتعالى وهل هذا الا كان يمرض عبده ثم يدفعه عنه ليلتذ به اى يعود الى ما كان عليه من عدم المرض .

اقول: هذه الشبهة كما ترى فيها ضلالات منها: زعم كون الحشر والمعاد مستلزم لاعادة المعدوم ومنها: قياس فعل الله تعالى في امر الاثابة والعقاب بفعل بعض السلاطين والملوك، ومنها: عدم درك ما هو معنى اللذة والالم، فتلك الضلالات والجهالات هي سدى ولحمة هذه الشبهة، وانت بما قد منا في اوائل الكتاب من ان المعاد هو رجوع الموجودات الى الله تعالى، خبير بان هذه الشبهة ساقطة من اصلها، وان ما يلحق النفوس من الثواب والعقاب انما هي اعمالهم وهناك تبلى كل نفس بما سلفت و يومئذ يصدر الناس اثناتا " ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.

ومنها انه قد ثبت في محله ان الموجود الذي له قوة كمال ما واستعداد فعلية ما، اذا خرج من القوة الى الفعل واعتنق بكامله اللائق به المناسب لحاله فانه يستحيل رجوعه بعد الى القوة، ثانيا "، فالانسان بموته يتجرد عن المادة القابلة فيصير موجودا" مثاليا " بالفعل او عقليا كذلك حسب ما ساعدته الشروط والمعدات فمن المحال ان تتعلق هذه النفس المجردة بالمادة ثانيا " لاستلزامه المحال المذكور يعني رجوع ما بالفعل الى ما بالقوة وهو مبين الاستحالة فان النفس في بدء حدوثها امر بالقوة ولها تعلق ذاتي ببدنها

وهي كمال له فلذا عرفت بانها كمال اول لجسم طبيعي آلي وهما مع اختلافهما في الصفاء والكدره موجودان بوجود واحد ويخرجان معا " من القوة الى الفعل كل بحسبه ، وهذا الخروج قد وقع بالحركات الجوهرية والاستحالات الذاتية فبعد ما استكملت في السعادة والشقاوة حتى اذ بلغ الكتاب اجله فرق الله سبحانه بينهما بالموت فيتوفيها عن هذا القشر المسمى بالبدن الذي نسبته اليها نسيه المشيئة الى الجنين بوجه فترجع النفس الى عالمها ويتحلل البدن الى العناصر الطبيعية كما صرح به الخبر المروي عن الصادق عليه السلام في العلل: الانسان خلق من شأن الدنيا وشأن الآخرة الى ان قال ٤ فاذا فرق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت ، فردت الروح الى القدس الاولى ، وترك الجسد لانه من شأن الدنيا وقد سبق الخبر في بعض الابحاث السالفة.

وبالجملة عود النفوس الى الابدان يستلزم عودها بالفعل الى ما بالقوة وهو محال وبهذا قررر والاستحالة التناسخ واخواته ، فماورد من الآيات والروايات الظاهرة في ذلك اوفى الرجعة فلا بد فيها من نحو علاج واحتيال لئلا تناقض الحجج العقلية فان في هدم القواعد البرهانية هدم جميع ماجاء به الانبياء على نبينا وآله و عليهم الصلاة بل يستلزم ذلك اللحوق بالسو فسطائية فاولى

للجملة المتنسكة فاولى ثم اولى لهم فاولى حيث يزعمون ان
 الشرع قد غلق باب العقل ونهى عن الركون الى البراهين العقلية
 وهل هذا الا فرية شائنة حمقاء على الكتاب والسنة، اليس القائل
 بان النتائج تبطل مقدماتها - ممن سفه نفسه فان معرفة الانبياء
 والاعتقاد بما جاءوا به نتيجة المقدمات العقلية و قد ندب الشرع
 مستكررا الى الاعتبار والنظر في الموجودات بمثل قوله تعالى :
 اولم ينظروا في ملكوت السماوات والارض و ما خلق الله من شيء ١ ،
 وقوله فاعتبروا يا اولى الابصار ٢ .

والاعتبار والنظر ليس شيئا اكثر من استنباط المجهول من المعلوم
 وهذا هو القياس المنطقي ومن البين ان الاعتبار والنظر الذي دعا اليه
 الشرع هو وثق ، انواع النظر باتقن انواع القياس وهذا هو المسمى
 بالبرهان ولا يكا ويمثل امره تعالى بالنظر في جميع الموجودات
 الا بعد المعرفة انواع البراهين و شروطها وبماذا يخالف القياس
 البرهاني القياس الجدلي والجدلي والخطابي والمغالبي ولا يعرف
 ذلك الا بعد معرفة مقدمات القياس .

وبالجملة معرفة علم الميزان واصول الاستدلال وليس لاحدان

يقول :

إنّ هذا النوع من القياس العقلي لم يكن في الصدر الأوّل فهو بدعة، لأنّه محجوج بمثل اصول الفقه حيث لم يكن في الصدر الأوّل وليس يرى أنّه بدعة، والحاصل ان لله تعالى حجّتين: احديها باطنة وهي العقول، واخرى ظاهرة وهي الانبياء والرسل، والباطنة هي المبني والاساس للظاهرة، كما في الخبر المروى عن مولانا الكاظم عليه السلام، وقد عرفت حكم العقل بامتناع عود ما بالفعل الى ما بالقوة ومن مصاديق هذه الكبرى عود الارواح الى الابدان المعبر عنه بالمعاد الجسماني الظاهر من الآيات والروايات، ومن المعلوم في محلّه ان ظاهر المنقول لا يصادم صريح المعقول.

اقول: هذه الكبرى القائلة (باستحالة رجوع ما بالفعل الى ما بالقوة) حق لا ريب فيه وهي العماد والسناد في ابطال بعض اقسام التناسخ، لكن عود الارواح الى الابدان في مسئلتي الرجعة والمعاد ليس من صغرياتها وصاديقها، فانّ هذا العود عبارة عن تعلق النفس بالمادة ولاسيما المادة التي فارقت عنها بالموت فالنفس بمثل هذا التعلق لم ترجع ذاتها المتحصلة بالفعل الى ما بالقوة فالمحال هو الرجوع بمعنى خروج ما هو بالفعل عن فعليته الى القهقري و صيرورته امرا " بالقوة كان تخرج الدجاجة عن فعليتها الى القهقري وتصير بيضه مثلا"، واما الرجوع بمعنى التعلق الجديد فبمكان

من الامكان ، فان النفس بتعلقها الجديد بالبدن باقية على تجرّدها ولم يمّسها الانقلاب والانحدار الى القوّة فهي في المثل كالصّانع الذي ترك مصنعه وآلاته برهة من الزّمن لغرض ما ، ثم رجع اليها ومما يوضح ذلك ان المدرك لجميع الادراكات في الحسيّة الخياليّة والعقليّة ، والفاعل لجميع الافاعيل النباتيّة والحيوانيّة والانسانيّة هي النفس فهي ذات اطوار صعودا " ونزولا " فطورا " تنزل الى ساحة المواد والاجسام فتصير محكومة بحكمها وطورا " آخر تصعد الى وكرها عالم العقل فتتحد معه نحوا " من الاتّحاد ومن هذا يتبين ان شيئا " واحدا " يجوز ان يتعلّق بالمادة تارة و يتجرّد عنها تارة اخرى ، فانقدح مما ذكر نا ان هذه الشّبهة انما نشأت من الخلط بين الرجوع بمعنى الخروج عن الفعلية وبين الرجوع بمعنى التعلّق الجديد .

ان قلت : ان في التعلّق الجديد للنفس بالبدن لابدمن استعداد ما للنفس بالنسبة الى التعلّق المذكور ، والاستعداد اينما تحقّق يلزم المادّة على ما برهن في موطنه وعليه فيلزم ثبوت مادّة ما في البرزخ والمثال وقد سبق في البحث عن البرزخ نفيها عن ذاك العالم .

قلت : اثبات انقطاع علاقة الرّوح عن البدن انقطاعا " تامّا

بالموت مشكل جداً " بل لاسبيل اليه ، بل الظاهر من كتاب الله تعالى بقاء علقه ما بينهما بعد الموت ايضا " وهو قوله عز اسمه : الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى .^١

فان صريحه " ان النائم قد توفى الله تعالى روجه مع اننا نعلم ببقاء علقه ما بينهما وبين بدنه ، مع ذلك اى مع صدق التوفى وقد قرن الله سبحانه بالنائم ، الميت فى هذا التوفى فبحكم المقارنه يمكن ان يستظهر بقاء علقه ما بين النفس والبدن وهذا لا ينافى نفى المادة عن البرزخ فافهم .

ومنها ان جرم الارض محدود ممسوح وعدد النفوس كما قيل غير متناهية فلا يفى الجرم المتناهى لان يحصل منه الابدان غير المتناهية .

والجواب ان هذا القول معارض بمثله وانما عقيدتنا القرآنية التي ندافع عنها هي ان آدم هذا الذي يقص القرآن نبأه ، قد خلقه الله تعالى بعد مضي دهر طويل من عمر الارض فلنفوس ابناء بدء كما ان لها نهاية .

ثمَّ انك علمت ان الارض تتبدل وتمتد عند قيام الساعة وهو قوله تعالى: يوم تبدل الارض غير الارض^١ وقوله: اذا الارض مدت واذنت لربها وحققت^٢ فهي تاتمر لامرربها في الامتداد والانبساط الى حيث تفي لان تحصل منها الابدان الى ماشاء الله ، فان الهيولا قوة محضة لاتقدرلها في ذاتها وانما يعرضها المقدار من الخارج وبهذا يمكن الجواب على تقدير عدم تناهي النفوس.

ومنها ان الجنة والنار متزاحمان في الوجود وقوله تعالى: سارعوالي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين^٣ يدل على ان الجنة شاغلة لسعة السموات والارض فاين مكان النار.

اقول: وفي مجمع البيان انه سئل رسول الله ص: اذا كانت الجنة عرضها السموات والارض فاين تكون النار؟ فقال ص: سبحان الله اذا جاء النهار فاين الليل؟ وفي تفسير الجامع للقرطبي عن يعلى بن ابي مروة: لقيت التنوخي رسول هرقل الى النبي (ص) بحمص شيخا "كبيرا" قال قدمت على رسول الله ص بكتاب هرقل

٢- الانشقاق ٣

١- ابراهيم ٤٨

٣- آل عمران ١٣٣

فناول الصحيفة رجلاً " عن يساره قال : فقلت : من صاحبكم الذي يقرء ؟ قالوا معاوية ، فاذاً كتاب صاحبي : أنك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السماوات والارض فاين النار ؟ فقال رسول الله ص : سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار .

قلت هذا الجواب منه صلى الله عليه وآله كما تراه مبدؤ بالتعجب عن غفلة السائل مما هو موجود عنده وتنبيهه ، على ان نظير ما استوضح وسئل عنه من مرتكزاته فارجه اليها ، و ذلك ان هذا السائل يعلم بالضرورة ان الليل والنهار موجودان ، قد جعلهما الله خلقاً يختلفان في هذه النشأة ويتعاقبان على البلاد فلا يجتمعان فيها فبمجيئى النهار يذهب الليل فيخلفه النهار في مكانه فهذا الليل الذاهب الموجود ليس له عند الرجوع والاياب الى مرجعه هذا المكان الدنيوى فتعانده وتزاحمه مع النهار انما كان في هذه النشأة فالدنيا دار التضاد والتمانع والحوادث الواقعة في كل من الجديدين غائبة عن الاخرى فى الآخر كنفس الطرفين فاذا كان هذا الامر مركزاً " فى ذهن السائل وليس يرى اشكالا " فيه فليكن مثله امر الجنة والنار فانهما المصير والمآب .

ولعمرو الحق ان هذا الباب الذى فتحه يفتح منه ابواب و به يتبين حشر الازمان والايام وان لها عند الرجوع وجوداً " ملكوتياً "

تكون به باقية عند الله لاتنفد ، وأنَّ الوجود بما هو وجود لا ينقلب الى العدم بل الى الله تصير الامور ففيض الوجود يطلع من الغيب الى الشهادة ويرجع منها فيغرب فيه فهو تعالى يقبض ويبسط فأنا لله وأنا اليه راجعون .

ومنه يتبين ايضا "أنَّ الثواب والعقاب لا يباينان الاعمال بل النسبة بين الجزاء والعمل هونسبة البطون والظهور والغيب والشهادة فأنَّ للعمل بحسب عالم الشهادة صورة غير ماله بحسب الغيب من الصورة .

فاكل مال اليتيم في هذه النشأة له صورة مالوفة ، واما صورته الغيبية فهي اكل النار : الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما " انما ياكلون في بطونهم نارا " ١

والحاصل أنَّ الحقيقة الواحدة تتطور اطوارا " مختلفة بحسب النشآت المختلفة حتى الازمان من الايام والشهور والسنين فانَّ وجودها في هذه النشأة معتنق بعدمها ولكنها بحسب النشأة الاخرى لها نحو وجود جمعي باقية عند الله تعالى وستكون من الشهداء يوم يقوم الاشهاد كما في الآثار المرؤية عن بيت الوحي والعصمة .

فمنها قول سيّد نازين العابدين عليه السّلام في الرّوضة السّادسة من الصحيفة: هذا يوم حادث جديد وهو علينا شاهد عتيّد ، ان احسنوا بناحمد وان اسأنا فارقنا بدمّ .

ومنها قوله ع في الرّوضة الخامسة والاربعين: السّلام عليك يا شهرالله الاكبر وياعيد اوليائه الاعظم ، ومنها ما رواه في الكافي عن مولانا الصادق ع: ما من يوم يأتي على ابن آدم الا قال له ذلك اليوم يا بن آدم انا يوم جديد وانا عليك شهيد فقل في خيرا واعمل في خير اشهد لك يوم القيامة فانك لن تراني بعدها ابدا "ومنها ما رواه في البحار ان الله يحشر يوم القيامة شهر رمضان في احسن صورة!

ومن الشبهات ، شبهة الأكل والمأ كول وتقريرها كما في شرح التّجريد: ان انساناً "لواكل آخر واغتذى باجزائه ، فان اعيدت اجزاء الغذاء الى الأوّل عدم الثاني وان اعيدت الى الثاني عدم الأوّل وايضا " ، اما ان يعيد الله تعالى جميع الاجزاء البدنية الحاصلة من أوّل العمر الى آخر ، او القدر الحاصل عندهموتة ، و القسمان باطل . اما الأوّل فلان البدن دائما " في التحلّل فلوا عيدالبدن مع الاجزاء منه لزم عظمة في الفاية وانه قديتحلّل منه اجزاء تصير اجساما " غذائيّة ثم ياكلها ذلك الانسان بعينه حتى

تصيرا جزءا من عضو آخر غير العضو الذي كانت اجزاء له أولا " فاذا اعيد اجزاء كل عضو الى عضوه لزم جعل ذلك الجزء جزءا من العضوين وهو محال .

واما الثاني فلانه قد يطيع العبد حال تركبه من اجزاء ثم تتحلل تلك الاجزاء وبعضها في اجزاء اخرى فاذا اعيد في تلك الاجزاء بعينها واثابه على الطاعة لزم ايصال الحق الى غير مستحقه ، انتهى موضع الحاجة من كلامه .

اقول : وزد عليه اذا كان الآكل كافرا " والمأكل مومنا " فانه يلزم اما تعذيب المطيع و تنعيم الكافر وان يكون شخص واحد كافرا " معذبا ومومنا منعا " لكونهما جسما " واحدا " .

والجواب المشهور هو ان لكل انسان اجزاء " اصلية لا يمكن ان تصير اجزاء للغير بل لو اكلها الغير تكون من الفواضل ، فاذا اعيدت جعلت اجزاء " اصلية لمن كانت هي له أولا " وحدث الطينة الباقية غير البالية في القبر وكذا خبر العجب قداخذاتاييدا " لهذا الجواب ولكنك خبير بان اساس الشبهة على مزعة باطلة و هي زعم كون تشخص الشئى بمادته ، مع ان المقرر في محله ان تشخص كل شئى بصورته وان المادة معتبرة لاعلى التعيين ، و تشخص كل انسان بنفسه التي هي صورة والبدن معتبر فيه على

وجه الابهام بل هذا من مرتكزات كلّ عاقل، فلذا اخذ هذا الارتكاز في نفس الشبهة فإنّ قوله: (يتحلل منه) وقوله: (قد يطبع العبد) صريح في أنّ هناك امرا " ثابتا " اليه تستند الجزئية وأنّه لولاه لامعنى لصدق الجزئية، ولايشك ذومسكة في أنّ زيدا " الذي اكل خروفا " اوظبيا " فصارت اجزاء هما من اجزاء بدن زيد هوزيد لانه ظبي اوخروف،

والحاصل ان بدنية البدن تابعة للنفس فكما يتعلق به نفسه هوبعينه بدنه فما الطف قول الصادق عليه السلام في خبرالاحتجاج السابق الذكر: فينقل - يعني البدن - باذن الله الى حيث الروح - حيث اشار عليه السلام بقوله هذا الى أنّ البدن تبع و شعاع للروح نحو تبعية الشعاع لذيه و ممّا ذكر نايتبين معنى قوله: اوليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم^١، قوله: و مانحن بمسبوقين على ان نبذل امثالكم و ننشئكم فيما لا تعلمون^٢.

ومنها أنّ من المبين عقلا " في مبحث الغايات والمؤيد

شرعا " انّ الخلقة والوجود لاتستند الى عبث وجزاف وانّ كلّ ما في الوجود فلغاية ما حتّى الطبايع العديمة الشعور ، فجميع اجزاء العالم من السّماء وما فيها و الارض وما عليها لاتعطيل في شىء منها فلينظر الانسان الى نفسه وقد خلقه الله اطوارا " فجهّزه بجهازات وادوات في غاية الاتقان والاحكام بهائتم بقاءه نوعا " وشخصا " فجعل له الاغصا والقوى ظاهرة وباطنة ، فمن الظاهرة مثل اليد والرّجل والسّمع والبصر واخواتها ومن الباطنة مثل الامعاء والمرءة والكبد والكليه ونبطاسيا " والخيال وامثالها ، بها يدفع عن نفسه الم الحرق والخرق وما شبهها من الامور المولمة والمفسدة ويجلب اليه ما يلائمه و يستكمل به ، وبها يتّقوم امر تغذية ليتهيأ بذلك بدل محلّ منه من الاجزاء فيبقى بذلك شخصه ، ثم سلّط الله تعالى عليه الشهوة فاودع فيه الالتذاز بالجماع كما اودع فيه الاستلذاز بالاكل و الشّرب ونحوهما من الافعال ، فيقوده الرفث الى نساء فيتمّ بذلك امر بقاء نوعه فاما من دابة في الارض الا هو تعالى آخذ بناصيتها انه على صراط مستقيم وكلّ ذلك قد قدر الله تعالى لاجل غاية محدودة وهي بلوغ نفس الانسان الى الكمال المقصّي لها فاذا استكملت سواء كان الاستكمال في السّعادة والشّقاوة وتجردت حصل الاستغناء عن تلك الآلات والجهازات ، بل تكون

تلك الجوارح والادوات كلّاً " وبالأّ" عليها ، الاترى أنّ المشيمة محتاجا إليها لحفظ الجنين في برهه من الزّمان فاذا استكمل الجنين و قوى صارت المشيمة المحتاج اليها كلّاً " عليه ووزراً " و من هنا يتطّرق الاشكال على ماورد من توصيف الجنان ونعمها - الجسمانيّة من الحور والقصور ولحوم الطيور والثّمار والانهار ، وذلك لانّ الاعضاء والآلات وما يتربّ عليها من الافعال من التّغذّي والجماع ونحوهما انما تكون لغاية البقاء شخصاً " اونوعاً " وقد فرض أنّ الانسان يتجرّد بالموت فيمتنع عليه الفناء فله بعد الحياة الدنيويّة حياة سرمدية خالدة يمتنع تطّرق الفساد اليها ففرض عود الاعضاء والجوارح الجسمانيّة اليه في النشأة الآخرة مع كونها كلّاً " و بالأّعليه ، فرض العبث والجزاف في فعله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً " كبيراً " .

واجاب عنه بعض حفاظ الشريعة : أنّ بقاء وجود الانسان ليس الأهدا الوجود الذي يمكث برهة من الزّمان بتحوّله من طور الى طور ، وليس ذلك الأروحا " كائناً " من بدن وعلى بدن هو مجموع هذه الاجزاء المأخوذة من هذه العناصر والقوى الفعالة فيها ، ولو فرض ارتفاع هذه الامور التي نعدّها مقدمات مقصودة للبقاء لم يبق وجود ولا بقاء اعنى أنّ فرض عدمها هو فرض عدم الانسان

رأساً " لافترض عدم استمرار وجود الانسان فافهم ذلك .
فالانسان في الحقيقة هو الذي ينشعب افراداً " وياكل و يشرب
وينكح ويتصرف في كل شي بالاخذ والاعطاء يحس ويتخيّل ويعقل
ويسرويفرح ويبتهج وهكذا كل ذلك ملائم لذاته الذي هو كالمجموع
منها وبعضها مقدّمة لبعضها وهو السائر الدائر في مثل مساقاة دوريه .
فإذا نقله الله من دار الفناء الى دار البقاء وكتب عليه الخلود
والدوام أما بثواب دائم او بعقاب دائم لم يكن ذلك بابطال وجوده
وايجاد وجود باق بل باثبات وجوده بعد ما كان متغيراً " في معرض
الزوال فهولا محالة أما متنعم بنعم من سنخ نعم الدنيا لكنها
باقية او نقم ومصائب من سنخ نقم الدنيا ومصائبها وكل ذلك
منكوح او مأكول او مشروب او ملبوس او سكن او قرين او سرور او نحو ذلك
فالانسان هو الانسان وما يحتاج اليه ويستكمل به من مطالبه ومقاصده
وانما الفرق هو اختلاف الدارين بالبقاء وما يلحق به .

وهذا هو الذي يظهر من كلامه سبحانه : وما الحياة الدنيا في
الآخرة الا متاع ^١ ، فجعل نفس الحياة الدنيا متاعاً " في الآخرة يتمتع
به وهذا من ابداع البيان وباب يفتح به للمتدبر الف باب وفيه

تصديق قول رسول الله ص كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون .
 وبالجملة الحياة الدنيا وهى الوجود الدنيوى بما كسب من
 حسنة اوسية هوالذى يتمتع به فى الآخرة من حيث سعادته و
 شقائه اى ما يراه فوزا " وفلاحا " لنفسه وما يراه خيبة و خسارانا "
 فيعطى سعادته باعطاء لذائذه و يحرم من نيلها و هما نعيم الجنة
 و عذاب النار .

وبعبارة اخرى واضحة الانسان مثلا " سعادة بحسب الطبيعة
 و شقاء بحسبها و هما بقائه شخصا " ونوعا " و هما منوطتان بفعله
 الطبيعى من الاكل والشرب والنكاح و قد زينت له بلذائذ مقدمة
 و هذا بحسب الطبيعة ثم اذا اخذ الانسان فى الاستكمال واخذ فى
 الفعالية بالشعور والارادة صار نوعا " ، كماله هو الذى يختاره شعوره
 و ارادته فما لا يشعر به ولا يشاءه ليس كمالا " لهذا الموجود الشاعر المرید
 وان كان كمالا " طبيعيا " وكذا العكس كما نرى انالا نلتذ بما لا نشعر به
 وان كان من سعادة طبيعية كصحة البدن والمال والولد ، و نلتذ
 بما نشعر به من اللذائذ وان لم يطابق الخارج كالمريض المعتمد
 للصحة ونظائر ذلك فهذه اللذائذ المقدمة تصير كمالا " حقيقيا "
 لهذا الانسان وان كانت كمالات مقدمة للطبيعة فاذا بقى الله
 سبحانه هذا الانسان بقاء مخلدا " كانت سعادته هى التى يشاءها

من اللذائد ، وشقاؤها هو الذي يشاءه وسواء كانت بحسب الطبيعة
مقدّمة اولم تكن اذمن البديهي ان خير الشخص او القوة الشاعرة
المريدة هو فيما يعلم به ويشاءه ، وشره فيما يعلم به ولا يريد به ، فقد
تحصل ان سعادة الانسان ان ينال في الآخرة ما كان يريد به من لذائد
الحياة الدنيا من الاكل والشرب والنكاح وما فوق ذلك وهو الجنة وشقاؤه
ان لا ينال ذلك وهو النار قال تعالى : لهم ما يشاؤون فيها .^١

الفصل الثالث
موقف تطائر الكتب
موقف الحساب
في المواقف
موقف السقاة

في المواقف

قدورد في غير واحد من الروايات المفسرة لقوله تعالى: تعرج
الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة.^١
ان في القيامة خمسين موقفاً، فمنها، عن امالي الشيخره
عن حفص بن غياث قال: قال ابو عبدالله جعفر بن محمد عليهما
السلام: الافحسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فان في القيامة خمسين
موقفاً "كل موقف مثل الف سنة مما تعدون. ثم تلى عليه السلام
هذه الآية (في يوم كان مقداره خمسين الف سنة، وعن الكافي
مثله، وفي تفسير القمي ذيل الآية الشريفة قال: ان في القيامة
خمسين موقفاً " لكل موقف الف سنة، و روى عن ابن مسعودانه
قال: كنت جالسا عند اميرالمؤمنين عليه السلام فقال: ان
في القيامة خمسين موقفاً " كل موقف الف سنة.

وفي كثير من الاخبار أنّ قيام الساعة يوم الجمعة: فمنها ما عن رسول الله ص: ما من ملك مقرب ولا اسماء ولا ارض ولا رايح ولا جبال ولا بحر ولا بحر الا وهن يشفقن من يوم الجمعة ان تقوم فيه الساعة، ومنها، عن اميرالمؤمنين ع عنه ص: تقوم الساعة يوم الجمعة بين الصلّتين: صلوة الظهر وصلوة العصر، ومنها ما عنه ص ايضا " حين سئل عن تسميته يوم الجمعة بها قال ص: هو يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود و يوم شاهد و مشهود الى غير ذلك من الروايات المذكورة في ج ٧ من البحار .

لا يقال انه لا يعقل لليوم معنى صحيح بعد فرض طي السماوات وتكوير الشمس و انتشار الكواكب وبالجملة بعد طي بساط الطبيعة وبطلان الحركات، يبطل الزمان واليوم والشهر و نحوهما .

فانه يقال: انا قد نبهناك مرارا " على ان كل شئ موجود في الطبيعة قد تنزل باذن الله تعالى من خزائن الغيب وهو قوله تعالى: ان من شئى الا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم ، فمن الاشياء المنزلة من تلك الخزائن هما الازمان والايام فلها وجود في مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو بما يناسب ذلك الموطن

من اللّآ محدوديه، فاذا نزل وجودها الى الطبيعة يتقدّر بقدر معلوم فتقدير وقوع قيام السّاعه في يوم الجمعة انما هو بحسب وجود الذي لو فرض نزوله من المفاتيح والخزائن يكون يوم الجمعة فافهم .

روى في مجمع البيان عن ابي سعيد الخدرى انه قال: قيل لرسول اللّٰه ص: ما طول هذا اليوم - يعنى القيامه فقال ص: والذى نفس محمد بيده انه ليخفف على الموءمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا^١.

اقول: انى قد تتبعت الآثار للوقوف على اثر وخبر مروى عن النّبى ص وآله ع في طريقنا في بيان ترتيب المواقف كلّها فلم نعثر عليه ورايت خبر اطويلا " في بعض كتب القوم مرويا عن اميرالمؤمنين عليه السلام في ترتيب المواقف وبيان مايجرى في كلّ موقف، وحيث لم نجد له سندا " يعتنى به تركنا نقله. ونحن نذكر من المواقف ما هو اهمّ فمنها موقف الحشر والمعرض قال تعالى: ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشر ناهم فلم نغادر منهم احدا " و عرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة^٢

وقال عزوجل: يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية^١ الى غيرها من الآيات ، والذي ينبغي للباحث في هذا المقام هو التأمل الصادق فيما ورد في الكتاب والسنة من حشر الناس على اصناف مختلفه و هيئات متشتتة.

فمن الكتاب قوله تعالى: يوم ينفخ في الصور و نحشر المجرمين يومئذ زرقا^٢، فالظاهر المراد من الزرقة هو العمى، فان من ذهب نور عينه يكون ارزق فينطبق على قوله: من اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى^٣.
وقوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما^٤ وصما^٥، وقوله تعالى: يوم نحشر المتقين الى الرحمن و فدا^٥ و نسوق المجرمين الى جهنم وردا^٦، و قوله: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه^٧ وقوله عزاسمه: الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم^٨، و قوله: ولوترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم، وقوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سراييلهم من قطران وتغشى وجوههم النار^٩. وغيرها من الايات

١- الحاقّة ١٨	٢- طه ١٥٢	٣- طه ١٢٤-١٢٣
٤- الاسرى ٩٧	٥- مريم ٨٦-٨٥	٦- آل عمران ١٥٦
٧- الفرقان ٣٤	٨- السجدة ١٢٥	٩- ابراهيم ٤٩

وأما السنة فكثيرة جداً " منها - و هو الأكثر - ما هو مذكور
 في الاخبار المعراجية ومنها ، في الكافي عن الصادق ع يقول
 أنّ المتكبرين يجعلون في صور الذر يتوطؤهم الناس حتى يفرغ
 الله تعالى من الحساب ، و مثله المروي عن ثواب الاعمال ص
 ٢١٦ في البحار واليك شطرا " من ارقام الاخبار ٨١ - ٨٢ - ٨٣
 ص ٢٥٦ وخبر ١١٩ ص ٢١٣ وارقام ٢٥ الى ١٣٥ في ص ٢١٧
 و ٢١٨ في ج ٧ من البحار .

ومنها مارواه في مجمع البيان وكذا في جامع القرطبي عن
 معاذ بن جبل انه قال : قلت : يا رسول الله اراءيت قول الله تعالى :
 يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا " ، فقال النبي ص : يا معاذ
 سئلت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه باكيا " ثم قال يحشر عشرة
 اصناف من امتي اشتاتا " قد ميزهم الله من المسلمين وبدل صور
 هم ، بعضهم على صورة القردة و بعضهم على صورة الخنازير ،
 وبعضهم منكوسون ارجلهم من فوق وجوههم من تحت ثم يسحبون
 عليها ، وبعضهم عمى يترددون ، و بعضهم صم بكم لا يعقلون ، و
 بعضهم يمضغون السننهم فيسيل القيح من افواههم فيقدر هم
 اهل الجمع ، وبعضهم مقطعة ايديهم و ارجلهم ، وبعضهم مصلبون
 على جذوع من نار ، وبعضهم اشد نتنا " من الجيف وبعضهم

يلبسون جباباً " سابغة من قطران لازقة بجلودهم :
 فأما الذين على صورة القردة فالقنات من الناس ، وأما الذين
 على صورة الخنازير فاهل السحت ، وأما المنكوسون على رؤوسهم
 فاكلة الربا ، والعمى الجائرون في الحكم ، والصم البكم المعجبون
 باعمالهم ، والذين يمضغون بالسنتهم فالعلماء والقضات الذين
 خالف اعمالهم اقوالهم ، والمقطعة ايديهم وارجلهم الذين يوذون
 الجيران ، والمصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى
 السلطان ، والذين هم اشد تننا " من الجيف فالذين يتمتعون -
 بالشهوات واللذات و يمنعون حق الله في اموالهم ، والذين
 يلبسون الجباب فاهل الفخر والخيلاء^١

واعلم انه قد ثبت في محله ان النفس الانسانية في اول
 حدوثها امر بالقوة وكذا البدن وهما معا " يخرجان باذن الله من
 القوة الى الفعل ، فما من نفس الا وهي تخرج من القوة الى الفعل
 ان ساعدها الشروط والمعدات في مدتها حياتها الدنيوية ولها بحسب
 الاعمال حسنة كانت او سيئة ضرب من الفعلية والتحصيل في جانبي
 السعادة والشقاوة ، فان القول والفعل وان كان وجودهما مادام في
 اكوان الحركات لاحظ له من البقاء والثبات ولكن من عمل عملا "
 اوتكلم بقول ينعكس منه اثر في نفسه له ثبات ما فاذا تكررت

الاقاويل والافاعيل استحكمت الآثار والحالات المنعكسة فصارت ملكات وصوراً " راسخة، فإنَّ الاشتداد في الكيفيّة يؤدّي الى حصول صورة جوهرية كالحرارة الضعيفة في الفم اذا اشتدت فيه تعدّه لفيضان صورة جوهرية نارية من الجواد المطلق وكذلك الكيفيّة النفسانية اذا اشتدت تعدّها لفيضان الصورة الجوهرية التي هي مبداء آثار مختصة، ومن هذا الطريق تحدث ملكة الصناعات العلمية والعملية فاذا اشتدت الهيئات الرديئة مثل الحسد والمكرو الشهوه والافتراس وغيرها في النفس وترسخت فيها يتنوع الانسان بها في الحقيقة، وقد قرّر ايضاً " انّ لكلّ خلق من الاخلاق المذمومة بدناً " يخصه فشاكلة كلّ انسان تقتضى بدناً " مشاكلاً لها وقد افصح كتاب الله تعالى عن ارتباط ثابت بين الشاكلة والعمل بقوله: (قل كلّ يعمل على شاكلته^١) الشاكلة كما في المفردات ماءً خوذ من الشكل وهو تقييد الدابة ويسمى ما تقيده شكالا " و بمعنى السجية والطريقة فكما ان بين الشاكلة وبين العمل ارتباطاً " ثابتاً " فكذلك بينها وبين نوع تركيب البنية الانسانية رابطة خاصة فمن الامزجة ما يسرع اليه الغضب وحب الانتقام ومنها، ما تغلى و

تفور فيه شهوة الطعام او السّفاذ وهكذا ، فليس يتساوى عمل الشجاع والباسل والجبان الفاشل اذا حضرا موقفا " هائلا " ، ولا عمل الجواد الكريم ، والبخيل اللّئيم في مورد الانفاق ، فكذلك تختلف هيئات ابدانهم حسب اختلاف السّجايا والملكات بل ربما يقال أنّ تفاوت الاحوال الحاصلة لبدن الانسان واعضائه الطرفية وتغيّر شكلها المرغوب فيه الى الشكل المهروب عنه في مدارج العمر تابع لتفاوت يقع في احوال النّفس وقواها لانّ المبدأ الحافظ للمزاج والمُشكّل للاعضاء هو النفس ومنشاء كلال البدن وفتور آلاته وقواه تغيّر طراوته انصراف النّفس الى عالمها عن تدبيرها وفي ذلك حكمة كون الموت طبيعيا " .

وبين ايضا " في الحكمة الالهية انّ الوجود كلما " كان ابسط وعن فيود المادة اجراء كان اشتماله على الكثرات اجمع ، وحيطته على المتضادات اتمّ فالمتفرقات في عالم الزّمان مجتمعات في عالم الدّهر والمتضادات في وعاء الخارج متلائمات في وعاء الدّهن والمختلفات في النشأة الاولى متفقات في النشأة الآخرة كلّ ذلك لبساطة الوجود واوسعية الوعي وقربها من عالم الوحدة القهارية المحيطة القيومة على كلّ شيء .

قال شيخنا سيّد الفقهاء العظام ذوالسيادتين امام الامة

مولانا الخميني مدّ ظله في شرح دعاء السحر . سمعت من احد
 المشايخ من ارباب المعرفة يقول . انّ في الجنّة شربة من الماء^١
 فيها كل اللذات^٢ من المسفوعات لفنونها من انواع الموسيقى
 والالحان المختلفة ومن المبصرات باجمعها من اقسام لذات
 الالوان والحسان وسائر الاشكال والالوان ومن ساير الحواس
 على ذلك القياس حتى الوقاعات وسائر الشهوات كلّ يمتاز عن
 الاخر ، وسمعت من احد اهل النظر رحمة الله تعالى يقول . ان

١- اقول ويشهد لهذا الاصل الخبر المروى عن مولانا الرضا عليه السلام
 عن المهروي . قلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله اخبرني عن
 الشجرة التي اكل منها دم وحوّاما كانت فقد اختلف الناس فيها ،
 فمنهم من يروى انها الحنط ومنهم من يروى انها العنب ومنهم
 من يروى انها شجره الحسد فقال ع كلّ ذلك حق قلت فما معنى هذه
 الوجوه على اختلافها فقال يا ابا الصلت ان شجرة الجنّة تحمل
 انواعا " فكانت شجره الخيط وفيها عنب وليست شجرة الدنيا -

البحارج ١١ ص ١٦٤

٢- قال المعلم الاول . ان العالم الاعلى هو الحى التام الذى فيه
 جميع الاشياء لانه ابدع من المبدع الاول التام ففيه كل نفس وكل
 عقل وليس هناك فقر ولا حاجة البتة لان الاشياء التي هناك مملوءة
 غنى و حياة تغلى و تفور ، و جرى حياة تلك الاشياء انما ينبع من
 عين واحده لاكانها حرارة واحدة او ريح واحدة فقط بل كلّها كيفية
 واحدة فيها كلّ كيفية يوجد فيها كلّ طعام الاسفار ج ٣ ص ٣٤٥

مقتضى تجسم الملكات وبروزها في النشأة الآخرة، أنّ بعض الناس يحشر على صور مختلفة فيكون خنزيرا " وفارة وكلبا " الى غير ذلك في آن واحد ومعلوم أنّ ذلك لسعة الوعاء وقربه من عالم الوحدة والتجرد وتنزهها عن تزامم الطبيعة والهيولى، انتهى موضع الحاجة من كلامه روى خدفاه

اقول: قد اشرنا في بعض الابحاث الى أنّ البرهان العقلي قائم على أنّ العلية والمعلولية بنحو الكمال والنقص، وأنّ النقصان من لوازم المعلولية وأنّ النشأة الدنيا مسبوقه الوجود بنشآت آخر فيستنتج من هذه الاصول أنّ الكمالات المتحققة في هذه النشأة السافلة متحققة في النشآت العالية بنحو أنّ معرفة عملازمها النقص والفقد اللّازمين للمعلولية.

مثلا " من كمالات هذه النشأة هو الالتذاذ بالطعام والشراب فأول نقصان هذا الالتذاذ انه وقتى غير دائم الوجود ومع ذلك محفوف بالوف من الآفات والعاهات والتكالبات والتّهارشات التي يكفى واحد منها في تنغيص المعيشة وتميرها، وحيث اقيم البرهان على أنّ هذه الكدورات من لوازم المادة ففيما لامادة له لاشى من تلك الممرات والمكدرات فلذاذ تلك النشأة المعرّة عن المادة لذائد مثالية وآياك ان تتخيل من المثال أنّ تلك اللذائد و همية سرايبية

كما رهباً يحسب ذلك الجاهل بمقاصد اصحاب البرهان فيفتري على اولياء الحكمة وحفاظ الشريعة وذلك بما نسوا يوم الحساب .
ثم انّ عالم المثال كان مقدارياً فهو محدود بالحدود المقدارية وتلك الحدود والقيود من لوازم المثال فهذا ايضا " نوع نقصان لا ينفك من عالم المثال فيكون التذاذ البصر في هذا العالم محدود منحا عن لذائذ ساير الحواسّ فلكلّ واحدة منها محلّ لاتتعداه نعم تشترك الكلّ في أنّها عارية عن قمرات الطبيعة و مكدرات المادّة، واما العالم العقلي ففيه توجد تلك اللذائذ على نهج البساطة والجمعيّة، هذاكله في جانب السعادة وعلى هذا القياس تكون الآلام والعقوبات في جانب الشقاوة بل لا يستحيل هناك وجود صور غير متناهية اذلات جرى فيه براهين امتناع الامور غير المتناهية .

ان قلت انّ ما قررت من قيام البرهان على كميّة اختلاف صورالناس في المحشر ، ثم على مسئلة اللذائذ والآلام ربّما لا يساعده الاصول العقليّة حيث انّ لازم سيرورة الملكات صورا " جوهرية منوّعة هو خلودالعذاب مع انّ العذاب انما يكون عذابا " اذالم يلايم الطبع فيكون قسرا " ، ومن المبرهن عليه انّ القسر لا يدوم فيستننتج منه انّالعذاب يمتنع دوامه فلا بدوان ينقطع ،

وايضا " هذا - اي خلودالعذاب ينافي رحمة الله الواسعة لكل شئى وهو القائل عزاسمه: عذابي اصيب من اشاء ورحمتي وسعت كل شئى (١) وقد قيل: وجدنا في نفوسنا ممن جبل على رحمة لوحكمه الله تعالى في خلقه لازال صفة العذاب عن العالم والله سبحانه قد اعطاه مثل هذه الصفة الرحمانية ومعطي الكمال احق به وصاحب هذه الصفة انا وامثالي ونحن مخلوقون اصحاب اهواء فما ظنك بارحم الراحمين اذا كان شفيعا " للمذنبين وقد ورد في بعض الآثار: ان آخر من يشفع هو ارحم الراحمين ، لايسئل عما يفعل وهم يسئلون .

قلت : ان مسئلة خلود عذاب الكفار والمشركين من منصوصات الكتاب والواصحات الاخبار الصادرة عن النبي وعترته صلوات الله عليه وعليهم وقد نطق الشرع الاطهر في خصوصيات عذابهم بما لا مطمع للبرهان المعقلى الى نيئه ، فان من شروط مقدمات البرهان كليتها و هي لاتنتج الجزئية والخصوصية ، فلا سبيل الى الاشراف على الخصوصية الا من طريق الوحي صلوات الله على اصحابه .

واما طريق البرهان المعقلى فقد علمت انه يوءدى اجمالا الى ان الهيات الرديئة اذا رسخت في النفس صارت صورة جوهرية/نوعية

ومن البديهي أنّها تتجرد عن المادة الهيولانية بالموت فلا سبيل للفساد اليها فيصدر منها بهذه الصورة الراسخة الطارة عليها بالطبع جميع ما كان يصدر عنها بالقسر قبل الرّسوخ، مثلاً " اذا فرضنا انساناً منغمراً " في الشّهوات الحيوانية مثل السفاد والاكل والشرب حتى تمكنت فيه الصورة البهيمية الخنزيرية فصار انساناً خنزيرياً " يصدر منه بهذه الصورة الجديدة افعال الخنزير بالطبع من غير قسر ولكنّه مع ذلك معذب بها ، لأنّ المفروض أنّه مفطور على حبّ الكمال المطلق وبغض لنقصان ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، الا ترى ان المبتلى بمرض الكابوس والماليخوليا الدائم لا يزال يصدر عن متخيلته العليّة ، صور هائله ومناظر موءّسه مّمة يعذب بها و هو نفسه مصدر لتلك الصّور من غير قسر ، ولعلك رايت المسترسم حين ما لقت اليه قوته المتخيلة الموءّفة صوراً " مولمة مثل احتراق داره وهلاكة عزّته وهتك نوااميسه وغارة امواله كيف ينادى بالويل والعويل فهو معذب بتلك الصّور الصادرة من نفسه من غير قسر قاسر ، وهذا مع كونه ليس قسراً " حتى يقال انّ القسر لا يدوم ، لا ينافي رحمة الله الواسعة لأنّ معنى رحمة الواسعة العامّة هي الافاضة والاعطاء لكلّ شيىء حسب استعدادده ، فصوره الشقاء اللازم تستعدّ لان يفاض عليها ما هو نكال وعذاب اليم فهده هي الرحمة الرحمانية التي وسعت كلّ شيىء في

صراط التّكوين كما أنّ معنى رحمة الرحيمية الخاصّة هي اعطاء ما يستحقّه الانسان ويستعدّله في صراط التوحيد والقرب من اسماء اللّطف وهذا هو المستفاد من قوله عزّاسمه: من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثمّ جعلنا له جهنّم يصليها مذموماً "مدحوراً"، ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها فأولئك كان سعيهم مشكوراً".

كلاًّ "نمدّ هولاء و هولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً" (١) حيث جعل العذاب والشّكر من الامداد الناشى من عطاء الربّ تعالى .

وأما قول القائل وجد نافي نفوسنا ممن جبل... ففي غاية الوهن والغثاثة حيث قاس رحمة الله العامّة بمعنى الافاضة والاعطاء في نظام الكون والوجود بالرحمة الموجودة في نفس الانسان، الّتي بمعنى الحنان والاشفاق النّاشى من التّأثر القلبي وهذا المعنى كما تعلم يستلزم المادّة المنفصلة تعالى عن ذلك علّوا "كبيراً" فافهم .

« موقف تطائر الكتب »

« موقف تطائر الكتب »

ومن المواقف موقف تطائر الكتب وايتائها قال تعالى :
كَلَّ انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرجه يوم القيامة كتاباً -
يلقيه منشورا " اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " (١)
واعلم انّ الانسان في الحياة الدنّيا قد احيط بامور من
مواليد الطبيعة مثل الزمان والمكان والاكل والشرب والنكاح و
اللبّاس والتكلم القائم بآلات والطيران بالاجنحة ونحوها - هي
كالاغلال لفهمه وفكره، فكلمّا قرع سمعه بشى من تلك الالفاظ
اسبق منها الى فهمه ما هو المأنوس من مصاديقها وحملها على
المصاديق المادّية لاغير، فاذا سمع مثلاً " انّ بنا " قدبنى دارا "
كذائيّة في يومين انسبق من لفظة - يوم - الى ذهنه ما هو المصادق
المعهودله، فلو اخبره مخبر بانّ في الوجود مصادقا " لليوم هو

كالف سنة مائة تعدون او مقدار خمسون الف سنة ينبوطبعه لعدم انطباق ذلك على ما هو المعروف الماء نوس له وقد قال تعالى 'تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة (١) ومن اصدق من الله حديثا' ..

وتلك شئنة ضربت عليها طباع اهل الجحد والعناد فافصح عنها القرآن الكريم في غير موضع مثل قوله تعالى وما ياءتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون (٢) وقوله: وبأتيتهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين (٣) و قوله: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه (٤) فان الناس اعداء ما جهلوا . فمن فروع هذا القياس انه اذا قرع سمعه لفظ الكتاب حمله على ما هو المتعارف عنده من نقوش مسطورة على قرطاس مرقومة بالمداد المعهود مع انه لو تأمل واجال بصيرته لوجد معنى الكتاب اوسع مصداقا " فانه كما يكون بالوضع كذلك يكون بالطبع والتكوين له مصداق يقرء فيه النفسانيات المستورة عن الحواس الظاهرة وذلك مثل الرخوة والصفرة العارضتين للخائف وقد قف شعره و تريد وجهه الى غير ذلك مما هو مكتوب عليه بمداد القوى وكذا

٢ - الانبياء ٢

٤ - يونس ٣٩

١ - المعارج ٤

٣ - الشعراء ٥

الحمرة والحرارة والرعدة القائمة بوجه الغضبان واعضائه مع اصطكاك اسنانه وقد قبض يده للوكز الى غيرها ممّا سطر عليه بمداد غليان الدّم بقلم الانتقام المتحرّك باصابع الرباطات والاوراق مع دخل مالبعض المبادئ النفسيّة في تداعي العادات المفيدة والاحساسات المتشابهة.

فلوعرج بفكر مفتشاً " عن حقيقة الكتاب و هو ممّن آمن بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لوجد الكتاب مصداقاً " منّها " عن اكدار الطبيعة مثل قوله تعالى ' اولئك كتب في قلوبهم الايمان (١) و قوله لارطب و لا يابس ا لآفي كتاب مبين (٢) و قوله كلّ شي احصيناه في امام مبين (٣) و قوله وانه في آم الكتاب لدنيا لعلّي حكيم .^٤

فقولم آم الكتاب - ظاهر في انه كتاب هو اصل و مصدر لجميع ما في العوالم من الموجودات ونسبته اليها نسبه الأمّ و الاصل الى الفروع والاعصان والاوراق ، وبالتدبر فيما ذكرنا يتبين لهانّ البيانات الالهية امثال للمعارف الحقّة وانّ الافهام ربّما لا تنالها الاّ بهذا النهج كما صرح به القرآن المجيد : مثل الجنة

٢ - الانعام ٥٩

١ - المجادله ٢٢

٤ - الزخرف ٤

٣ - يس ١٢

التّي وعدالمتّقون (١) ولاسيّما قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى
لهم من قرّة اعين (٢)

فمن مصاديق الكتاب صحيفة العمل المذكورة في قوله
تعالى: كلّ انسان الزمانه طائرّه في عنقه الى قوله كتاباً "يلقاه
منشورا" (٣): الطائر هو العمل الذي يتخيّل الانسان انه طار و
افلت عنه خيرا " كان اوشراً " فنبّه الله تعالى على لزوم كلّ
عمل من قول اوفعل اوخير وشرّ لعامله بالزام الله تعالى، فكّل
عامل مضروب عليه عمله ايّما كان فهو يلازمه ولا يفارقه وهو الذي
سيخرجه الله يوم القيامة كتابا " منشورا " يلقاه العامل ويؤمر
بقرائته بقوله - اقرء كتابك - وان الحسيب عليه هونفسه و هي
الكافية حسيبا " فعند تذييرى ما كسب واكتسبت يداه في الدنيا معاينة
فيقول: يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها (٤)
ثم انه عزّوجلّ قسّم ايتاء الكتب وصحائف الاعمال بقوله:
فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاء ماقروه كتابيه (٥) الى قوله
واما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه (٦)

٢ - السّجدة ١٧

١ - محمّد ١٥

٤ - الكهف ٤٩

٣ - الاسراء ١٣

٦ - الحاقّة ٢٥

٥ - الحاقّة ١٩

والظَّاهِرَانِ الْمَرَادُ بِالْيَمِينِ وَالشَّمَالِ جِهَتَا الْبِرْكَةِ وَالسَّعَادَةِ وَ
 الْمَشَاءِ مَقُولِ الشَّقَاوَةِ كَمَا يَشْهَدُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ: فَاصْحَابُ
 الْمَيْمَنَةِ مَا اصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَاصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا اصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ
 ثُمَّ قَالَ: وَاصْحَابُ الْيَمِينِ مَا اصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ
 إِلَى أَنْ قَالَ - وَاصْحَابُ الشَّمَالِ مَا اصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ
 وَحَمِيمٍ حَيْثُ وَضِعَ مَوْضِعَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمَشْأَمَةِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ .
 ثُمَّ أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: يَوْمَ نَدْعُوكَ أَنْاسَ بَأْمَامِهِمْ
 فَمَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا " (١) .
 فَيَسْتَضْهِرُ مِنْهُ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ وَأَنْاسٍ يَدْعُوهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِوَأَسْطَةِ
 أَمَامِهِمْ فِي ذَلِكَ الْمَشْهَدِ الرَّهِيْبِ ، فَصَنَفَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ صَحَافَتَهُمْ
 بِأَيْمَانِهِمْ أَوْ بِوَأَسْطَةِ جِهَةِ يَمَانِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ وَهُوَ الْأَمَامُ الْحَقُّ ، وَصَنَفَ
 مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ صَحَفَهُمْ بِشَمَائِلِهِمْ أَوْ بِوَأَسْطَةِ مَنْ هُوَ جِهَةٌ شَوْءٌ مِنْهُمْ
 وَشَقَائِهِمْ وَهُوَ الْأَمَامُ الْبَاطِلُ فَهَوْلَاءُ هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ :
 وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا " (٢) .
 وَذَلِكَ لِمَا تَبَيَّنَ مِنَ الْآيَاتِ أَنَّ كَلًّا " مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ

١ - الإسراء ٧١

٢ - الانشقاق ١١

يدعون بامامهم يوم القيامة ويوء تون كتبهم بواسطتهم فثبت بذلك ان المراد باليمين والشمال في قوله تعالى : كتابه بيمينه وشماله في سورة الحاقة هما جهتا السعادة والشقاوة .

فائمتهم يقدمونهم يوم القيامة الا ان اصحاب الشقاء وجوههم منكوسة مردودة الى اديبارها فياخذون كتابهم من وراء ظهورهم والى ذلك يوءمى قوله تعالى : اذا المجرمون ناكسوا رؤسهم (١) وقوله يا ايها الذين اتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا " لما معكم من قبل ان نطمس وجوها " على اديبارها (٢)

واما امام اصحاب السعادة فهو النور الذي يسعى بين ايديهم وبايمانهم كما ورد في الخبر المروى عن مولانا باقر العلوم ع في تفسير قوله تعالى : يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم قال عليه السلام ائمة المؤمنون يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبايمانهم حتى ينزلوهم منازل اهل الجنة (٣)

ثم انه يظهر من القرآن الكريم ان هذه الكتب وصحف الاعمال

٢ - النساء ٤٧

١ - السجدة ١٢

٣ - نور الثقلين ج ٥ ص ٢٤٥

انما هي نسخ جزئية مستنسخة من نسخة اصلية كلية محيطه بجميعها وهو قوله تعالى: وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعلمون ، هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (١) حيث بين تعالى بان ما عملوا من خيرا وشركا مستنسخا " من اصل آخر بواسطة العمال والكتاب الحفظة والظاهر ان هذا الاصل هو الكتاب المبين الذي فيه احصاء كل شئ و مرجع الجميع هوام الكتاب ومن هذا يتبين ان للعمل قوسى النزول والصعود .

ففى تفسير القمى فى ذيل قوله تعالى - ن والقلم قال: فحدثني ابي عن ابن ابي عمير عن عبدالرحيم القصير عن ابي عبدالله قال سئل عن - ن والقلم - قال عليه السلام: ان الله خلق القلم من شجرة فى الجنة يقال لها الخلدثم قال لنهر فى الجنة كمدادا " فجمد النهر فكان اشد بياضا " من الثلج واحلى من الشهد .

قال للقلم اكتب ، قال رب وما اكتب قال اكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة فكتب القلم فى رق اشد بياضا " من الفضة واصفى من

الپاقوت ثم طواه فجعله في ركن العرش ثم ختم على فم القلم فلم ينطق بعد ولا ينطق ابدا " ، فهو الكتاب المكنون - المكتوب - الذي منه النسخ كلها اولستم عربا " فكيف لاتعرفون معنى الكلام واحد كم يقول لصاحبه : نسخ ذلك الكتاب اوليس ينسخ من كتاب آخر - اخذ - من الاصل وهو قوله : انما نستنسخ ما كنتم تعملون .

وفي تفسير نور الثقلين بعد ذكر الملكين الموكلين على العبد قال : وفي رواية انهما اذا ارادا النزول صباحا " ومساء " ينسخ لها اسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ فيعطيها ذلك فاذا صعدا صباحا " ومساء " بديوان العبد قابله اسرافيل بالنسخ التي انتسخ لهما حتى يظهرانه كان كما نسخ منه (١)

وهناك اخبار آخر صريحة في قوسى النزول والصعود للعمل كما استفدنا من نفس الكتاب ، وهذا هو الذى يقتضيه البرهان فوجود الاعمال يطلع من مطلع الغيب الى الشهادة ثم يغرب منها فى مغربها و مغيبها .

ثم لاريب فى ان الاعمال فى مرحلة النزول ظاهرة غير متطلخه باقذار العصيان لانها من عطاء ربك وانما يتكدر منها ما يتكدر و

يطبع بطابع المعصية بسوء اختيار العبد فهو اولى بسيّاته كما أنّه تعالى اولى بحسناته منه، وقد استفاضت الاخبار بذلك.

فمنها ما عن البنزطي عن مولانا الرضا عليه السلام قال: قال الله تعالى يا بن آدم بمشييتي كنت انت الذي تشاء وبنعمتي اديت اليّ فرائضي وبقدرتي قويت على معصيتي خلقناك سميعا بصيرا "انا اولى بحسناتك منك وانت اولى بسيئاتك منّي، لاني لاسئل عما فعلوهم يسئلون وقد نظمت جميع ماسألت عنه (١)

واعلم أنّ قوله سبحانه " طائفة في عنقه " ربّما يظهر منه بالتاء مل والتدبير معنى لطيف في باب المجازاة واظن ان تعبير " تطائر الكتب " الواقع في بعض ادعية تلقين المحتضر والميت و كذا في بعض كتب الاعتقادية ماء خوذ من الآية الكريمة، ولم نجد هذا التعبير مصّرحا " في رواياتنا، وان كان معناه استفادا " منها ومن الآيات الكثيره حيث تدل على انّ لجزاء الاعمال نظاما " عجيبا "، وان بعض الاعمال السيئة ينقل اثم من وقع عليه العمل الي العامل كقوله تعالى: اني اريدان تبوء باثمي واثمك، فهذا كالصريح في ان اثم يطير عنه الي القاتل (٢)

وأنّ منها ما ينقل مثل سيئات الغير الى الانسان كقوله تعالى :
 ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلّونهم بغير
 علم (١) الى غيرها من الآيات الباحثة عن طيران العمل ونقله
 ولحوقه وجرت على طبقها الروايات الصادرة عن بيت الوحي -
 والعصمة على اهله الصلوات والسّلام ونحن نقتصر على واحدة
 منها فمن اراد التوسعة فليراجع الى محالّها .

روى الصدوق قدّه فى العلل عن حنان بن سدير عن ابيه عن ابي
 اسحاق الليثى قال : قلت لابي جعفر محمد بن على الباقر عليهما السلام :
 يا بن رسول الله اخبرنى عن الموء من المستبصر اذا بلغ فى المعرفة وكمل
 هل يزنى ؟ قال اللهم لا ، قلت فيلوط ؟ قال اللهم لا ، قلت فيسرق ؟
 قال اللهم لا قلت : فيشرب الخمر قال لا قلت : فيأتى بكبيرة من هذه
 الكبائر او فاحشة من هذه الفواحش قال لا قلت فيذنب ذنباً ؟ قال نعم
 وهو موء من مذنب مسلم قلت : ما معنى مسلم ؟ قال : المسلم بالذنب
 لا يلزمه ولا يصير - يعير - عليه قال فقلت سبحان الله ما اعجب هذا
 لا يزنى ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتى بكبيرة من الكبائر
 ولا فاحشة .

فقال عليه السلام لاعجب من امر الله ان الله عز وجل يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فمم عجبت يا ابراهيم؟ سل ولا تستنكف ولا تستحسر فان هذا العلم لا يتعلمه مستكبر ولا مستحسر قلت: يا بن رسول الله اني اجد من شيعتكم من يشرب ويقطع الطريق ويحيف السبيل ويزني ويلوط وياكل الربا ويرتكب الفواحش ويتهاون بالصلاة والصيام والزكاة ويقطع الرحم وياتي بالكبائر فكيف هذا؟ ولم ذاك؟!

— فقال يا ابراهيم هل يختلج في صدرك شئ غير هذا؟ قلت: نعم يا بن رسول الله اخرى اعظم من ذلك فقال وما هو يا ابا اسحق؟ قال: فقلت يا بن رسول الله واحد من اعدائكم و مناصبكم من يكثر من الصلاة ومن الصيام ويخرج الزكاة ويتابع من الحج والعمرة ويحض على الجهاد ويأثر على البر على صلة الارحام ويقضى حقوق اخوانه ويواسيهم من ماله ويتجنب شرب الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش فمم ذاك ولم ذاك؟ فسره لي يا بن رسول الله وبرهنه وبيئه فقد والله كثر فكري واسهر ليلي وضاق ذرعي.

قال فتبسم صلوات الله عليه ثم قال: يا ابراهيم خذ اليك بيانا " شافيا " فيما سالت وعلما " مكنونا " من خزائن علم الله وسره اخبرني يا ابراهيم كيف تجد اعتقادهما؟

قلت: يا بن رسول الله اجد محبيكم وشيعتكم على ما هم فيه مما وصفته من افعالهم لواعطى احدهم مما بين المشرق والمغرب ذهباً" وفضةً ان يزول عن ولايتكم ومحبتكم الى موالاة غيركم والى مجتئهم مازال ولوضربت خياشيمه بالسيف فيكم ، ولو قتل فيكم ما ارتدع و لارجع عن مجتئكم و ولايتكم .

وارى النَّاصب على ما هو عليه مما وصفته من افعالهم لواعطى ما بين المشرق والمغرب ذهباً " وفضةً ان يزول عن محبة الطواغيت و موالاتهم الى موالاتكم ما فعل ولا زال ولوضربت خيما شيمه بالسيف فيهم ولو قتل فيهم ما ارتدع ولا رجع واذا سمع احدهم منقبةً لكم وفضلاً " اشماز من ذلك و تغير لونه ورئى كراهية ذلك في وجهه بغضا " لكم ومحبة لهم .

قال فتبسم الباقر عليه السلام ثم قال: يا ابراهيم ههنا هلكت العاملة الناصبة تصلى ناراً " حامية تسقى من عين آنية ومن اجل ذلك قال عزوجل: وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً " ، ويحك يا ابراهيم اتدرى ما السبب والقصة في ذلك وما الذى خفى على الناس منه قلت: يا بن رسول الله فبيته لى واشرحه وبرهنه . قال: يا ابراهيم ان الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً " قديماً " خلق الاشياء لامن شىء ومن زعم ان الله عزوجل خلق الاشياء من

شيئى فقد كفر لانه لو كان ذلك الشئى الذى خلق منه الاشياء قديما " معه فى ازليته وهويته كان ذلك از لياً " بل خلق الله عزوجل الاشياء كلها لامن شئى فكان مما خلق الله عزوجل ارضاً طيبةً ثم فجر منها ماء عذبا " زلالاً " فعرض عليها ولايتنا اهل البيت فقبلها فاجرى عليها ذلك الماء سبعة ايام حتى طبّقها وعمّها ثم نضب ذلك الماء عنها واخذ من صفوة ذلك الطين طينا " فجعله طين الائمة عليهم السلام، ثم اخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ولوترك طينتكم يا ابراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم ونحن شيئا " واحداً .

قلت: يا بن رسول الله فمافعل بطينتنا؟ قال: اخبرك يا ابراهيم: خلق الله عزوجل بعد ذلك ارضاً " سبخة خبيثة منتنة، ثم فجر منها ماء " اجاجا " آسنا " مالحا " فعرض عليها ولايتنا اهل البيت ولم تقبلها فاجرى ذلك الماء عليها سبعة ايام حتى طبّقها وعمّها ثم نضب ذلك الماء عنها ثم اخذ من ذلك الطين فخلق منه الطفاة وائمتهم ثم مزجه بنفل طينتكم ولوترك طينتهم على حاله ولم يخرج بطينتكم لم يشهدوا الشها دتين ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكّوا ولا حجّوا ولا أدّوا امانة ولا اشبهوكم فى الصّور وليس شئى اكبر على الموء من من ان يرى صورة عدّوه مثل صورته .

قلت . يا بن رسول الله فما صنع بالطينتين؟ قال :مزج بينهما بالماء
الاول والماء الثاني ، ثم عركها عرك الاديم ثم اخذ من ذلك قبضة
فقال : هذه الى الجنة ولا بالي واخذ قبضة اخرى وقال هذه الى النار
ولا بالي ثم خلطت بينهما فوقع من سنخ الموء من وطينته على سنخ الكافر
وطينته ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المومن وطينته فمراءيته
من شيعتنا من زنا ولواط او ترك صلاة او صيام او حج او جهاد او خيانة او
كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قدمزج
فيه لان من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المآثم والفواحش
والكبائر ، ومراءيت من الناصب ومواظبته على الصلاة والصيام والزكاة
والحج والجهاد وابواب البر فهو من طينة الموء من وسنخه الذي قد
مزج فيه ، لان من سنخ المومن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات
واستعمال الخير واجتناب المآثم .

فاذا عرضت هذه الاعمال كلها على الله عز وجل قال . انا
عدل لا اجور ومنصف لا اظلم و حكم لا احييف و لاميل و لا اشطط ،
الحقوا الاعمال السئه التي اجترحها الموء من بسنخ الناصب وطينته
والحقوا الاعمال الحسنه التي اكتسبها الناصب بسنخ الموء من وطينته
ردوها كلها الى اصلها فاني انا الله لا اله الا انا عالم السراخفي وانا
المطلع على قلوب عبادي ، لا احييف ولا اظلم و لا ازم احدا الا ما

عرفته منه قبل ان خلقه .

ثم قال الباقر عليه السلام يا ابراهيم اقرء هذه الآية قلت يا
بن رسول الله آية قال : قوله تعالى : قال معاذ الله ان ناخذ
الامن و جدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون ، هوفى الظاهر ما
تفهمونه وهوفى الباطن هذا بعينه ، يا ابراهيم ان للقرآن ظاهراً
و باطناً و محكما و متشابها و ناسخا و منسوخا .

ثم قال : اخبرني يا ابراهيم عن الشمس اذا طلعت و بدا
شعاعها في البلدان اهلها من القرص ؟ قلت في حال طلوعه بائن
قال اليس اذا غابت الشمس اتصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود
اليه ؟ قلت نعم قال كذلك يعود كل شيء الى سنخه و جوهره
واصله ، فاذا كان يوم القيامة نزع الله عزوجل سنخ الناصب و
طينته مع اثقاله و اوزاره من الموء من فيلحقها كلها بالناصر ، و
ينزع سنخ الموء من و طينته مع حسانه و ابواب بره و اجتهاد من
الناصر فيلحقها بالموء من افترى ها هنا ظلماً و عدواناً قلت : لا يابن
رسول الله قال : هذا والله القضاء الفاصل و الحكم القاطع و العدل
البين لا يسأل عما يفعل و هم يسئلون هذا يا ابراهيم الحق من
ربك فلاتكن من الممترين هذا حكم الملكوت .

قلت : يابن رسول الله و ما حكم الملكوت ؟ قال حكم الله

و حكم انبيائه و قصة الخضر و موسى عليهما السلام حين استصحبه فقال: انك لن تستطيع معي صبراً و كيف تصبر على ما لم تحط به خبراً. افهم يا ابراهيم و اعقل انكر موسى على الخضر و استفظع افعاله حتى قال له الخضر يا موسى ما فعلته عن امرى انما فعلته عن امر الله عزوجل ، من هذا ويحك يا ابراهيم قرآن يتلى و اخبار توءثر عن الله عزوجل من ردمنها حرفاً فقد كفروا شرك و ردّ على الله عزوجل .

قال الليثي: فكأنني لم اعقل الآيات و انا اقراء ها اربعين سنة الا ذلك اليوم فقلت: يا بن رسول الله ما اعجب هذا توءخذ حسنات اعدائكم فتؤد على شيعتكم و توءخذ سيئات مجبيكم فتؤد على مبغضيكم ؟ قال: اى والله الذى لاله الا هو فالى الجبة و بارئى النسمة و فاطر الارض و السماء ما اخبرتك الا بالحق و ما اتيتك الا بالصدق و ما ظلمهم الله و ماله بظلام للعبيد وان ما اخبرتك لموجود فى القرآن كله، قلت هذا بعينه يوجد فى القرآن قال نعم يوجد فى اكثر من ثلاثين موضعاً فى القرآن ، اتحب ان اقراء ذلك عليك ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله فقال: قال الله عزوجل: وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم و ما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون

وليحملن اثقالهم و اثقالا مع اثقالهم . (١)

ازيدك يا ابراهيم قلت بلى يا بن رسول الله قال : ليحملوا
اوزارهم كاملة يوم القيامة من اوزار الذين يضلونهم بغير علم الاساء
مايزرون . (٢)

اتحب ان ازيدك قلت : بلى يا بن رسول الله قال : فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات و كان الله غفورا رحيماء (٣) يبدل الله
سيئات شيعتنا حسنات و يبدل الله حسنات اعدائنا سيئات .
وجلال الله ووجهه ان هذا لمن عدله وانصافه لاراد لقضائه
و لامعقب لحكمه هو السميع العليم الم ابين لك امر المزاج
والطينتين من القرآن ؟ قلت بلى يا بن رسول الله قال : اقراء يا
ابراهيم الذين يحبون كباثر الاثم والفواحش الا للهم ان ربك و
اسع المغفرة هو اعلم بكم اذا انشأكم من الارض يعنى من الارض
الطيبة والارض المنتنة

فلاتزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ، يقول لا يفتخر احدكم
بكثرة صلاته و صيامه و زكاته و نسكه لان الله عزوجل اعلم بمن
اتقى منكم فان ذلك من قبل اللهم و هو المزاج .

ازيدك يا ابراهيم؟ قلت : بلى يا بن رسول الله قال : كما
 بد نكم تعودون فريقاء هدى و فريقاء حق عليهم الضلالة انهم
 اتخذوا الشيطان اولياء من دون الله^١ : يعنى ائمة الجور دون ائمة
 الحق (ويحسبون انهم مهتدون) خذها اليك يا اباسحاق فوالله
 انه لمن غرر احاد يثنا و باطن سرائرنا و مكنون خزائنا و لاتطلع
 على سرنا احدا الا مومناً مستبصراً فانك ان اذعت سرنا بليت
 فى نفسك و مالك و اهلك و ولدك^٢ اصدق و لى الله صلوات على
 آبائه و عليه اجمعين

اقول : مضمون هذا الخبر بالغ حد التواتر المعنوى فراجع الى
 اخبار الطينة خصوصاً تعرف صدق قولنا والغرض من نقل هذا الخبر
 بطوله هو بيان حقيقة التطائر و حيث كان الخبر الشريف مبيناً
 مضمونه بآيات الكتاب فنحن فى غنى عن شرحه والاستدلال عليه
 لمن آمن بالكتاب المبين و ان كان له شرح طويل بالاصول
 الحكمية والقواعد الفنية ليس هنا موضع ذكره مع انك لو اخطت
 بما سبق من الابحاث فى البر زخ و غيره لاستطعت تطبيق تلك الا
 صول على الخبر .

ان قلت: بناء على تبديل السيئات الى الحسنات يلزم ان يكون من هواكثر سيئة اربح تجارة واحسن حالاً ولازم ذلك هوتشويق الناس وبعثهم على الاستباق الى المعاصي و السيئات و من المعلوم ان تلك المزعمة هادمة لاسس النبوة والتشريعات فتوء دى الى الرج والمرج وهلاك الحرث والنسل ولله لا يحب الفساد .

قلت : ان تبديل السيئات الى الحسنات من منصوصات الكتاب المجيد كما صرح به الخبر الشريف وبيانها بحيث يندفع الاشكال والسؤال ل يتوقف على ذكر امور .

احدها ان كل واحد من الحسنه والسيئة ليست نفس الفعل الصار من الفاعل ، المتقوم بالحركات المتصرفة لان الفعل بذاته مشترك بينهما كالوقوع فانه بنفسه قابل لان ينطبق عليها الزنا والنكاح ، بل المقوم كل واحدة منهما هو الفعل المتصف بموافقه الشارع و مخالفته بحيث يتأثر به نفس الانسان ويلزم ذلك فى عنقه و بعبارة اخرى المتحقق لعنوان السيئة هو الفعل المخالف للشرع المتأثر به الانسان والحسنة بخلافها و عليه فتكون السيئات لوازم العمل المخالف للشرع الحائقة باهلها .

ثاينها : ان ظاهر الآية الشريفة و هو قوله تعالى : الأمن تاب وآمن و عمل صالحاء فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات و كان الله غفورا رحيماً^١ فى مقام بيان تبديل السيئات الى الحسنات بحسب

الكيفية لمجبي "حسنات" على هيئة النكرة فيكون الكمية مهملة فلا اطلاق لها بالنسبة اليها ونظيره في المحسوسات انا اذا فرضنا شخصين قد ابتليافي جسمهما بامراض نتنة متعفنة لكن كمية مرض احدهما - اكثر من كمية مرض الآخر فعالجهما الطبيب الحاذق باذن الله فقلنا ان الله سبحانه بدل عفواتهما بيدالطبيب الى الطراوات فليس المراد ان من كان اشدتنا "فهو اكثر طراوة بل المراد تبديل منايتنهما الى المعاطير ، والحاصل ان المنساق من الآيه هوالتبديل في الكيفية فلانظر لها الى الكمية فافهم

ثالثها . ان التبديل قد اشترط في الآيه بامور ثلاثة . هي التوبه والايان والعمل الصالح فمن اكتمل تلك الشروط الثلاثة يجرى في حقه التبديل ومن فقدها او احدها فلا تبديل في حقه على ما يعطيه الا شراط . اذا عرفت تلك الامور فاعلم ان لكل واحد من شروط التبديل حدودا مقررّة في محلّها وقد قرّر سبحانه تعالى حدود التوبه : انما التوبه على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما .^١

و حاصله أنّ الله يقبل التوبة عن عامل سوء بجهالة أي لهوى
نفساني وداعية شهوة و غضب ثم ندم عليه بعد زوال تلك الدواعي
وآالذين يعملون السيئات عن استخفاف بالله وآياته و عن لجاج
و عناد فليست التوبة لهم وهو قول تعالى : وليست التوبة للذين
السيئات حتى إذا حضرا حدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين
يموتون وهم كفار .^١

ومن المعلوم ضرورة أنّ من يتخذ التوبة اوالا نتساب الى اولياء
الله تعالى ذريعة الى السيئات فقد استخف بآيات الله واتخذها
هزواً الله يستهزى بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، فالشرط
الاول من شروط التبدل هو التوبة في حق هؤلاء المستخفين بآيات
الله مفقود فهم محرومون عن التوبة باستخفافهم واستهزائهم بالآيات
الالهية فانّي يكون التبدل في حقهم هذا كله بالنسبة الى الشرط الاول
و اما الشرطان الآخران فليطلب حدودهما في محلها فان الطالب
يجدهما مفقودين في حقهم ايضا فتدبر .

وفي خبر آخر عن مولانا الباقر عليه السلام قال : انه اذا كان يوم
القيامة وحاسب الله عبده المؤمن من اوقفه على ذنوبه ذنبا " ذنبا " ، ثم

غفرهاله لايطّلع على ذلك ملكاً مقرباً و ولا نبياً " مرسلألى ان قال عليه السلام : ويستر عليه من ذنوبه مايكرهان يوقفه عليهاقال : و يقول لسيّاته :كوني حسنات قال وذلك قول الله تبارك وتعالى : اولئك يبدّل الله سيّاتهم حسنات وكان الله غفوراً " رحيماً " (١)

وفى خبر آخر عنه عليه السلام : انه تعالى يعرّفه ذنوبه حتى اذا اقرب سيّاته قال الله عزوجل للكتبة : بدّلوا حسنات واظهروها للناس .

اقول : تبديل السيّئة قديتصور على طريق الغفران والستر وذلك يتحقّق بنحوين : اما بالمحو والاعدام ومرجه الى الرحمة التي وسعت كلّ شيء ، وهي التي سبقت الغصب الذي هو العارضي ، والعارضي بقائه بالفاعل والقابل ، والمفروض ان الفاعل ذو رحمة والسعة ، واما القابل فبرجوعه وتوبته الى ستار العيوب وغفّار الذنوب ، بطل قابليته للغصب فلا يبقى السيّئة سيّئة ولكن لم يّسدّمسّها شبي .

وامّا بالتبديل الى الحسنة وهو تبديل الحقيقي الذي اشار اليه الباقر عليه السلام "كوني حسنات" ، فبيانه في غايه الصعوبة

الابنحوالتمثيل ، فان الذهب المستكنه في النحاس اذاور دعليها
اكسير ارباب الصنعة يتبدل النحاس ذهباً " ويخرج الذهب المكنون
من الكمون الى البروز، و كذلك اذاورد اكسير عناية الله تعالى
على السيئات يبدلها حسنات ، فيجعل القبيح حسناً " والحسن
احسن فيصير التمرة كاحد ويوجر من اتى بمعصية اجر من اتى مقابلها
من الحسنات فالقتل بالاحياء والغصب بالصدقه والتبويت بمالا
يرضى من القول بتهجد نوافل الليل وقس على ذلك والله تعالى هو
لاعلم بحقائق الامور .

ثم انه قوله تعالى : وكنتم ازواجاً " ثلاثة فاصحاب الميمنة ما
اصحاب الميمنة واصحاب المشاءمة ما اصحاب المشامة والسابقون
السابقون ، صريح في تثليث الناس يوم القيامة ولكن في موقف ايتاء
الكتب ذكر الزوجين الاولين وهما اصحاب اليمين واصحاب الشمال
فستظهر من ان السابقين المقربين هم المخلصون المستثنون عن حكم
الصعقة والفرع والاحضار على ما استظهرناه عند البحث عن نفخ
الصور من انهم عليهم السلام بفنائهم في الله ، لا يرون الخلق و
لا بليس لعنه الله فلا ينالهم وسوسته ولا اغوائه واذلاله فلا يشملهم
حكم المواقف فافهم .

«موقف الحساب»

« موقف الحساب »

ومن المواقف موقف الحساب قال الله تعالى: فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا" وينقلب الى اهله مسرورا" (١)

قال في المفردات "الحساب استعمال العدد" يعنى استعمال العدد لتبيين ما هو المجهول وكشفه جمعا "وتفريقا"، ضربا "وتقسима" او غيرها، مثلا "اذا اردنا ان نعلم عدد ركعات الصلّات التي صلّاها زيد في ثلاثين سنة وضعنا عدد ٣٥ مضروبا" في ٣٦٥ وهي ايام السنة ثمّ الحاصل منه في ١٧ ركعة وهي عدد ركعات الفرائض اليومية، فالحاصل منه هي عدد الركعات المطلوب فالحساب في متفاهم العرف هي اعمال القواعد العددية للكشف المطلوب المجهول نظير تحصيل المجهول التصوري والتّصديقي باستعمال الحدود

والقياسات ومن البديهي أنّ هذا العمل ليس له شأن إلاّ الطريفة والكشف عن المجهول لايجاد الواقع ، فالواقع واقع على ما هو عليه وموجود في ظرفه سواء قام عليه طريق ام لا ، فالطرق الحسابية و اعمال القواعد العددية ليست من علل وجود الواقع ، ومن هذا يتبين أنّ الحساب بهذا المعنى انما يتطرق في ظرف غيبوته الواقع ، والجهل به ، واما بالنسبة الى من عنده مفاتيح الغيب وخزائن الاشياء فغير معقول فانه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ، وكلّ موجود ، حضوره لله تعالى اقوى من حضوره لنفسه كما قرّفى محله ، فمعنى محاسبة الله تعالى للعباد هو عرض الواقع المحفوظ عليهم بكشف الغطاء عنهم وروية العبد ما عمله من مثقال ذرة خيرا " اوشرا " قال تعالى : يومئذ يصدر الناس اثنائا " ليروا اعمالهم ففى تفسير القمى ذيل الآيه الشريفه : ليقفوا على ما فعلوه ، ونقل فى البحار أنّ الروية ها هنا المعرفة بالاعمال عند تلك الحال وهى روية القلب .

وعلى هذا التقرير فينطبق الحساب على قوله تعالى : " تبلى السّرائر " فالحساب حقيقة هو ظهور الاعمال بصور غاياتها ونتائجها ، نظير بروز الحبّ والنوى بصور السنبل والشجر المثمر يوم الحصاد ، بتقدير فالحبّ والنوى جّلّ وعلا وبالجملة فموقف الحساب موقف

الكشف عن غايات العقائد والاعمال قال عزوجل "لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (١)
 قال الغزالي في كتابه المضمون الكبير الحساب جمع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها وما من انسان الاوله اعمال متفرقة ضائعة وضارة ومقرّبة ومعدّة لاتعرف فذلكتها وقد لاتحصر آحاد متفرقاتها فاذا حصرت المتفرقات وجمع مبلغها كان حسابا "، فان كان في قدرة الله تعالى ان يكشف في لحظة واحدة للعالمين متفرقات اعمالهم ومبلغ آثارها فهو اسرع الحاسبين، ومعلوم ان في قدرته ذلك فاذن هو اسرع الحاسبين قطعا " وسئل اميرالمؤمنين علي بن ابيطالب كرم الله وجهه: كيف يحاسب الله الخلق في لحظة من غير تشويش ولا غلط فقال رضي الله عنه: كما يرزقهم مع سائر الحيوانات بلا تشويش ولا غلط. انتهى كلامه.

اقول: غرضنا من نقل كلامه هو التوطئة لنقل هذه الرواية اللطيفة الصادرة عن تالي النبي ص المبينة للحساب وسرعته حيث جعل الحساب كالرزق الذي هي العطية الالهية العامة التي بها يستمد كل موجود في بقائه، فما من دابة في الارض الا على الله رزقها و

يعلم مستقرها ومستودعها كل ذلك في كتاب مبين فكما لا يتطرق تشويش الى جنبه تعالى في الرزق فكذلك في الحساب فان الحساب الالهي كما عرفت ليس الاعرض الاعمال بصور غاياتها ونتائجها الاخرية، ومن المعلوم ان تلك الغايات والنتائج لا توجد بانفسها، بل هي من العطايا المفاضة منه عزوجل على بذور الاعمال فان الدنيا مزرعة الآخرة، فيرجع الحساب الى العطيّة الالهية العامة كالرزق الذي عرفت حاله وهذه الرواية في نهج الجلاغة مع اختلاف ما في التعبير وهو قوله عليه السلام بعد سئل كيف يحساب الله الخلق على كثرتهم؟ كما يرزق على كثرتهم فقيل: كيف يحاسبهم ولا يرونه فقال عليه السلام: كما يرزقهم ولا يرونه.^١

وما ذكرنا يتبين معنى قوله تعالى: اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون^٢، وقوله سبحانه: والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعه يحسبه الظمان ماء^٣ حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب^٤ فان التدبر في معنى اقترب الحساب للناس وانهم في غفلة وفي معنى توفيته يعطى ما ذكرنا فتدبر.

١ - شرح عبده ص ٢٢٦ والخامس من شرح البحراني ٣٩٥ والبحار ص

ان قلت: وعلى ما ذكرتم من معنى الحساب، فلامعنى لتحقق
السؤال والتكلم والحلف والكذب فيه وقيام الشهداء لاداء الشهادة
و وضع الموازين القسط و نحوها في ذلك اليوم مع ان الآيات
الكثيرة ناصة بوقوعها، فمنها قوله تعالى: وقفوهم انهم مسئولون^١
وقوله: يوم نحشرهم جميعا " نقول للذين اشركوا اين شركائكم
الذين كنتم تزعمون، ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين. انظر كيف كذبوا على انفسهم وضلّ عنهم ما كانوا
يفترون^٢ وقوله: يوم يبعثهم الله جميعا " فيحلفون له كما
يحلفون لكم ويحسبون انهم على شي الا انهم هم الكاذبون^٣
وقوله: يوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى
اذا ما جاؤاها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
وقالو لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل
شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون و ما كنتم تسرون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم
كثيرا " ما تعلمون^٤

٢ - الانعام ٢٤

١ - الصافات ٢٤

٤ - فصلت ٢٢ - ١٩

٣ - المجادلة ١٨

ففي تفسير القمي أنها نزلت في قوم يعرض عليهم أعمالهم فينكرونها فيقولون: ما عملنا منها شيئاً فيشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم أعمالهم فقال الصادق فيقولون لله: يارب هولاء ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً وهو قول الله: يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم إلى أن قال عليه السلام فعند ذلك يختم الله على سنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع مما حرم الله، ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرم الله وتشهد اليدان بما أخذتا وتشهد الرجلان بما سعتا مما حرم الله وتشهد الفرج بما ارتكبت مما حرم الله ثم انطق الله سنتهم فيقولون هم لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ انطقنا الله الذي والجلود: الفروج^١

ومنها قوله عز وجل: واشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون^٢ إلى غيرها من الآيات وهي كثيرة جداً والأخبار في أصناف الشهداء على الأعمال ومنهم الإزمان كما مر، متكاثرة متعاضده.

قلت: كلاً بل كلما ذكر من السؤال والتكلم والحلف الكاذب

وقيام الشهداء ووضع الموازين ونحوها ، أما من مبادئ الحساب او من محققاته ولوازمه وتوابعه و توضيح ذلك أنا قدينا في أول الكتاب أنه تكرر في القرآن العظيم رجوع الاشياء عموما " الى الله تعالى وأنه الغاية المترتبة على الخلق والايجاد وقرر سبحانه ان سير الانسان في عوده على حدوبه و رجوعه الى الله تعالى على شاكلته نزوله الا ان بين البدء والعود فرقا " ، حيث ان البدء ليس الا دارة سعادة عامة منزّهة عن الاكدار ، مطهّرة عن الاقدار ، ساكنوها في اهناء الاحوال وارعد المعاش لا يمسهم فيها نصب ولا لغوب .

وأما العود فما تيسر للانسان من الاهتداء والضلال ، ينشعب الى دارة سعادة ودار شقاء وهو قوله تعالى " كما بدتكم تعودون فريقا " هدى وفريقا " حقّ عليهم الضلالة. (١) .

ويستنتج من ذلك ان الانسان بجميع خصوصيات ذاته وصفاته وافعاله وما احتف به من لوازم وجوده و مقارناته وغيرها متعلق الهوية بمبادئه وان كان في غفلة من هذا مادام في حجاب الطبيعة ، فعند بروز الحقائق من مكامن الغيب وكشف الغطاء واجتماع كل مستفيض بمفيضه ورجوع كل شئ الى اصله وسنخه ، ينقلب الخبر

عيانا" ، فيعاین ان الشهداء علی الاعمال قائمون للاداء ، فيرون معاينة نصب الموازين القسط فعندئذ يجدون انفسهم موقوفين عند ربهم فلستؤال فلا تكلم نفس الا باذن الله تعالى ، فباذنه و سؤاله عز اسمه تبرز الملكات ، فلولا السؤل والاذن منه تعالى لامتنع بروز الملكات وظهور النتائج وترتب الغايات كما اشرنا آنفا " الى ان النتائج لاتظهر بانفسها بل بافاضته تعالى ، فهولاء المشركون والمنافقون حيث تمرنوا على الكذب والاضلال والخديعة والاحتيال في حياتهم الدنيا عند الاشراف على ورطة الموءاخذة و شفاخفرة النكال تظهر منهم تلك السريرة الكاذبة والملكة الخادعة يوم تبلى السرائر ، فيحلفون له تعالى كاذبين محتالين على حذو سنتهم في الحياة الدنيا ، نعم بين الحلفين فرق ، حيث انه كان يقع منهم في الدنيا بالاختيار ، وهنالک بالاضطرار فتبلوا كل نفس ما سلفت ولا يستطيعون ان يستترا على انفسهم كما انهم يومئذ يدعون الى السجود فلا يستطيعون هو قوله تعالى : يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون^١ ، فعدم استطاعتهم للسجود

لاستحكام ملكة الاستكبار في نفوسهم لالمنع جديد من الله تعالى فإن قوله تعالى: " وهم سالمون " يدل على أن عدم استطاعتهم للسجود إنما يكون لعدم سلامتهم وابتلاء نفوسهم بمرض الاستكبار وعاهة الاعراض عن الله تعالى .

ففي التوحيد عن زرارة عن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل: (يدعون الى السجود) قال عليه السلام: " صارت اصلا بهم كصياصى البقر يعنى قرونها " وفي العيون عن الرضا ع في قوله تعالى: (يوم يكشف عن ساق) قال عليه السلام: حجاب من نور فيقع المومن سجداً " وتدمج - اى تستقيم وتستحكم اصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود .

وبالتأمل فيما مر من معنى الحساب تبين معنى سوء الحساب و شدته ويسره وعسره ونظائرها مما نطق به الكتاب و ورد في السنة وذلك لان وقوع الحساب اذا كان هو ظهور نتائج العقائد و الاعمال فمن كان اشد اعتناقاً " بالكلم الطيب والعمل الصالح واقرب من الصراط المستقيم كان الحساب عليه ايسر .

فبحسب اختلاف مراتب التمكن والقرب من الصراط المستقيم والزلّة والبعد عنه يختلف مراتب يسر الحساب وعسره وطوله وقصره ونحوها ، فتلك المعانى انما يتحقق بالقياس الى ادراك المحاسب

لإلحاح المحاسب فلذا يكون يوم القيامة مع طول خفيها " على المؤمن من
حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبه يصلّيها في الدنيا كما مر في
الخير المروى عن المجمع ، والحاصل أنّ ثبوت تلك المعاني المختلفة
من جهة اختلاف الناس في القرب منه تعالى والبعده عنه .

«موقف الشّاعة»

موقف الشفاعة

قال في مقابيس اللّغة: (شفع) السّين والفاء والعين اصل -
صحيح يدلّ على مقارنه الشّيثيين ، ومن ذلك الشّفع خلاف الوتر ،
تقول كان فردا " فشّعه .

قال في المفردات: الشّفع ضمّ الشّبي الى مثله ، قال في معجم
الفاظ القرآن الكريم ، شفع له عند آخر: طلب ان يتجاوز عن سيّئته
كأنّه ضمّ نفسه اليه معينا " له فهو شافع و شفيع ومنه الشّفاعة
عند الله .

قال قاضي عبدالجبار في شرح الاصول الخمسة: الشّفاعة
في اصل اللّغة ماخوذة من الشّفع الذي هو نقيض الوتر فكان صاحب
الحاجة بالشفيع صار شفعا " واما في الاصطلاح فهو مسألة الغير ان
ينفع غيره او ان يدفع عنه مضرّة ولا بد من شافع ومشفوع له و مشفوع
فيه و مشفوع اليه .

اقول: ان اصل ثبوت الشّفاعة ممّا لامساغ لانكاره و قدا دعى

المتصدّون في البحث عن العقائد الاجماع والاتفاق عليه وهاك شطرا " من كلامهم في المقام .

قال المحقّق الطّوسيّ في التّجريد : والاجماع على الشّفاعه ، فقيل لزيادة المنافع ويبطل منافي حقه ص ، قال العلامة في شرحه : اتفقت العلماء على ثبوت الشّفاعه للنبي ص واختلفوا فقالت الوعيديّة أنّها عبارة عن طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب آهو يقرب منه ما في المواقف .

وقال ابن تيميّة في رسالة الشّفاعه الشرعيّة : اجمع المسلمون على أنّ النبي يشفع للخلق يوم القيامة بعد ان يسئله الناس ذلك وبعد ان ياذن الله له في الشّفاعه ثمّ انّ اهل السنّة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة ، واستفاضت به السنن من انه يشفع لاهل الكبائر من امته ويشفع ايضا " لعموم الخلق ، واما الوعيديّة من الخوارج والمعتزلة فزعموا أنّ شفاعته انما هي للمؤمنين خاصّة في رفع الدرجات ومنهم من انكر الشّفاعه مطلقا " .

ويقرب منه ما ذكره ابن خزم في كتابه (الفصل في الملل والنحل) ثمّ قال بعد كلام : وهما شفاعتان احدهما الموقف وهو

١ - انهم قائلون بانّ الذنب صغيرا " كان او كبيرا " كفر بالمذنب كافر ، والكافر مخلد في النار .

المقام المحمود الذي جاء النص به في القرآن وهكذا جاء الخبر الثابت أيضا " ، .

والشّاعة الثانيه في اخراج اهل الكبائر من النار طبقة طبقة على ما صح في ذلك الخبر ، وقال القاضي عبدالجبار في كتابه المذكور آنفاً : " لاختلاف بين الأمة في أنّ شفاعة النبي ص ثابتة للأمة ، وإنما الخلاف في أنّها تثبت لمن ؟ فعندنا أنّ الشّاعة للتائبين من المؤمنين وعند المرجئة أنّها للفاسق من اهل الصلاة . قال الرازي في تفسيره : اجمعت الأمة على أنّ لمحمد شفاعة في الآخرة ثم اختلفوا بعد هذا في أنّ الشّاعة ص لمن تكون ؟ اتكون للمؤمنين المستحقين للثواب ، ام تكون لاهل الكبائر المستحقين للعقاب ؟ فذهبت المعتزلة على أنّها للمستحقين للثواب و تأثير الشّاعة في أنّ تحصل زيادة من المنافع على قدر ما استحقوه و قال اصحابنا - يعنى الاشعرية - تأثيرها في اسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب ، اما بانّ يشفع لهم في عرصة القيامة حتى لايدخلوا النار ، وان دخلوا النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها و يدخلوا الجنة ، واتفقوا على أنّها ليست للكفار - ثم ذكرا دلة المعتزلة وانها ها الى احد عشر كلّها نقلت من الكتاب والسنة ، ثم ذكرا دلة اصحابه فانها ها الى احد عشر كلّها نقلت ايضا "

وفي الختام ذكر كلاماً "من الفلاسفة في ثبوت الشفاعة وحقيقتها^١
قال السيّد السنّد والحبر المعتمد السيّد محسن الأمين قدس سره:
شفاعة النبي ص يوم القيامة لا ينكرها الوهابية فلاحاجة الى اكثر
الادلة عليها وانما منعوا من جواز طلبها منه ص في الدنيا وان
كانت ثابتة له وقد اعطاه الله الشفاعة وهو الشفيع المشفع ، وجعلوها
شركاً " وكفراً " ومرجع شبهتهم في ذلك على ما يستفاد من مجموع
كلماتهم الى ان طلب الشفاعة من النبي ص عبادة له وكلّ عبادة
لغير الله شرك (٢) ، اقول: عمدة ادلتهم في ذلك ونحوه قوله
تعالى: فلاتد عوامع الله احداً " ٣ .

وكيف كان فاصل الشفاعة ثابتة لاتقبل الانكار للايات الكثيرة
المثبتة لها ، فمنها: قوله تعالى: من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه (٤)
ومنها قوله: يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له
قولا " ٥ و منها قوله: لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهداً " (٦) ، ومنها قوله: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة

٢ - كشف الاريتاب ٢٤٥

١ - ج ٣ ص ٦٥ - ٥٥

٤ - البقرة ٢٥٥

٣ - سبا ٢٢

٦ - مريم ٨٧

٥ - طه ١٥٩

الآمن شهد بالحقّ وهم يعلمون (١) .
ومنها قوله عزوجل : ولا تنفع (٢) الشفاعة الآلمن اذن له

١ - قبله قوله تعالى : قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرّة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . فالمراد بالذين زعمتم اماً معبوداتهم الباطلة من الاصنام والاعمم منها ومن الملائكة فامر رسول الله ص ان يقول للمشركين تحدياً "وتوبيخاً" : ادعوا هؤلاء الذين زعمتم انهم الهتهم من دون الله في قضاء حوائجكم ودفع المضار عنكم ، فاعلموا انهم لا يملكون مثقال ذرّة في السموات ولا في الارض وليس لهم مشاركة في امورهما ، و ليس لله تعالى منهم ظهير ومعين ولا تنفع هؤلاء المشركين وغيرهم الشفاعة التي تقع في موطنها الا لمن اذن الله ان يشفع له وهو الذي ارتضاه الله ديناً وقولاً " وذلك الى صدور الاذن منه عزاسمه بعد ترقب وانتظار من المشفوع لهم الذين فزعوا من ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيباً " حتى اذا فزع اي ازيل وكشف الفزع عن قلوبهم بصدور الاذن منه جلّ جلاله في الشفاعة للشافعين قالوا - اي الشافعون يستنطقون المشفوع لهم عقائده - ماذا قال ربكم ؟ قالوا - اي المشفوع لهم في الجواب

حتى (١) اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العليّ الكبير (٢) ومنها قوله: فما تنفعهم شفاعة الشّافعين (٣) الى غيرها من الآيات المثبتة لها و لكنها كما ترى تثبتتها باذن الله تعالى تارة في جانب الشفيح كقوله تعالى: من ذا الذي يشفع عنده الآبازنه، واخرى في جانب المشفوع له كقوله: يومئذ لا تنفع الشّفاعة الاّمن اذن له الرحمن ورضى له قولا".

ومن المبرهن عليه انه لا ياء ثلثيئي من الاشياء ولا لسبب من

عقيب ذيل صفحه القبل

الحق وهو العلي الكبير، هذا هو الذي يختلج بالبال والله سبحانه وتعالى هو العلم بحقيقة الحال.

١ - لا يخفى عليك ان المغيا هنا يستفاد من نفس الغاية

نظير قول الفرزدق:

فواعجا " حتى كليب تسبني " اي واعجا " يسبني الناس حتى

كليب، والتقدير في الآية لاتنفع الشفاعة الاّمن اذن له

فيحزنهم الفزع الاكبر الى ان انكشف الفزع عن قلوبهم قالوا.....

٢ - سباء ٢٣

٣ - المدثر ٤٨

الاسباب الآبازن الله تعالى ومشيته، ولكن الناس الآالقليل منهم
يركون الى الاسباب والاوساط ويزعمون استقلالها في التاءثير وينسون
الله الذي بلطفها وجد الاسباب، بل ربما سلكت بهم تلك المزعمة
الفاسدة الى اتخاذاولى السطوة والقوة من الروءساء والزعماء اربابا "
من دون الله بل تهوى بهم الى العكوف للتماثيل والاصنام، وتلك
العقيدة كانت ناشية في عصر نزول القرآن المجيد حيث كان المشركون
يعتكفون على عبادة آلهتهم المنحوتة ويزعمون لها التاثير وكانوا
يقولون: هولاء شفعاء ناعندالله وآنه لامجال لرد شفاعتهم، ولقدا
ضرت هذه العقيدة باكثر الاديان فاتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا "
واندادا " من دون الله، وجاء القرآن الكريم فافصح عن تلك الخرافة
المفسدة للفطرة واجهر بانها لاستقلال لشي من الاشياء ولاتاثير
لسبب من الاسباب ولاشفاعة لوسط من الاوساط الآبازن الله تعالى
ومشيته وآنه مالم ياذن الله مالم يشاء لاتاثير لآى سبب ولا وساطة
لآى وسط ولاشفاعة لآى شفيح وعنت الوجوه للحى القيوم وكلله
قانتون وكفى بذلك تبعيذا " عن الشرك وتقريبا " من التوحيد ومن هنا
تعرف ماترمى اليه الآيات النافية للشفاعة مطلقا " مثل قوله تعالى:
واتقوا يوما " لاتجزى نفس عن نفس شيئا " ولايقبل منها شفاعة و
لايوخذ منها عدل ولا هم ينصرون (١)، وقوله: واتقوا يوما "

لاتجزي نفس عن نفس شيئاً " ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون (١) ، و قوله وانذرهم يوم الآزفة اذا القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع غافر (٢) ، وقوله : يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ٣ و قوله : افمن حقّ عليه كلمة العذاب افأنت تنقذ من في النار (٤) ، الى غيرها من الآيات النافية للشفاعة المزعومة لاهل الشرك والضلال وليس بين هذا النفي وذلك الاثبات تدافع و تعارض كما لا يخفى . واما انكار المعتزلة للشفاعة من حيث تاثيرها في اسقاط العقاب مع اعترافهم و اعتقادهم بتاثيرها في رفع الدرجات - فهو مبني على اصل لهم مذكور في كتب الكلام من وجوب عقوبة اهل الكبائر وعدم جواز العفو عنهم اذا ماتوا ببلاتوية ، فيعذبون في النار خالدين واحتجوا على ذلك عقلا " ونقلا " بامور ، اما النقل فتمسكوا بآيات كثيرة منها قوله تعالى : ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها (٥)

٣ - البقرة ٢٥٤

٣ - الفافر ١٨

١ - البقرة ١٢٣

٥ - النساء ١٤

٤ - الزمر ١٩

ومنها قوله "ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا" (١) ، هذه الآية واضحة دلالة لعدم قيد "ويتعد حدوده" فيها .

ومنها قوله عز اسمه: "ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاءه جهنم خالداً فيها" (٢) ، ومنها قوله: ليس بامانتيكم ولا مانتى اهل الكتاب من يعمل سوءاً" يجزيه (٣) ، ومنها قوله تعالى: انّ المجرمين فى جهنم خالدون لا يغير عنهم وهم فيه مبلسون (٤) و منها غير ما ذكر على ما هو مذكور فى محلّه من الآيات والروايات .

وامّا العقل: فمنه قولهم انّ الفاسق اذا علم انه لا يعاقب وان ارتكب الكبيرة كان ذلك مغرى على القبيح ويكون فى الحكم كان قيل له: افعل فلأبأس عليك ، كذا فى قول القاضى .

واجيب فى شرح العقائد النسفية عن الآيات: انها على تقدير عمومها انما تدل على الوقوع دون الوجوب وقد كثرت النصوص فى العفو. فيخصّ المذنب المغفور عن عمومات الوعيد ، وزعم بعضهم انّ الخلف فى الوعيد كرم فيجوز من الله تعالى والمحققون

١ - الجن ٢٤

٢ - النساء ٩٣

٣ - النساء ١٢٤

٤ - الزخرف ٧٥-٧٤

على خلافه كيف وهو تبديل للقول وقد قال الله تعالى: ما يبدل القول لديّ انتهى كلامه (١).

اقول: من النصوص المشار إليها في العفو قوله تعالى: ان الله يغفران يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (٢) حيث ليس المراد منه المغفرة بعد التوبة لأن الاشراك بعد التوبة ايضا " كذلك فيلزم تساوى، مانفى عنه الغفران وما ثبت له. ومنها قوله تعالى: وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (٣)

حيث ان كلمة "على" للحال يقال راءيت الامير على اكله اى حال اكله فالآية تقتضى حصول المغفرة حال اشتغال العبد بالظلم، فتدل على حصول المغفرة قبل التوبة، ومنها ان الله يغفر الذنوب جميعا" (٤) وما الى ذلك من الآيات والروايات.

واجيب في الشرح المذكور عن العقلي المذكور بان مجرد جواز العفو لا يوجب ظن عدم العقاب فضلا "عن العلم، كيف والعمومات الواردة في الوعيد المقرونة بغاية من التهديد ترجح جانب الوقوع

٢ - النساء ١١٥

١ - ق - ٢٩

٣ - الرعد ٦

٤ - الزمر ٥٣

بالنسبة الى كل واحد وكفى به زاجرا " انتهى كلامه .
 قال في المحصل : اجمع المسلمون على كونه تعالى عفوا " و
 العفولاي تحقق الآعداسقاط العذاب المستحق وعندالخصم ترك
 العقاب على الصغيرة قبل التوبةوعلى الكبيرة بعدها واجبة لايبقى
 للعفومعنى الآ اسقاط العقاب على الكبيرة قبل التوبة (١)
 اقول اما قول البعض : ان الخلف في الوعيد كرم فيجوز من
 الله تعالى فقريب من التحقيق مع تفسير الخلف بالصفع عن مقتضى
 الوعيد .

واما قول الشارح التفتازاني : والمحققون على خلافه كيف
 هو تبديل للقول ، فبعيد عن التحقيق ، توضيح ذلك على سبيل
 الاجمال انه قدبيننا في رسالة النبوة : ان الانسان حيث يتوقف
 بقاءه على العيشة الاجتماعية فلاجرم يحتاج الى القوانين الموضوعه
 المتعلقة بافعاله الاختيارية ، وعليه فلوسع كل احدان يخالفها و
 هذه النقيصة قد استلزمت تتميمها بوضع القوانين الجزائية الوعيدية
 كي يتأتى منها الغرض .

ثم ان اجراء الجزائيات حق لولّي الامر الذي بيده زمام امور

المجتمع وليس من الواجب ان يتصرف المالك الملحق في ملكه وحقه دائما " ، بل ربّما يجد المصلحة في العفو والصفح ، بخلاف الوعد فانه من حق المطيع المولى عليه على ولي الامر وعهده فيجب عليه ايضاً نعم الخلف في الوعيد بمعنى الصفح وترك المجازات دائماً " فلا يجوز " ، لأن قانون الجزاء كما علمت مما تستدعيه الفطرة ومن مغروساتها ولا معنى لتفاصيل اصل و تغزير غريزة معسورة عن مقتضياتها وآثارها دائماً " لبطلان القسر الدائم بل الاكثري كما برهن في محله .

واما قوله تعالى : ما يبديل القول لديّ " فالمراد بالقول غير المبدل لديه تعالى . هو القضاء المحتوم على من مات كافراً " بد خوله جهنم بقريته قوله تعالى قبل ذلك : القيا في جهنم كل كفار عنيد (١)

ومع ذلك لا يسلب ذاك القضاء المحتوم عنه تعالى قدرته فانه عزوجل قدير على الاطلاق يغفر لمن يشاء " ويعذب من يشاء ولا يستل عما يفعل وهم يستلون .

ثم انه سبحانه مضافاً الى تعليق الشفاعة باذنه وان الشافع

لابد وان يكون ما دون الله منه تعالى في الاقدام على الشفاعة قد عرف
الشافع بقوله: " لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد
بالحق وهم يعلمون (١)

فبين له وصفين: احدهما: الشهادة بالحق والاعتراف بالتوحيد
وما يتعلق به، ويقابله التكذيب بالحق وهو قوله تعالى: بل كذبوا
بالحق لما جاءهم (٢)

ثانيهما كونه عالما " ولا يخفى ان جملة " وهم يعلمون " في موضع
الحال فيكون تقدير الكلام، لا يملك الذين يدعون من دون الله الشفاعة
الا الشاهدين بالحق حال كونهم اولى العلم، فقيّد بها الشاهدين بالحق
فيتبين بذلك ان مطلق اهل التوحيد ليسوا بشفاعاء بل الشفاعاء اولوا العلم
منهم، فينطبق ذلك على اولى العلم في قوله تعالى: شهد الله انه
لاله الا هو والملائكة واولوا العلم (٣)

ومن المعلوم ان هؤلاء الذين قرنت شهادتهم بالتوحيد بشهادة
الله وملائكته وليسوا مطلق اهل العلم بل الذين شهادتهم بالتوحيد
تلوشهادة الله وملائكته به فلمهم غير العلم المتعارف فلذا ورد في

تفسير اولى العلم المذكورين : انهم الانبياء والاصياء .
 ففي تفسير البرهان عن العياشي عن جابر قال ساءلت ابا جعفر
 عليه السلام عن هذه الآية : شهد الله انه لا اله الا هو و الملائكة
 واوا العلم قائما " بالقسط لاله الا هو العزيز الحكيم : قال ابو
 جعفر عليه السلام بعد كلام - واما قوله : " اوا لو العلم قائما "
 بالقسط " فان اولى العلم الانبياء والاصياء وهم قيام بالقسط
 والقسط العدل في الظاهر والعدل في الباطن امير المؤمنين عليه
 السلام

وفيه ايضا " عن مرزبان القمي قال : ساءلت ابا الحسن عليه
 السلام عن قول الله : شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واوا
 للعلم قائما " بالقسط قال هو الامام .

وايضا " عن سعد بن عبدالله القمي بالسند المتصل الى
 عبدالملك بن عطاء قال : سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول : نحن
 اولوا الذكر ونحن اولوا العلم وعندنا الحرام والحلال .

وفيه ايضا " عن محمد بن الحسن الصفار بالسند المتصل الى
 حسن بن علي الوشاعن ابي الحسن عليه السلام قال علي الائمة
 من الفرائض ما ليس على شيعتهم وعلى شيعتنا ما امرهم الله ما ليس
 علينا ان عليهم ان يستلونا " و اولوا العلم قائما " بالقسط "

(١) الامام

ان قلت: قوله تعالى: يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انك انت علام الغيوب (٢) يناقض ما شهدتم من الآية المذكورة من كون الشفاء الشاهدين بالحق او لوا العلم حيث ان صريحه نفيهم العلم عن انفسهم بقولهم: لاعلم لنا انك انت علام الغيوب.

قلت: قد اجاب عنه سيدنا الاستاذ روجي فداه في الميزان بقوله: ان نفيهم العلم عن انفسهم واثبات جميع علوم الغيب له سبحانه على وجه الحصر يدل على ان المنفى ليس اصل العلم فان قولهم انك انت علام الغيوب في مقام تعليل النفي المذكور ومن المعلوم ان المسؤل عنه - وهي كيفية اجابة الناس للرسل - من قبيل الشهادة لا الغيب فقولهم: لا علم لنا ليس نفيا "لمطلق العلم بل الحق العلم الذي لا يخلو عن التعلق بالغيب، فان من المعلوم ان العلم انما يكشف لعالمه من الواقع على قدر ما يتعلق بامر من حيث اسبابه ومتعلقاته والواقع في العين مرتبط بجميع اجزاء الخارج مما يتقدم على الامر الواقع وما يحيط به، فالعلم بامر من الامور الخارجية

بحقيقه معنى العلم لا يحصل إلا بالاحاطة بجميع اجزاء الوجود ،
ثم بصانعه المتعالى من ان يحيط به شى وهذا امر وراء الطاقة
الانسانية ، فماتعلق به علم الانسان ناشب بوجوده متعلق بواقعيته
باطراف ثم باطراف اطراف وهكذا كل ذلك غيب من ادراك الانسان
فهذا الجواب منهم عليهم السلام نحو خضوع لحضرة العظمة واعتراف
بحاجتهم الذاتية رعاية لادب الحضور واطهارا " لحقيقه الامر وليس
جوابا " نهائياً " لاجواب بعده .

أما أولاً " فلان الله سبحانه جعلهم شهداء على اممهم ، واما
ثانياً " فلان الله سبحانه اثبت العلم بطائفة من مقرّبي عباده
يوم القيامة قال الله تعالى : وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد
لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث (١)

و اما ثالثاً " فلان القرآن يذكر السّؤال عن المرسلين والمرسل
اليهم جميعاً " كما في الآية ٤ من الاعراف ثم ذكر عن الامم المرسل
اليهم جوابات كثيرة ، والجواب يستلزم العلم واذا كانت الامم و
خاصة المجرمين على علم فكيف يتصور ان يعدمه الرسل الكرام . (٢)
ثم انه قد تواترت الآثار من الفريقين في قوله تعالى : ومن الليل

فتهجّد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما " محمودا " (ع) على ان المراد بالمقام المحمود هو مقامه ص الذي يحمده الاولون والآخرين وهو مقام الشفاعة الكبرى له ص في الآخرة .

ففي كتاب التوحيد عن اميرالمؤمنين عليه السلام في حديث طويل بعد ذكر المحشر يقول (ع) ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمد ص وهو المقام المحمود فيثني على الله تبارك وتعالى بمالم يثن عليه احد قبله ، ثم يثني على كل مؤمن ومؤمنة يبدء بالصدّيقين والشهداء ثم بالصالحين فتحمده اهل السماوات واهل الارض فذلك قوله عزّوجلّ : عسى ان يبعثك ربك مقاما " محمودا "

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم مسندا " الى سماعة عن ابي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن شفاعته النبي ص يوم القيامة فقال : يلجم الناس يوم القيامة العرق فيقولون : انطلقوا بنا الى آدم يشفع لنا فيأتون آدم فيقولون : اشفع لنا عند ربك فيقول : ان لي ذنبا " وخطيئة فعليكم بنوح فيأتون نوحا " فيردّهم الى من يليه ويردّهم كل نبي الى من يليه حتّى ينتهوا الى عيسى فيقول : عليكم بمحمد رسول الله ص فيعرضون انفسهم عليه ويسألونه فيقول : انطلقوا فينطلق بهم الى باب الجنة ويستقبل باب الرحمن (١)

الذيل في الصفحة البعد

ويخرساجدا " فيمكث ماشاء الله فيقول: ارفع رأسك و اشفع تشفع
 وسل تعطو ذلك قوله تعالى: عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ".
 وفيه ايضا " بالسند عن ابن ابي عمير عن معاوية و هشام—
 عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ص: لو قد قمت—
 المقام المحمود لشفعت في ابي وامي وعمي واخ كان لي في الجاهلية
 الى غيرها من الروايات وهي كثيرة مذكورة في تفسير البرهان ونور
 الثقلين وجمعها في البحار في مبحث الشفاعة و غيرها يعثر عليها
 المتتبع و يقرب منها روايات القوم كما في الدر المنثور.
 قوله عليه السلام في خبر سماعه " ويستقبل باب الرحمن "
 يوءى ظاهرا " الى قوله تعالى: وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (٢).
 ويستشّم منه انّ الاذن بالشفاعة يرتبط ارتباطا " ما بهذه الرحمة بل
 يقوى ذلك بملاحظة قوله تعالى: رحمتي وسعت كل شيء (٣) فله
 ص مقام الرحمة التي منها الاذن بالشفاعة ويتبين بما مرّ انه صلى

١ — هذه اللفظ ورد في اخبار منها الخبر ٤٦ — ٤٥ من ج ٨ من البحار

٢ — الانبياء ١٥٧

٣ — بل هو موضوع الآيات الشريفة كقوله في طه الا من اذن له الرحمن ورضي

له قولاً " و في النبأ تا الا من اذن له الرحمن

اللّه عليه وآله أول من يقرع باب الجنة فيفتح له و هو أول شافع
وأول مشفع بل هو ص شفيع الشفعاء كما قال ص بيدي (١) لواء
الحمد آدم و من دونه تحت لوائى و لا يخفى أنّ الخبر ومثاله
هو المستفاد من نفس الآية الشريفة وقد سبق في البحث عن آية
الشهداء أنّه صلى الله عليه وآله شهيدا لشهداء فالكل محتاجون
يوم القيامة الى شهادته ص و هو قوله تعالى: فكيف اذا جئنا من
كل أمة بشهيد وجئناك على هولاء شهيدا " (٢) والى شفاعته
ص و هو قوله عز وجل: عسى ان يبعثك ربك مقاما " محمودا "
وزد عليه قوله تعالى: وما ارسلناك الا رحمة للعالمين .

وقد عرفت مضمون الروايات في المقام وفي كثير من الروايات
تصريح باحتياج الكل يوم القيامة اليه ص فمنها قول الصادق ع:
ما من احد من الاولين ولاخرين الا وهو يحتاج الى شفاعته محمد

١ - روى الزندى عن ابي سعيد الخدرى قال . قال رسول الله (ص) اناسيد

ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد لا فخر وما من نبى

يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى - تفسير المراغى ج ١٥ و

مضمون الخبر ورد في اخبارنا .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) ومنها قول أبي جعفر عليه السلام :
 ما من احد من الأولين والآخرين الا وهو محتاج الى شفاعته محمد ص
 يوم القيامة (٢) .

ان قلت : ان شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لأمته معلومة واضحة
 واما شفاعته ص للانبياء والامم الماضين كما هو المستفاد من الآية
 الشريفة ومنصوص الروايات فيما يابى عنه البرهان وينبوا عن قبوله
 الوجدان لعدم الربط تكوينيا "وتشريعيا" بين الانبياء السابقين واممهم
 وبين رسول الله ص حتى يتجلى ذاك الربط بصورة الشفاعة يوم القيامة
 فان الدنيا مزرعة الآخرة وليست الشفاعة الا ظهور الربط بين الشافع
 والمشفوع له في ذلك اليوم كاسياتى بيانه !!

قلت : انه قد ثبت في محله ان للغاية بوجودها السابق عليه
 للمغنى وبهذا الاعتبار يطلق عليها اسم العلية الغائية ووجودها
 اللاحق للمغنى يقال لها الغاية ، وقد سبق عند البحث عن شهداء
 الاعمال انه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مجرى الفيض وعلمت انفا " انه رحمة
 عظيمة واسعة للعالمين وان الانبياء صلوات الله عليهم واممهم مقدّمات
 لوجوده الشريف وظهوره في هذا العالم وهو الغاية الوحيدة من اليجاد

وشيعة هم الوارثون منه: قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة
انا ومن اتبعني (١) فكلمنا افاض اليه تعالى على السابقين من التكوين
والتشريع كان رسول الله وسطا " و شفيعا " و فهذا الربط هو الذي يتجلى
في صورة الاياب والشفاعة .

هذا هو الكلام في الشافع اجمالا " و اما المشفوع لهم فقد قال
الله تعالى : يومئذ لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي قولا " ٢ .
وقال عز وجل : لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
(٣) فالمشفوع له حسب ما يدل عليه كلامه تعالى مضافا " الى كونهما دوننا "
له لا بد وان يكون مرضى القول والاعتقاد فانّ القول هنا بمعنى الرأي
والعقيدة نظير ما في قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (٤)
وقوله بضاهئون قول الذين كفروا من قبل (٥) وانما حملنا القول هنا
على الاعتقاد لان مصب الشفاعة هو الاعمال والقول اللفظي من سنخ
الاعمال فاذا كان مرضيا " فلما معنى لتعلق الشفاعة به كما لا يخفى ومنه
تعلم ان الارتضاء وان اطلق في قوله : " الا لمن ارتضى " انما اريد به

٢ - طه ١٠٩

١ - يوسف ١٠٨

٤ - ابراهيم ٢٧

٣ - الانبياء ٢٨

٥ - التوبة ٣٥

المقيد بالقول اى المرتضى دينه وعقيدته وبذلك فسّر في الرواية : قال الحسين بن خالد : فقلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله فما معنى قول الله عزوجل : ولا يشفعون الا لمن ارتضى ؟ قال عليه السلام لا يشفعون الا لمن ارتضى الله دينه (١)

ثم ان كتاب الله المجيد قد اجهر بان اجتناب الكبائر من الذنوب مكفرة للصغائر وان اقامة الصلوة الخمس مذهب ومبطله للسيئات وان على الله تعالى ان يتوب على التائب ويقبل توبته فقال سبحانه وتعالى : ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم (٢) وقال عزوجل : اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا " من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات (٣) وقال تبارك وتعالى : انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم (٤)

فيستنبط من ذلك كله ان الموعود بالشفاعة هو المرضى القول والذين المبتلى بالكبائر الذي مات بلا توبة و قد روى الفريقان مضمونه عن رسول الله ص : انما شفاعتي لاهل الكبائر من امتي و

٢ - النساء ٣١

١ - البحار ج ٨ ص ٣٤

٧ - النساء ١٧

٣ - هود ١١٤

أما المحسنون فما عليهم من سبيل ، وأما قول الوعديّة والمعتزلة فقد عرفت فساده .

ثمّ أنّه ممّا يجب ان يعلم أنّ المعصية والسيّئة ليست هي نفس العمل الصّادر من عامله فإنّ العمل من حيث هي حركات مخصوصة مشترك بين عنواني الحسنّة والسيّئة ، كضرب اليتيم فإنّه من حيث هو امر مشترك بين العنوانين لأنّه بطبعه قابل لان ينطبق عليه الايذاء والتأديب وكالقتال المشترك بين عنواني الجهاد والمحاربة ، فمن العمل من حيث هو هو ما لم يتحيّث بحيثيّة اخرى لا ينطبق عليه احد من العنوانين فانطبق السيّئة عليه انما يكون من حيث مخالفته لولي الامر بما أنّ نفس العمل تنفعل به انفعالا ، فالسيّئة صفة للعمل المخالف لمراد الله تعالى من حيث انّ نفس العامل تتأثر به يحفظ عليها وتلك الهيئة الانفعاليّة للنفس تسمّى خطيئة .

قال في فرائد اللغة : السيّئة تطلق على ما يقصد بالذات ، و —

الخطيئة على ما يقصد بالعرض لانّها من الخطاء

اقول : أنّ الزاني مثلا " انما يقصد بالذات بعمله اللذة الجنسيّة ولم يقصد اولاً " وبالذات حصول تلك الهيئة الانفعاليّة ولكن نظام الوجود وقانون العلوية والمعلولية يستتبع تلك الهيئة النفسانية المظلمة فهي مقصودة لعامله لكن بالعرض وقال عزاسمه : كلّ انسان

الزمناء طائرته في عنقه (١) وقال تعالى بلي من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون (٢) وهذه الآية الشريفة كما ترى في صدد بيان لمية الخلود في النار فبينت ان احاطة الخطيئات بعامل السيئات قد قطعت طريقه عن الخلاص وجعلت نار جهنم محيطة به، وقال عز اسمه: ان جهنم لمحيطة بالكافرين (٣) وقال عز وجل: نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انما عليهم موءودة في عمد ممددة (٤) ويستنبط من هذه الكلية هي كل محاط بالخطيئة فله الخلود في جهنم وهي به محيطة - بحكم عكس النقيض - وهي ان كل غير خالد في جهنم غير محاط بالخطيئة ان غير المحاطة بالخطيئات فله الطريق الى الخلاص فينطبق ذلك على قوله تعالى: كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين (٥) فاصحاب اليمين هم الذين لم يحط بهم الخطيئات فلم تؤصد عليهم نار الله الموقدة في عمد ممددة، فلهم النواذ المفتوحة الى عالم الانوار فيفكون عن الرهانة وليس المراد من اليمين الجارحة

٢ - البقره ٨١

١ - الاسراء ١٣

٤ - همزة ٩ - ٦

٣ - التوبة ٤٩

٥ - المدثر ٢٩

المخصوصة بل المراد منها هي السعادة واليمن لقوله تعالى : اصحاب
 الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة حيث
 قابل بين الميمنة والمشئمة فيفهم ان المراد منها ما يقابل الشوم و
 الشقاوة وقد اومى القرآن الكريم الى بعض صفات اصحاب اليمن
 بقوله تعالى حكاية عما اجاب به المجرمون عن تسائل اصحاب اليمن
 قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، وكانا خوض مع
 الخائضين وكانا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين (١) .

فتلك الصفات الاربعة ثنائها السلبيتان وثنائها الايجابيتان
 للمجرمين المحرومين عن الشفاعة نبض الكتاب فيدل ذلك بدلالة
 الايماء على انتفاء تلك الصفات المجموعة عن اصحاب اليمن
 فاصحاب اليمن اهل الخضوع للمبدء تعالى والتصديق بيوم الدين
 فبالنتيجة هم اهل التوحيد المفكوكون عن الرهانة .

ان قلت ان قصارى دلالة آيات المذكورة ان المجرمين الذين
 لم تحط بهم الخطيئات لم تحط بهم جهنم فلهم النواذ الى
 خارجها من عوالم النور والحبور وذلك لا يستلزم الفك عن رهانة
 السيئات المكتسبة الا ترى ان المحبوس في السجن ذي كربة وان

شاهد منها خارج السّجن ولكن صرف ذلك لا يستلزم الخروج و
 الخلاص بل ربّما تصير تلك المشاهدة سببا " لزايد همّه والمه فأنّ
 اللّذة والالم يدوران مدار الادراك فكما ان اللّذة هي ادراك ونيل
 لما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك من غير شاغل و
 لا ضدّ كذلك الالم بحكم المقابلة عبارة عن الادراك والنيل لما
 هو عنده آفة وشرّمع تلك القيود ومن المعلوم أنّ الحيلولة بين
 المدرك وبين ما يشتهى من الخير والكمال عذاب اليم ويصدّقه قوله
 تعالى: وحيل بينهم وبين ما يشتهون (١) ومقتضى ذلك ان يكون
 المجرمون المذكورون اشدّ عذابا " من الذين اطبقت عليهم جهنّم
 واوصدت عليهم النّار.

قلت مع الغض عن المناقشة فيما ذكر، انه قد تبين مما قرّنا
 عند البحث عن الاشكال في عالم المثال والبرزخ أنّ الحسنات
 بما لها من الاصول الثابتة الالهية غالبية على السيئات فالكلم
 الطيب والعمل الصالح يرفعه (٢) وتلك المبادئ الطيبة هي وسائط
 الفيض النزولي وقال تعالى: كما بدتكم تعودون فريقا " هدى وفريقا "
 حقّ عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله

ويحسبون أنهم مهتدون^١، فهذه الكريمة كما ترى تجعل كيفية العود الى المبادئ على حذو البدء وتقسيم الناس في العود الى فريقين: احدهما الفائزون بهداية الله فالله تعالى مولاهم فيمالهم الكلم الطيب وصالح العمل يصعدون وثانيهما الضالون المكذبون فلامولاهم الاالشياطين فيكونون لهم قراء اعاذنا الله تعالى وجميع اهل التوحيد منه.

ثم ان رهائن الكبائر من الفريق الاول حيث كانت لهم النفوس المرتضاة والاعتقاد الصالح فلهم اتصال ما يملك المبادئ العالية والانوار الطيبة وقد وعد هم سبحانه بالاتصال الكامل واللحوق التام بهم في كتابه: والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرء بما كسب رهين^٢

ولعل هذا الاتصال واللحوق هو الشفاعة عند الصعود كما يساعده اللفظة ايضا " وحيث ان الايمان والاعتقاد ذو تشكيك ودرجات فاللحوق يكون بحسب ذلك فيتأتى لطائفة في الموقف ولطائفة بعد دخول النار وفي كل من الموردين ايضا " تفاوت سرعة وبطئا " ، تقديماً "

وتأخيرا " كما شير الى ذلك كله في الروايات المروية من الفريقين وقد سبق بعض الروايات المفسرة للمقام المحمود الواردة من طريق الشيعة في شفاعة الموقف .

وأما الروايات الواردة في طريقنا في الشفاعة بعدد خول النار فهي كثيرة ايضا " فمنها ما رواه في العيون فيما كتب الرضا عليه السلام للمامون من محض الايمان : و مذنبوا اهل التوحيد— يدخلون النار و يخرجون منها و الشفاعة جائزه لهم (١)

ومنها ما رواه في العلل عن الصادق عليه السلام : اصحاب الحدود مسلمون لاموء منون ولا كفرون الي ان قال عليه السلام : فاصحاب الحدود فساق لاموء منون ولا كفرون ولا يخلدون في النار و يخرجون منها يوما " والشفاعة جائزه لهم وللمستضعفين اذا ارتضى الله عزوجل دينهم (٢)

ومنها ما رواه عن حمزان انه قال : سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول : ان الكفار والمشركين يرون اهل التوحيد في النار فيقولون ما نرى توحيدكم اغنى عنكم شيئا " وما انتم ونحن الاسواء قال : فياء نف لهم الرب عزوجل فيقول للملائكة اشفعوا فيشفعون لمن

شاء الله ويقول للموءمنين مثل ذلك حتى اذا لم يبق احد تبلفه
الشفاعة قال الله تبارك وتعالى انا ارحم الراحمين اخرجوا برحمتي
فيخرجون كما يخرج الفرش قال ثم قال ابو جعفر: ثم مدت العمدة
واعمدت عليهم وكان والله الخلود (١)

وقد اورد في المجلد ٨ البحار بابا " في ذكر من يخلد في النار و
من يخرج منها فراجع اليه

واما العامة فلهم الروايات الكثيرة في الموردين تقرب في الدلالة

من رواياتنا ونحن ننقل بعضها الوارد في المورد الثاني .

فمنها ما رواه المسلم في صحيحه عن ابي سعيد الخدري في
حديث طويل عن رسول الله و قد ذكر فيه دخول طائفة في النار
ثم قال ص: فوالذي نفسي بيده ما منكم من احد باشدمناشدة لله
في استقصاء الحق من الموءمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين
في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا و يصلون ويحجون فيقال لهم
اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا
قداخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه - الى ان قال: ص
يقول - يعنى الله ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير

فاخرجه وكان ابوسعيد الخدرى يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث
فاقروا ان شئتم . ان الله لا يظلم الناس مثقال ذرة وان تك حسنة
يضا عفها ويوءت من لدنه اجرا " عظيما " (١)

الى ان قال ص ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من
النار فيخرج منها قوما " لم يعملوا خيرا " قط قد عادوا حمما " (٢)
فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج
الحية في حميل السيل (٣)

ومنها ما رواه فيه عن الخدرى ايضا : " ان رسول الله ص قال يدخل
الله اهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ويدخل اهل النار النار
ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان
فاخرجه فيخرجون منها حمما " (٤)

وفيه عن انس عنه ص في حديث طويل ذكر فيه شفاعته واخراجه
المذنبين عن النار طبقة بعد طبقة قال ص فاقول يا رب ما بقى في النار
الا من حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود (٥) وفي خبر طويل عن

١ - النساء ٤

٢ - صحيح البخارى ج ١ ص ١١٦ - ١١٧

٣ - صحيح ج ١ ١٢٧ - ١٢٦

انس عنه ص بعد ذكره خواجه ص طبقاً " عن طبق النار : فاقول يارب
 ائذن لي فيمن قال لاله الا الله قال ليس ذاك لك افقال ليس ذلك
 اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من قال
 لاله الا الله (١)

هذا ما تيسر لي من البحث عن المعاد في الكتاب و السنة
 تشويش البال وصعوبة الحال وقلة البضاعة و حضور الباع وفرغنا من
 تحريره في العشر الاوسط من شهر جمادى الاولى عام واحد واربعاً
 بعد الالف من الهجرة النبوية على هاجرنا الصلاة والسلام سنة
 فتنة المنافقين الالتقاطيين واهل الردة الشيوعية في بحبوبة
 محاربة حزب البعث العراقي مع الجمهورية الاسلامية الايرانية، و
 قد بقي بعد مباحث منه لايسعني المجال من التحقيق فيها ولعل
 الله يحدث بعد ذلك امراً"

اللهم فرج عن المسلمين ما هم فيه بحق لاله الا انت وانت
 المستعان وهب لي من لذنك ولياً " يرثني ويرث من آل بيت نبيك
 واجعله ربّ رضىاً انك انت سميع الدعا وانا عبدك المحتاج محمد
 بن محمد جعفر محمدي الجيلاني عفي عنهما .

" فهرس الموضوعات "

الصفحة	
٥	الانبياء
١٠	الله والمعاد
١٤	المعاد في القرآن وادلتها
١٦	موقف الانسان من فناء العالم وما بعده
٢٣	الثواب والعقاب
٢٦	ما هو الكتاب
٢٧	من هو الموء لف
٣٣	في رجوع الامور الى الله
٤٠	في ان الموت حق
٤٨	في لميها اختلاف اسناد التوفي
٤٧	في انكشاف سرا بيها الاسباب بالموت
٧٥	في ما يعاين الموت
١١٩	في ان القبر هو البرزخ
١٣٣	في سؤال القبر
١٥٤	الاستكحال البرزخي
١٧٠	في نفخ الصور
١٨٣	سقوط العلل والاسباب الظاهريه
١٨٨	في ان عند الله علم الساعه
٢٢٣	في المعاد الجسماني
٢٣٥	في الجواب عن شبهه عبيثه المعاد
٢٥٤	في المواقف
٢٦٩	موقف تظائر الكتب
٢٩٣	موقف الحساب
٣٠٤	موقف الشفاعة

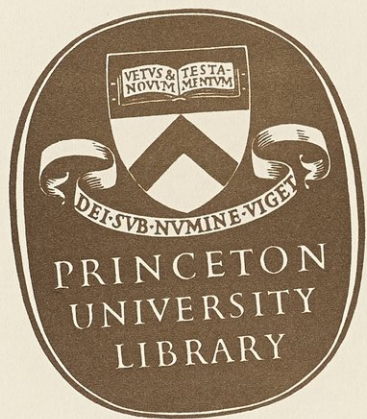
معركة الصلح الكون الذهب

المدارك بعد القرآن المجيد

شرح التجريد	بحار الانوار
التجريد	توحيد صدوق
شرح المواقف	معجم المفهرس
گوهر مراد	الشفاء بحقوق المصطفى
المقاصد العلية	المفردات
الفرائد	صحيح بخارى
علل الشرايع	تفسير الميزان
امالى	تفسير طبرى
جامع قرطبي	تفسير نيشابورى
المضمون الكبير	تفسير آلوسى
نهج البلاغة بحراني	تفسير مجمع البيان
نهج البلاغة عبده	كشاف زمخشرى
مقاييس اللفظة	تفسير قمى
الاصول الخمسه	تفسير نور الثقلين

الشفاعة الشّرعيه	تفسير برهان
الفصل في الملل والنحل	تفسير رازي
معجم الفاظ القرآن الكريم	تفسير مراغي
المحصل	وفاء الوفاء
عيون اخبار الرضا	موطأ مالك
الاصابة	اسدالغابة
الانتصار	اسفار
الفتن والملاحم	شفا
كافي	مرآة العقول
الذكري	كشف الغطاء
	صحيح مسلم
	تفسير قرطبي
	اكمال الدين
	مصباح الهداية الى الخلافة والولاية.

"پایان"



Princeton University Library



32101 059174209